تأملات في الحياة المعاصرة

الجزء ١، ٢، ٣، ٤

مطبوعات ساعة الإصلاح

القس بسام مدني

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

Arabic Bible Outreach Ministry
P.O Box 486
Dracut, MA 01826 USA
Web:www.arabicbible.com
E-mail: info@arabicbible.com

All Rights Reserved
جميع الحقوق محفوظة- الرجاء التقيد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

تأملات في الحياة المعاصرة
الجزء ١

محتويات التأملات

لغة الإيمان

العلم والإلحاد

الحق والارادة

وحدانية الشخصية البشرية

الكون العجيب

عودة إلى البدء

حظ أم تصميم

لغة الإيمان

عندما تغنى النبي داود قائلاً في المزمور التاسع عشر " ١اَلسماوات تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ " كان يستعمل لغة الإيمان. لم يكن داود يتكلم بلغة الفلاسفة القدماء الذين كانوا يقومون بدراسة لا شخصية للطبيعة. فعندما يتمعن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإنسان في أمور الطبيعة – بدون معونة الوحي الإلهي – يصل إلى القول بأنه هنـــاك عالم غيبي، عالم ما وراء أو ما فوق الطبيعة، شيء عجيب وعظيم والذي نجد أنفسنا غير قادرين السيطرة عليه. وقد دعاه أهل الاغريق بالقدر.

ولكننا عندما ننظر إلى الكون من وجهة نظر إيماننا بالله وبوحيه المقدس نبـــدأ حالا بالتفكير بالله وبتعظيم جلاله وحكمته. يذكرنا العالم المحيط بنا بـــالله تعـــالى – لاننا نكون ناظرين اليه آنئذ من وجهة نظر الإيمان القويم. وعندما تقودنـــا تأملاتنـــا بالطبيعة إلى التفكير بالله فان هذا لا يعني أننا نبرهن وجوده تعالى فالحق المتعلق بـــالله هو موضوع وحي نستلمه من الله بواسطة الإيمـــان، لا شـــيء يكتـــشفه الإنـــسان بمجهوداته الخاصة. وعندما نقوم بدراسة تاريخ البشرية نجد أن الناس لم يـــصلوا إلى الاعتراف بالله الواحد وهم يتبعون فلاسفتهم. فقد انتشرت الوثنية في شتى أنحاء العالم القديم و لم يكن هناك سوى إبراهيم والذين انحدروا منه مـــن عابـــدي الله. وكـــان إبراهيم الخليل قد وصل إلى معرفة الله لأنه تعالى كان قد كشف عن ذاتـــه لعبـــده الامين. وقد مالت البشرية إلى الاعتقاد بآلهة متعددة و لم تصل إلى معرفة الله باتكالهـــا على حكمتها.

ومن واجب المؤمنين أن يشهدوا عن الحق وعلى شهادتهم أن تكون قوية. ومن شهد بطريقة غير متلائمة مع تعاليم الوحي – أي أن الذي لا يستعمل لغـــة الإيمـــان بتعقل ورزانة – لا يكون داعما للحق ولا ناصرا له. وعلينا أن نتذكر أنه لا يتطلب منا عمل المستحيل. فان لجأنا مثلاً إلى الاساليب المستعملة في العلوم الطبيعية لاثبات وجود الله فاننا سنمنى بالفشل الذريع. ليس الله على مستوى الاشياء أو المخلوقـــات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لنلجأ إلى طرق طبيعية لبرهان وجوده. وما يسمى بحقائق علمية ليست بحقائق ثابتة أو نهائية أو مطلقة، بل انها متقلبة ومتغيرة. ألم تعدل أمور عديدة في الكيمياء مثلاً نظرا للاكتشافات العديدة التي جرت في هذا الحقل؟ أية نظرية يمكن القول عنها بأنها الكلمة الأخيرة في أي فرع من فروع العلوم الطبيعية؟

نجد الإنسان المعاصر يجاهد بكل طاقته للحصول على معرفة شاملة لهذا الكون، ولكنه لا يأتينا بنظرة واحدة بل بعدة نظريات تسمى بعلمية وكل واحدة منها تحاول بأن تعطينا تفسيرا معقولا ومنطقيا للكون. فان كانت هذه التفاسير التي يأتي بها الإنسان المعاصر متضاربة أفليس إذن من العقيم أن نحاول الاستنتاج من الحوادث الطبيعية التي نشاهدها حقائقا عليا عن الله؟ طبعا لا يقف المؤمن مكتوف اليدين وهو يشاهد الاكتشافات العديدة التي تجري في مضمار العلوم الطبيعية. وهو يشهد بأن كل ما يجري في عالمنا وفي الكون الشاسع المحيط بنا انما يشير إلى وجود الله القدير. وشهادة المؤمن معقولة بمعنى أنها لا تأتي بمشاكل أكثر تعقيدا مما تأتي بها شهادة المنكر لله ولسيطرته على الكون. وبكلمة مختصرة يرى المؤمن في كل ما يجري حوله دلائل قوية ومقنعة تتفق كل الاتفاق مع إيمانه بالله ذلك الإيمان المنبعث من وحي الله. لكن المؤمن لا يستطيع أن يستعمل الحوادث الطبيعية لاقناع من لا يود قبول ما أو حى به الله من تعاليم منعشة ومحررة.

ويجدر بنا أن نتأمل في أسرار الكون مثلاً اكتشف الفلاسفة منذ القديم أن الحوادث التي هي أكثر قربا الينا والمتعلقة بما نختبره في حياتنا اليومية هي في نفس الوقت غامضة وخفية. ولكنها نظر لكونها حوادثا أو أمورا مألوفة فإنها تظهر اعتيادية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وطبيعية – ولذلك نقول عنها أنها معقولة. وهكذا نخدع أنفسنا بسهولة عندما نظن بأننا نفهم هذه المواضيع بصورة تامة. لنأخذ مثلاً الضوء أو الزمن أو الفضاء أو المعرفة. هذه مواضيع تجابهنا كل يوم وهي مألوفة للغاية ولكنه هل يجوز لنا أن ندعي أننا قد وصلنا إلى استقصاء جميع الأسرار التي تحيط بها؟

وإلى أن نتوصل إلى حل جميع الغوامض المحيطة بهذه المواضيع فإنها تبقى وتظل أسرارا. إذن نخلص إلى القول : هناك نوعان من الغوامض أو الأسرار : ١. الأسرار المألوفة أي التي تعودنا عليها، ٢. تلك التي لم نتعود عليها أي غير المألوفة. والأسرار التي نعدها غير مألوفة ندعوها بأسرار وننظر اليها كأمور غامضة وذلك لاننا لم نقدر بأن نرجعها إلى مصاف الأمور المألوفة في هذه الحياة.

ما هو مغزى ما أتينا على ذكره؟ بما أننا نعيش وسط كون مليء بالغوامض لماذا ينتقد المؤمنون أن كانوا يؤمنون بأسرار فوق ما يؤمن به غير المؤمنين؟ وهذه الأسرار الخاصة التي يؤمن بها المؤمن – والتي هي بالحقيقة موحى بها من الله – متى فهمت أو قبلت، أعطتنا مفتاحا لمعرفة جميع أسرار الكون.

وهناك موضوع آخر هام وهو أن هذا الكون هو موطن لذوات أو كائنات فوق طبيعية ألا وهي العقول أو الارواح البشرية وهذه الكائنات لها طبيعة أخلاقية وعقلية وهي تفقه بأنها تتمتع بهذه الصفات. متى أخذنا هذه الأمور بعين الاعتبار ألا يجوز لنا أن نعتقد بأن هذا الكون المحيط بنا هو معقد وغامض كهذه الكائنات المتمتعة بصفات فوق طبيعية؟ وبعبارة أخرى، نجد أن هذا الكون الذي نكون قسما

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

منه هو متمتع بصفات مشتركة معنا أكثر بكثير مما نظن. هناك نظام رائع وبديع في الكون مما يدعم معتقدنا بأن الله هو الذي خلق الكون ووضعنا فيه. وهكذا لابد لنا من الاستنتاج بأن ما يسمى بقوانين الطبيعة – كما تعرف في العلوم الطبيعية عاجزة عن اعطائنا وصفا كاملا لكل ما يجري ضمن الطبيعة.

ان إيماننا بالله وبجوده وبعظمته لا يعني أننا نصبح أعداء للعلوم الطبيعية ولكننا لا ولن نقبل أية نظريات تسمى علمية أن كانت لا تعترف بالإيمان القويم وان لم تتكلم بلغة الإيمان. وكما تغنى النبي داود " اَلسماوات تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ٢يَوْمٌ إِلى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَماً وَلَيْلٌ إِلى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً " (من المزمور ١٩).. اننا نؤمن بالله، ولذلك نتكلم بلغة الإيمان.

يمكننا تلخيص ما ذكرناه في هذا الفصل كما يلي :

١. عندما يتأمل الإنسان في العالم فإنه اما يتكلم بلغة الإيمان أو بلغة عدم الإيمان أو الإلحاد. هناك وجهتا نظر في دنيانا هذه : وجهة نظر تعترف بالله الواحد الحقيقي وتنظر إلى كل شيء من منظار الوحي الإلهي، ووجهة نظر أخرى لا تعترف بالله وتنظر إلى كل شيء من منظار آراء وأفكار بشرية منكرة لله ومنادية باستقلالية الكون وأزليته.

٢. عندما نستعرض تاريخ العالم في أيام ما قبل الميلاد نجد أن سائر الشعوب كانت تعبد آلهة متعددة – ما عدا إبراهيم الخليل وذريته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقد نجا إبراهيم من عبادة الأوثان نظرا لدعوة الله له ولاستلامه الوحي الإلهي الذي بدونه لا نقدر أن نصل إلى معرفة حقيقية لله.

٣. وجهة نظر الإيمان هي معقولة أي أننا عندما نأخذ بعين الاعتبار حقائق الوحي الإلهي فان ذلك لا يتطلب أكثر تصديقا مما تتطلبه سائر النظريات السائدة لدى غير المؤمنين من علماء الطبيعة.

٤. عالمنا هذا مليء بالغوامض والأسرار، وحتى الأمور التي نراها يوميا لا نستطيع أن نفهمها كليا. ولكننا لا ننظر إلى الغوامض المألوفة كغوامض. ندعوعادة بعض الأمور بأسرار عندما لا نقدر ارجاعها إلى مصاف الأمور الاعتيادية. إذن يعتقد المؤمن بأسرار تفوق ما يعتقد به غير المؤمن. هل موقف المؤمن هذا هو غير معقول لأنه يؤمن بأسرار أو غوامض تفوق ما يؤمن به الملحد؟

٥. هناك في كوننا كائنات عاقلة وأخلاقية تفقه تماماً بأنها تتمتع بهذه الصفات فوق الطبيعية. وهذا يدعم إيمان المؤمن الذي يعتقد من صميم قلبه بأن الله هو خالق كل ما في الوجود.

وعندما نريد بأن نعطي تفسيرا كافيا للإنسان وللكون يتوجب علينا أن لا نكتفي بالكلام عن الذرات والالكترونات عالما بما فيه الإنسان هو أكثر تعقيدا من أن يوصف كمجرد عوالم صغيرة تتسارع فيها البروتونات والالكترونات والنيوترون وغيرها من دقائق الذرة. وراء هذه وفوقها هناك اله واحد حقيقي قدير ومسيطر على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكل. ولكننا ما أن نصرح بهذه الكلمات حتى نقول أنه من المستحيل لنا اللجوء إلى الطرق المتبعة في العلوم الطبيعية لاثبات وجود الله.

لنفرض مثلاً أن أحد العلماء نجح في اختبار أجراه في اثبات وجود الـــه – ألا يكون هكذا اله تحت سلطة وتصرف العالم؟ هكذا اله ليس بالله الواحد الذي نعبـــده والذي نتكل عليه. الاله الذي يكتشف وجوده في مخبر العلماء ليس باله. الله – تعالى اسمه – هو أكبر بكثير وأعظم بكثير من أن يبرهن وجوده أو عدم وجـــوده ضـــمن مختبر علمي.

كمؤمنين بالله وبوحيه – الذي هو مدون الان في الأسفار المقدســـة والـــتي ندعوها بالكتاب المقدس – نقول : أن إيماننا الذي نشهد به، هذا الإيمان هو أكثـــر بكثير من معتقد بوجود صانع للكون. فعندما نصرح بأن الله هو خالق الكون نعـــني أن العالم بأسره هو مرتبط بالله بطريقة تامة ليس لدينا نحن البشر معرفـــة شخـــصية لحادثة الخليقة في البدء – فالطريقة الوحيدة التي نقف بها على الخليقة انما هي بالوحي الإلهي.

ويمكننا تشبيه العالم إلى لو حة فنية عظيمة. فمن ناحية يمكننا النظر إلى هكـــذا لو حة من وجهة نظر علمية طبيعية بحتة. وإذ ذاك ينظر إلى التركيـــب الكيمـــاوي للالوان والزيوت والصفات الهندسية للخطوط أو طول الموجـــات الـــضوئية الـــتي تعكسها اللوحة الفنية، الخ. وهكذا تحليل قد يروق لبعض الناس أي أولئـــك الـــذين صمموا بأن يحصروا اهتمامهم فيما يمكن برهانه من الناحية العلمية. لكـــن أكثريـــة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الناس لا يرضون بهكذا موقف. أنهم يرغبون بأن يطرحوا بعض الأسئلة عن الفنان وعن شخصيته وعن غايته وقصده في رسم لو حته الرائعة. وقد لا يعد هكذا موقف علميا لأنه من الواضح أن الفنان وحده قادر بأن يجيب على هذه الأسئلة. ومتى سئل الفنان عن السبب الذي دفعه على رسم هذه الصورة أو هذه اللوحة لا غيرها فإنه يجيب بأنه شعر في قرارة نفسه بدافع يدفعه للقيام بعمله الفني هذا.

وقياسا يمكننا القول بأن سر الكون هو بيد الله تعالى وهو الذي يخبرنا عن الخليقة وغايتها ونهايتها. فإذا ما سألنا قائلين : لماذا خلق الله هذا الكون بعينه لا كونا آخر، فإن الجواب هو جواب الوحي الإلهي : " حسب رضى مشيئته " وخلاصة القول تبدأ وتنتهي فلسفة المؤمن في هذه الشهادة المتواضعة والمعقولة " أو من بالله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض وكل ما يرى وما لا يرى " (قانون الإيمان النيقوي).. وينضم المؤمن إلى النبي داود وإلى سائر المؤمنين والمؤمنات الذين يتكلمون بلغة الإيمان قائلاً وشاهدا " السموات تحدث بمجد الله "

العلم والإلحاد

هناك اعتقاد سائد بين بعض الناس وهو أن اكتشافات العلوم الطبيعية في هذه الأيام تشكل مانعا قويا لقبول محتويات الإيمان أي المعتقد الديني بوجود الله القدير المهيمن على جميع مقدرات العالم. وبينما نلاحظ أن نموالعلوم الطبيعية والتقنية قد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حدث في نفس الوقت الذي جرى فيه تقلص في المعتقدات الدينية – الا أن ذلك لا يعني أن ازدهار العلوم متوقع على أفول نجم المعتقدات الدينية أو أنه هناك تناقض حقيقي بين العلم والدين. ومن المهم لنا أن نلاحظ أن ما يسمى هذه الأيام بعلم أو بالعلوم يختص بأمور من الحقيقة لا تمس الا بصورة عرضية الأمور التي يختص فيها الدين. ونحن نميز هنا بين العلم والنظريات الفلسفية الإلحادية التي تلصق به من قبل بعض الناس. حقل العلم – أي ما يسمى بالعلوم الطبيعية المتعلقة بالعالم المادي – هو على مستوى وحقل الدين على مستوى آخر من الحقيقة. لكن هذا لا يعني أنه يجب أن نفرض وجود تناقض أو عداوة بين العلم والدين.

مثلاً يلاحظ العالم الفيزيائي وجود تناقض نظري في أحد مواضيع علمه ولكن ذلك لا يشكل أمرا مزعجا بالنسبة اليه بل انما ينظر اليه كمسألة لم تحل بعد أو انه هناك تناقض ظاهري مهم. مثلاً عندما يقوم بدراسة الضوء يجد أنه أحيانا من الملائم النظر اليه – أي إلى الضوء – كظاهرة موجية وأحيانا أخرى من الاحسن النظر اليه كظاهرة ذرية. ولكن بما أن هذا هو غير ممكن من الناحية المنطقية – أي أن يكون الضوء في تكوينه موجي وذري في أن واحد – يلجأ العلماء إلى الافتراض بأن المظاهر الموجية والذرية تشير إلى أمر آخر لم يصلوا بعد إلى تفهمه تفهما تاما.

وما ذكرناه ليس بالأمر الحديث للعلم. فلقد نصح العالم الفرنسي ديكارت والذي عاش في القسم الأول من القرن السابع عشر، نصح أولئك الذين يجدون باحثين عن الحقيقة بأن يفترضوا وجود نظام في الطبيعة أو الكون " حتى ولوكان ذلك أمرا وهميا " فذلك ضروري لأي علم أو معرفة وبعبارة أخرى أن العالم الطبيعي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لا يزعج أو بالاحري لا ينـــزعج عندما يعمل على استقصاء نظرية خيالية. فهو يعلم أنه وهو يقوم بتجاربه هذه قد يصل إلى اكتشاف مبدأ علمي صحيح وحقيقي. فهو لا يفترض مثلاً بأن الالكترون هو كما يوصف تماماً في الكتب العلميـــة المعاصـــرة، ولكنه يفترض بأن النظريات الحالية المتعلقة بعناصر المادة هي قريبة من الحقيقة ولذلك فإنها تساعده وهو يجد في البحث عن الحقيقة المختصة بالالكترون.

لنأخذ أيضاً نظرية النسبية. يتوجب علينا – حسب تعاليم هـــذه النظريـــة – ونحن نجابه حقائق العلوم الفيزيائية والفلكية أن نبدأ بالافتراض بأن كلا من الفـــضاء والزمن هما وظائف للاجسام المتحركة. وهنا يجدر بالعالم المنتمي للمدرسة القديمة – أي قبل ظهور نظرية النسبية – أن يجابه مشكلة في النظرية التي ذكرناها. ولذلك قد نسمعه يقول محتجا : كيف يمكنك الكلام عن الاجسام المتحركـــة قبـــل أن تبـــدا بالتفكير في الفراغ الذي تتحرك فيه هذه الاجسام؟ وبعبارة أخرى، أن فكرة الفراغ أي وجود الفراغ هي أهم من الناحية المبدئية من فكرة الاجسام المتحركة. وهذا يعني أن الفراغ يضحي كمبدأ أساسي في أي بحث معقول لطبيعة العالم المادي.

وقد نسمع العالم المنتمي للمدرسة الحديثة في علم الفيزياء يـــرد قـــائلاً : أن الزمان والفراغ هما من الأمور المجردة ولذلك يتوجب علينا بأن نفكر بطريقة أكثـــر واقعية وعملية. ومع أن ما ذكره العالم المنتمي إلى المدرسة الحديثة قد يظهـــر غـــير معقول الا أنه يتحتم علينا أن نفكر حسب نظرية النسبية أن شئنا أن نفهـــم جميـــع الحقائق المكتشفة في مضمار العلوم الفيزيائية في أيامنا هذه. طبعا هذا لا يعني أننا قـــد وصلنا إلى نظرية لا يمكن أن تبرهن في المستقبل بأنها غير صحيحة أو أنها لا تـــصف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحقيقة كما يجب. لكن بالنسبة للمستوى العلمي الذي وصلنا اليه في أيامنا هذه نقدر أن نقول أن نظرية النسبية هي عملية ومفيدة.

ففي حقل العلوم الطبيعية يستطيع الإنسان أن يبدأ من أية نظرية بشرط أن تكون هذه النظرية أساسا لنظام منطقي وشامل ومثمر في اكتشاف حقائق جديدة وعلى الأرجح يجب أن تكون هكذا نظرية صحيحة من ناحية علم الرياضيات. وعندما نبحث في طبيعة المعرفة العلمية يمكننا أن نعرفها كما يلي : انها معرفة اختبارية منبثقة من صميم الاختبارات العلمية. هذا يعني أن الطرق المستعملة في هذه التجارب يجب أن تتصف بالدقة بحيث أن احتمالً حدوث الاخطاء يكون أمرا ضئيلا للغاية. وهكذا يمكننا الوصول إلى حقائق علمية في أي حقل من حقول العلوم الطبيعية والطرق التي يلجأ اليها في هكذا اختبارات علمية تتعلق بطبيعة الأمور التي يبحث فيها.

لكنه لا يجوز لنا أخذ طريقة معينة للبحث العلمي في حقل علمي معين ونستعملها في حقل آخر. إذن علينا كمؤمنين بالله أن نشهد بكل وضوح بأن الاسلوب – في حد ذاته – أي طريقة البحث والاستقصاء لا يشكل ولا يكون العلم، بل لكل حقل من العلوم طريقته الخاصة والمثمرة للبحث أو التجربة. وهذا ما يدفعنا إلى رفض النظرية السائدة في أيامنا هذه وهي أن ما يقوم به العلماء في مضمار العلوم الفيزيائية والبيولوجية – أي علم الاحياء بموجب أساليب معينة ومنطقية بالنسبة إلى هذه العلوم يجوز جعله الدستور الوحيد لاي بحث علمي في أي مضمار ما. والذين قبلوا هذه النظرية هم مسؤولون عن جعل علم النفس في أيامنا هذه امرا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عقيما. فعالم النفس الذي انفرد في مخبره في المدة الأخيرة صار يعلم بأن الأمور العقلية هي أشكال أو مظاهر دقيقة للأمور المادية. وهكذا نجده وقد انـــزلق إلى موضـــوع آخر فلسفي في طبيعته. أين هو موضوع الروح أو النفس؟ لم يعد لهما أي مجـــال في نظريات العلماء الذين سقطوا فريسة للنظرية القائلة بـــأن الاســـاليب المـــستعملة في الابحاث الفيزيائية تشكل في ذاتها جو هر الطريقة العلمية التي يجب أن تـــستعمل في كل حقل آخر. وهكذا طار العقل والروح من مفردات الكـــثيرين مـــن معاصـــرينا وأصبحت الحياة فريسة للفلسفة المادية العمياء.

لقد ذكرنا أن هناك اعتقاد شبه سائد بين بعض المـــتعلمين ألا وهـــو أن الاكتشافات في العلوم الطبيعية تشكل في أيامنا مانعا قويا لقبول المعتقدات الدينيـــة. وذكرنا أيضاً أن العلم عرف حسب الاساليب المتبعة في الاختبارات التي تجـــري في العلوم التي ندعوها عادة بالعلوم الطبيعية. وبعبارة أخرى ينظر إلى الطريقة المتبعـــة في العلوم الفيزيائية كجوهر الطريقة العلمية التي يجب أن تتبع في جميع وســـائر حقـــول المعارف البشرية. وقد دفع هذا الموقف الكثيرين من معاصرينا إلى القول بأنه لا يمكن للمثقف حسب الطريقة العلمية الحديثة أن يكون متدينا ومؤمناً بالله في نفس الوقت.

والمعلومات التي نحصل عليها من العلوم الطبيعية ليس لها ســـلطة في الأمـــور الدينية. فأمور العلوم الطبيعية تبحث في نطاق ضيق من حقل المعرفة الشاسع. مـــن المستحيل لنا القول بأن نتائج التجارب التي قام بها العلماء في مضمار العلوم الطبيعية تعطينا كل ما نود أن نعرفة عن الكون وعن أنفسنا. فنحن أن اتخذنا هـــذا الموقـــف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الشاذ لابد لنا آنئذ من الاستنتاج كما استنتج بعض العلماء الملحدين بأن الإنسان هو – حسب زعمهم – غلطة كونية.

وقد صرح عالم غير مؤمن بأنه نظرا لاختباراته العلمية العديدة لم يعد هناك مجال لقبول عقيدة الله الخالق. ولكن هذا العالم الملحد لم يكن صريحا كما يجب لأنه أن كانت تجاربه قد قادته إلى ذلك الموقف فإنه كان من واجبه القول أن نظريته لم تترك مجالا ليس فقط لله تعالى، بل انه لم يعد هناك مجال فيها حتى للإنسان أيضاً. وكل نظرية لا تترك أي مجال للإنسان هي نظرية خاطئة لانها لا تعطي صورة حيقيقة للعالم الذي نعيش فيه. واكتشافات علوم الطبيعة انما تختص بالأمور البسيطة والتي يمكن السيطرة عليها بسهولة ولذلك فان النتائج التي نحصل عليها من هكذا تجارب لها أهمية محدودة في المواضيع الفلسفية التي تبحث فيها الفلسفة والمعرفة الدينية.

فبالرغم من التقدم الملموس في حقول العلوم الطبيعية نجد أن مشاكلنا الاساسية واحتياجاتنا الأولية كبشر تبقى في مصاف الأمور التي هي خارجة عن نطاق هذه العلوم. ومن المستحيل لنا كبشر أن نحيا على مستوى الأمور المادية – تلك الأمور التي هي ضمن نطاق المعرفة الفيزيائية.

ومن المهم أن نلاحظ أن الذين لا يؤمنون بالله ولا بأمور ما فوق الطبيعة (أي ما يسمى أحيانا بالأمور الغيبية). يبدأون هم أيضاً من بديهيات لا يمكن برهانها فيزيائيا وهم يشرعون في تفحص أمور الطبيعة. ولذا نقول أن موقفهم هذا ليس بموضوعي كما يدعون. على العكس انهم يعملون حسب تعاليم فلسفة حتمية آمنوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بها مسبقا وعملوا بمنطقها. والتجرد الذي يزعمون أنه يصاحبهم في كل ما يقومون به هو موضوع خيالي بحت.

ليس هناك أي شيء ضمن معرفتنا للأمور الطبيعية والذي يمنعنا من فرض وجود كائنات عاقلة تعمل اما للخير أو للشر وتتدخل في شؤون البشر. ونظرا للاكتشافات العديدة التي جرت في أيامنا وللمشاكل التي نتجت عنها أصبح عالمنا هذا أكثر اكتظاظا بالأسرار والغوامض من عالم الامس. وهذا بدوره لا يؤول إلى جعل الإيمان الديني أقل واقعية، على العكس، عالمنا هذا يشير بكل وضوح إلى وجود هدف وغاية ونظام رائع حتى ضمن الذرة التي لا نشاهدها بالعين المجردة. فمن هو واضع هذا النظام البديع والدقيق؟ أليس هو الله القدوس السرمدي الاله الواحد القدير والمهيمن على جميع مقدرات الكون؟

فما هو الدافع الذي يحدوبالكثيرين من معاصرينا بأن يقولوا أن العلم والدين لا يتفقان؟ هل السبب كائن ضمن طبيعة الإيمان أو طبيعة العلم؟ كلا. ليس هناك سبب كامن ضمن المعرفة العلمية والذي يجعل الإيمان أو المعتقد الديني أمرا غير معقول. فجميع النظريات العلمية عن كيفية تحرك الاجساد السماوية والأرضية ليس لها علاقة بالموضوع الاساسي في الدين ألا وهو وجود الله تعالى اسمه. فالنظريات التي تعرف بالعلمية والتي تحاول تفسير مواضيع طبيعية بحتة لا تمنع الإنسان – نظريا – عن الاستمرار في قبول المعتقد الديني أو الإيمان باله قدير ومهيمن على الكل. أن العلم لا يعادي الدين، ولكنه هناك علماء يعادون الدين وهم يقومون بذلك لا نظرا لكونهم علماء بل لنفس السبب الذي يحدوا بالكثيرين من الناس الذين لم يتقفوا ثقافة جامعية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على محاربة الدين : انهم ملحدون لان قلبهم المظلم يدفعهم للهرب من الله ومن مطاليب شريعته المقدسة.

ان البشر – وهذا يضم العلماء – هم قبل كل شيء مخلوقات مدفوعة من قبل الميول أكثر بكثير مما هي مدفوعة من قبل العقل والمنطق. وهكذا إذا أردنا معرفة السبب الحقيقي للالحاد فان ذلك يظهر كامنا لا في أسباب منطقية بل في دوافع نفسية أي سيكولوجية. ولا بد لنا من القول أن النموالكبير الذي جرى في العلوم الطبيعية في نفس الوقت الذي انتشر فيه الإلحاد لا يعود إلى وجود علاقة مباشرة بين هذين الموضوعين. وكذلك هذه الظاهرة المؤلمة لا تعني أن الإيمان بالله صار أمرا مستحيلا في هذه الأيام. على العكس، كل ما جرى هو أن الاكتشافات العديدة التي جرى تطبيقها في حقول علمية عديدة كالطب والصناعة وسعت الآفاق التي يعيش فيها الإنسان وصار اهتمامه غير منحصر بالأمور التي كان يهتم به الآباء والاجداد. وبما أن العديدين من الناس الذين تخصصوا في الحقول العلمية كانوا قد ابتلعوا تعاليم الفلسفات الإلحادية، فان الكثيرين من الناس صاروا يظنون بأن العلم والدين لا يتفقان.

ما العمل إذن ونحن نجابه هذا الواقع المؤلم؟ علينا أن نجاهر بكل وضوح أنه لا العلم كما يعرف في أيامنا ولا المعرفة بشتى حقولها المتعددة بل أن عبادة الإنسان للمادة وكبرياءه، هذه هي المسؤولة عن أزمة عالمنا المعاصر هذا العالم الشاذ، اللا ديني في تفكيره وفي فلسفاته وايديولوجياته. وكما قال السيد المسيح أن عدو ملكوت الله الدائم هو محبة المال – لا العلم ولا المعرفة. أن فطنة الإنسان وعلمه لم يكونا مطلقا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عائقين يقفان في سبيل قبوله للمعتقدات الدينية. فخسارة الإيمان الديني لا تعود لـــو جود إيمان غيبي أو فوق طبيعي آخر يضار على الإيمان الديني ويتغلب عليه. رفـــض الإيمان بالله هو قبل كل شيء عبارة عن عدم رغبة الإنسان المعاصر في العيش بطريقة تتلاءم مع مطاليب الله من الإنسان وبكلمة أخرى، يهرب الإنسان من الله لأنـــه لا يريد بأن يعيش في حضرة الله ولا أن يحمده في جميع نواحي حياته. ويطلي الملحـــد المعاصر موقفه السلبي والعدائي من الله بطلاء فلسفي شبه علمي فيعلن للملأ بأن العلم والدين لا يتفقان. بينما كان من الاصح له أن يقول أنه كان قد صمم مـــسبقا بـــأن يعادي الله لأنه لا يرغب في العيش مع الله ولله.

الحق والإرادة

كيفما تفحصنا أمور هذا العالم لا بد لنا من الملاحظة أنه هناك نظـــام رائـــع وهدف بديع في صلب تكوين هذا العالم. فالقوانين التي تسود هذا العالم ترى بكـــل وضوح حتى من قبل نور هكذا ضئيل كنور العقل البشري المحدود. وجـــود شـــرائع ونظام وهدف في هذا العالم يفترض وجود منطق ولكن افتراض وجود المنطق لامـــر مستحيل بدون الاعتراف بوجود الحق. وعندما نقر بوجود الحق نرى أن هذا الاقرار يقودنا إلى القول بأن الحق انما يعبر عنه بواسطة مبادىء أو بديهيات التي تسير أمـــورا عديدة في الوجود. ومن هذه البديهيات مثلاً أن كل شيء هو مماثل لذاته، وأن كـــل حركة تجري في الفضاء، وأن كل ما له تأثير في شيء آخر لابد له من استهلاك مادة ما، وأنه من المتعذر لنا بناء بيت في الهواء وأن كل حجرة ترمى إلى الاعلى لابد لهـــا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من السقوط وكذلك أنه في نقطة واحدة لا يمكن لشيئين أن يوجدا في أن واحد، إلى ما هناك من بديهيات أخرى.

وهذا يقودنا إلى القول بأن الحقيقة هي وليدة الحق وأنه لاشيء يعد حقيقيا أن لم يكن من الحق. وبعبارة أخرى، بدون فكرة الحق لا يمكن للكون بأن يوجد ولا للحظة واحدة. وما دام الكون موجودا لابد لفكرة الحق من أن توجد أيضاً. أن كلا من الكون والحق قد ابتدأ بالمسير معا على طريق الوجود معا يصلان إلى نقطة البدء. ليس الحق إذن سوى مجموعة المبادىء والقوانين التي هي ضرورية للخليقة وللكون.

فالحق هو أهم موضوع في الكون هذا الكون الذي جاء إلى حيز الوجود نظرا لعمل الله الباري، الكون بأسره يتدخل لمصلحة الحق ويشهد له. فالكذب إذن لا يبرر الا إذا تمكن أحد من خلق كون يكون فيه الكذب جزءا منه، وحيث يعد الحق من وجهة نظرنا أي من وجهة نظر كوننا هذا، كذبا في ذلك الكون. وطبعا هذا لامر مستحيل، لان الله هو الخالق وهو يعمل كل شيء حسب الحق.

الله وحده هو الخالق وهو يخلق حسب مبادئه الخاصة. الوجود هو عظيم ورائع ولكن مبادئه الأولية ترتكز على الله وهذا يعني أن الله يعمل دوما بجانب الحق. والمنبع الأول لكل حق هو المعرفة الذاتية التي يتمتع بها الله عن ذاته القدوس. فالحق إذن يعلوعلى أمور هذا الكون الذي هو خليقة الله. الحق أن كان على الأرض أو في السماء، الحق هو من الله ذاته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن هذا الكون ليس مسرحا لأمور موجودة فقط بل انه أيضاً مسرح للأعمال. فعلاوة على كون أو وجود العالم نراه أيضاً كمسرح لتغييرات غير منقطعة منبعثة عن الارادة. الارادة في حد ذاتها عالم متغير ومتقلب. ولو لم يكن هناك قائد ومرشد للارادة التي تنبعث منها الأعمال لحدث تشويش هائل في عالمنا. ياترى ما هو المبدأ الاساسي الذي يقود الارادة؟

هل يكفينا القول : يجب أن تكون الارادة قوية؟ كلا. لان القوة هي عبارة عن كمية، ومن البديهي أن كل كمية هي بطبيعتها نسبية. ففي حالة معينة يمكن النظر إلى الضعيف كقوي، وكذلك يمكننا أحيانا القول بأن حتى القوي هو ضعيف في مناسبة أخرى. نحن نبحث جادين لا وراء كمية بل وراء كيفية.

ولن يكون جو ابنا صحيحا فيما لو قلنا : من واجب الارداة أن تكون حكيمة ومهتمة بأمور الغير. فهذا المقياس غير كاف، لاننا كثيراً ما نكون باطنيين في مقاييسنا وما هو مفيد لنا قد يكون مضرا بالآخرين. ولا يكون جو ابنا صحيحا أن قلنا بأنه من واجب الارادة أن تكون ظافرة ومنتصرة أو واثقة بنفسها. لاننا إذ ذاك نكون واصفين الارادة حسب مبدأ الكمية لا الكيفية.

ليس هناك إذن جو اب صالح على الأرض وفي السماء، للملائكة أو البشر أو الحيوان سوى القول : على الارادة أن تكون طيبة أي صالحة. فالارادة الصالحة وحدها قادرة بأن تجد مكانها الملائم وتندمج ضمن نظام الخليقة الاساسي. وكل ارادة معاكسة لله هي تخريبية لا ارادة صالحة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولقد اختلف العلماء في تحديد الارادة الصالحة أو الارادة الطيبة. قال بعضهم : الارادة الصالحة هي التي تولد القوى العقلية المجردة. وقال آخرون : تكـــون الارادة طيبة متى أضحت متجانسة مع الكون وآخرون قالوا : الارادة الصالحة هي تلك التي تخضع للشريعة الاخلاقية. ومن الاصح لنا القول أن الارادة العليا في هذا الكون هـــي ارادة الله. وهذه هي الارادة الصالحة والمطلقة. ارادة الله هي الارادة الطيبة على أعلى مستوى. وتصبح الارادة البشرية صالحة وطيبة فيما إذا كانت تطيع الارادة الإلهية، لا عن خوف أو حساب بل بدافع المحبة والخشوع.

والعمل بالارادة الإلهية لامر ممكن لان الله تعالى لم يتركنا في جهل لارادتـــه إذ انه قد كشف عنها بصورة عامة في نموالفكر البشري. وبصورة خاصة كشف الله عن ارادته في الكتب المقدسة ولا سيما في السيد يسوع المسيح وهو كلمة الله المتجـــسد. يساعدنا الإيمان على التمسك بارادة الله الطيبة وتساعدنا الطاعة بأن نجعل من هـــذه الارادة أمرا نحيا به. وهكذا تصبح الارادة الإلهية ارادتنا نحن أيضاً. فمن المستحيل إذن الكلام عن الارادة بدون كلام عن الطاعة.

وهكذا لا يمكننا اتخاذ موقف عدم المبالاة بخصوص وجود أو عدم وجود هذه الارادة الصالحة. لو لم توجد الارادة في عالمنا هذا – أي الارادة الصالحة – لكانـــت العاقبة وخيمة ولتقتت الإنسانية بأسرها. ولا يكفي مطلقا بأن تظهر الارادة وكأنهـــا صالحة، عليها أن تكون صالحة بالحقيقة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إذ أنها لو تظاهرت بالصلاح فقط لكانت عبارة عن خداع ونفاق. وكما في حقل الحق هكذا أيضاً في حقل الارادة : نجد مرضا خطيرا في لبها. وبينما أن سرطان الحق هو الكذب فان مرض الارادة المميت هو الخطية هما جذعا شجرة واحدة يظهران في عالمين متميزين : عالم الموجودات وعالم الأعمال. وكلاهما ينبعان من العدو القديم لله وغاية هذا العدو أن يدمر ويخرب ما خلقه الله، أي أن يحرم الله من عالمه وأن يحرم العالم من الله. لكن عاقبته وخيمة للغاية إذ أن الله سيظهر نصره التام على الشيطان في اليوم الأخير.

وحدانية الشخصية البشرية

تتصف أيامنا هذه بالتقدم الكبير الذي جرى في مضمار العلوم الطبيعية. وقد كثرت مفرداتنا المتعلقة بالفضاء والمركبات الفضائية وغزوالقمر والسيارات التي تدور في فلك شمسنا. وما كان يحلم به الآباء والاجداد صار أقرب إلى الواقع في أيامنا هذه. ومن المهم الملاحظة أن التقدم العلمي لا ينحصر في مواضيع الفضاء والمادة وغير ذلك من الأمور التي تحيط بالإنسان في عالمه الخارجي. فقد حدث تقدم عظيم في الابحاث المختصة بذات الإنسان وبشخصيته وبحياته النفسية والجسدية. وكم علينا أن نكون شكورين لله بخصوص كل ما جرى في حقل الطب. مثلاً الكثير من الأوبئة التي كانت تفتك بالناس في العصور السالفة صار بالامكان التغلب عليها أو منع انتشارها من مكان إلى آخر. على كل بشري القول : أشكر الله لاني أنا شخصيا قد انتفعت من تقدم العلوم الطبية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لكنه هناك ظاهرة مقلقة في أفق حياتنا المعاصرة ألا وهي أن التقدم العلمي حدث في عصر ظغت عليه فلسفة حياتية ومادية تنكر جميع القيم الروحية التي ورثناها عن الاباء والاجداد. وصار البعض يخالون أن تقدمنا العلمي هو وليد ونتيجة الفلسفة المادية الاحادية. وقد وقع العديدون من معاصرينا فريسة لهذا التفكير و لم يعودوا قادرين بأن يتخلصوا من حبائل المادية. ومن الأمور المحزنة أننا صرنا ننظر إلى الإنسان وكأنه مجرد حيوان وصل إلى مستوى عالم من الوجود ولكنه مع ذلك يبقى حيوانا في صميم كيانه. وإذا ما سمحنا لهكذا أفكار بأن تسير على منطقها الخاطىء فان اليوم ليس ببعيد عندما تضحي فيه البشرية بأسرها أسيرة لعبودية فكرية وعقائدية لا مثيل لها. ولذلك لا نغإلى مطلقا أن قلنا أننا في حاجة ماسة للبحث في موضوع الشخصية البشرية. ما هي الشخصية الإنسانية؟

الشخصية الإنسانية فريدة ليس لها مثيل في الكون بأسره. وها أن تاريخ الإنسانية المدون في الكتب والآثار القديمة يعطينا فكرة حية عن أعمال ومآثر هذا الكائن المدهش الذي نسميه بالإنسان. نقول أن الإنسان فريد لأنه يتمتع بشخصية فريدة الإنسان فريد لأنه روح وجسد أو نفس وجسد ليس الإنسان بمخلوق روحي محض وليس هو بجسدي محض. الإنسان مخلوق ذو شخصية إنسانية فريدة واحدة ولكنه روح وجسد. ومن العبث التفكير بالإنسان كروح فقط أو كجسد فقط.

ولكن ما هي الروح؟ من الاسهل لنا الكلام عن الجسد ولكن عندما نشرع بالكلام عن الروح لابد لنا من القول أن موضوعنا غير سهل. ونظرا لصعوبة الموضوع ولكونه غير قابل بأن يوصف بلغة العلوم البيولوجية نتكلم عنه بطريقة سلبية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قائلين : ليست الروح مادية، الروح هي غير جسدية ولكنها ليست أقل وجودا من الجسد. ونكون جد مخطئين أن توقفنا لدى هذا الحد في كلامنا عن الروح. فالروح البشرية هي كما هي لأنه هناك كائن أعظم، روح سرمدي أي الله تعالى اسمه. فلولا الله لما كان شيء ولما وجدت الروح البشرية. الإيمان بروح الإنسان والإيمان بالله وهو روح سرمدي وقدوس أمران مرتبطان معا كل الارتباط. شاء الله وخلق كائنا اسمه الإنسان وخلقه لا كسائر المخلوقات الأخرى بل جعله ساميا ذا جسد وروح ولكن بشخصية واحدة وبقلب نفسي واحد.

ومع أننا نقدر تحليل جميع المواد التي تكون جسد الإنسان تحليلا كيماويا الا أن هذه المواد فيما إذا جمعت معا لا تشكل بحد ذاتها الإنسان. الإنسان هو خليقة الله ومع أن جسده مأخوذ من تراب الأرض – ولذلك نجد ارتباطا قويا بين الإنسان والأرض وجميع ما عليها من كائنات حية وغير حية – الا أن جسد الإنسان هو فريد وعظيم لأنه مع روح الإنسان يكون الشخصية البشرية الواحدة. لماذا نشدد على هذه الفكرة الاساسية أي على وحدانية الشخصية البشرية؟ لان هذا مهم جدا عندما نتكلم عن موضوع روح الإنسان وجسده من المهم جدا أن لا نجعل من الإنسان كائنا ازدواجيا أي كائنا ذا شخصية مزدوجة. الإنسان شخص واحد، للإنسان شخصية واحدة. فعندما نتكلم نتكلم كشخص واحد ونقول : أنا جائع. أنا عطشان. أنا سعيد أو أنا كئيب. فمهما كان شعورنا الداخلي نتكلم كشخص واحد بغض النظر فيما إذا كان شعورنا منبعث عن الجسد أو عن الروح. وبما أن كل إنسان هو شخصية إنسانية واحدة فإنه مسؤول عن جميع أفكاره وأقواله وأعماله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وينتج عما ذكرنا أنه من واجبنا أن ننبذ الاخطاء التي وقع فيها الإنسان عبر القرون المتعاقبة.

١. علم بعض الفلاسفة القدماء بأنه هناك عداوة بين الجسد والروح وأن غاية الإنسان العظمى هي أن يتخلص من جسده في النهاية. وقد شبه أحدهم جسد الإنسان إلى زجاجة ملآنة بالماء ومطروحة في البحر. سعادة الإنسان العظمى تكمن – حسب ادعاء هذا الفيلسوف القديم – أن تكسر الزجاجة التي ترمز إلى الجسد، فيندمج ماؤها بماء البحر الرامز إلى الكون المادي. وهذه النظرية ترتكز على اعتقاد خاطىء للغاية لانها في صلبها تنكر استقلال الشخصية البشرية جاعلة اياها جزءا من الكون الذي هو مؤله. طبعا هذه النظرية تنكر وجود اله سرمدي قدير مستقل عن الخليقة ومهيمن على جميع مقدراتها.

٢. علم آخرون أن الجسد هو القسم المنحط من الشخصية البشرية وأن الروح هي القسم السامي من هذه الشخصية. لكن هذه النظرية الازدواجية هي خاطئة إذ أنها تفترض أن الله تعالى خلق الإنسان بطريقة ناقصة أو غير كاملة وتنظر إلى الجسد وكأنه عالة على صاحبه. طبعا، ليست الروح بالجسد ولا الجسد بالروح ولكنهما معا يشكلان الشخصية الإنسانية الواحدة. وان كان يصدر عن الإنسان كثير من الأمور المحزنة فذلك لا يعود إلى انحطاط الجسد أو سموالروح – كيانيا – بل لخلل آخر سنأتي على ذكره في حينه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣. وعلم آخرون بأن الجسد سيتلاشى نهائيا وأبديا بينما تبقى الروح خالدة. وزعموا بأن هذا الخلود المجرد يكون سعادة الإنسان العظمى. وهذا تعليم خاطىء لأنه ليس ضمن نطاق المعرفة البشرية الكلام عن تلاشي الجسد بصورة نهائية إذ أن الله علم بكل وضوح في وحيه المقدس بأن الجسد البشرى سيقام من الأموات وأن الروح ستعود إلى الجسد في يوم القيامة. ليست السعادة العظمى إذن في خلود مجرد ومنعزل وبارد بل في توحيد الشخصية البشرية وفي شركتها الدائمة مع الله خالقها تلك الشركة التي يحصل عليها كل إنسان تصالح مع الله في هذه الحياة وبواسطة المخلص المسيح وعمله الكفاري والفدائي الذي اتمه على الصليب.

لقد ذكرنا أن الإنسان كائن فريد ذوشخصية واحدة لكنه روح وجسد في وحدة حيوية واحدة. وتظهر وحدانية الشخصية البشرية في كلام الإنسان عندما يقول : أنا.. وهو يعبر عن حالته الداخلية بغض النظر فيما إذا كان يتكلم عن أمور منبعها الجسد أو الروح ونظرا لكون الإنسان شخصا واحدا فإنه مسؤول عن جميع أفكاره وأقواله وأعماله وتصرفاته.

وانتقلنا إلى الكلام عن بعض الاخطاء التي يقع فيها الناس وهم يتأملون في موضوع شخصية الإنسان ومصيرها. فهناك البعض الذين علموا بأنه هناك عداوة أصيلة بين الجسد والروح. تتم السعادة العظمى – حسب هذا الزعم – عندما يحدث انفصال تام ونهائي بين عنصري شخصيته الواحدة : أي بين جسد الإنسان وروحه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا التعليم هو خاطىء من أساسه لان الجسد والروح ليسا في عداوة بل يلعب كل منهما دوره الهام ضمن وحدة الكيان الإنسان الواحد.

وزعم آخرون أن الجسد هو القسم المنحط من الشخصية البشرية بينما الروح هي القسم السامي والكامل. وهذا الافتراض خاطىء في أساسه لأنه لا يمكن المسأواة بين الجسد والانحطاط من جهة ولا الروح والسمومن جهة أخرى. ليس الجسد في ذاته منحطا وروحانية الروح لا تضمن سموها ولا كمالها.

وذهب آخرون إلى القول بأن مصير الجسد هو الاضمحلال والاندثار المطلق بينما تكمن سعادة الإنسان في ديمومة الروح وفي خلودها. هذا اعتقاد خاطيء لان جسد الإنسان مع كونه مأخوذا من تراب الأرض الا أنه يشكل كيانا جديدا في وحدة حيوية وديناميكية مع الروح. ليس من الصواب القول بأن الجسد سيندثر نهائيا وأبديا لان الله سيقيمه من الأموات في اليوم الأخير تكمن السعادة الأبدية في توحيد الشخصية البشرية كروح وجسد وفي حصولهما على شركة دائمة مع الله الباري، هذه الشركة التي يحصل عليها كل من تصالح مع الله الخالق بواسطة الإيمان بيسوع المسيح المخلص وعاش في حضرته حياة القداسة.

وحدانية الشخصية البشرية هي موضوع هام لأنه يمس كل إنسان مهما كان وأينما وجد. وعندما نذكر موضوع الوحدانية بخصوص الشخصية البشرية نكون متكلمين عن هذا الموضوع من الناحية المبدئية. هذا يعني أن الوحدانية في الشخصية البشرية كائنة مبدئيا، ولكنه من الناحية الواقعية لا يتمتع كل إنسان في هذه الدنيا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بتجانس وتناسق تام ضمن حياته. وبعبارة أخرى أن كلا من الجسد والروح لا يعملان معا بتناسق وسلام وهدوء. وهكذا نقول من الناحية العملية : لا تظهر وحدانية الشخصية البشرية كما ينتظر منها في حياة الإنسان ولا سيما إنسان اليوم لأنه هناك عوامل عديدة تعمل على تفكيك الشخصية فتجعلها مسرحا لحروب واضطرابات نفسية وروحية شديدة. وكم من المؤسف أننا وقد وصلنا اليوم إلى معرفة أمور كثيرة عن حياة الإنسان النفسية الا أنها ليست على ما يرام في أيامنا هذه. وكلما تقدمنا في مضمار المدنية والحضارة العصرية كلما تكاثرت وتعقدت مشاكلنا النفسية والروحية وكلما تعرضت وحدانية الشخصية البشرية للتفسخ والتبعثر.

وبما أن طابع حضارتنا المعاصرة هو مادي بحت وبما أن الفلسفة التي تشبع الجو العلمي المعاصر هي فلسفة تنكر العنصر الروحي لشخصية الإنسان وتنظر اليه ككائن مادي راق ومتقدم في سلم الكائنات الحية صرنا نشاهد ثمار هذه الافكار في شتى نواحي الحياة المعاصرة وعلى كل صعيد منها الفردي والعائلي والاجتماعي. ومع أن الإنسان المعاصر المتأثر بالفلسفة المادية لا ينكر وجود مشاكل نفسية الا أنه يقوم بتعليلها وتشخيصها على أسس ومبادىء مادية وحتمية صرفة. وهذا التشخيص لمشاكلنا الإنسانية في عصرنا هذا – أي التشخيص المبني على المفهوم المادي للوجود هذا المفهوم الذي ينكر الله والروح – هذا التشخيص لا يساعدنا مطلقا على حل مشاكلنا ومع أهمية الأمور الاقتصادية والتقنية في عصرنا الا أن مشاكلنا ليست في صلبها اقتصادية أو تقنية، بل انما تكمن في حقل الشخصية الإنسانية وفي علاقتها مع الباري ومع بقية أفراد البشرية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومشكلة الشخصية البشرية ليست بمشكلة حديثة بل انه ظهرت في سائر العصور وهي تشير إلى مرض روحي خطير ملم بشخصية الإنسان. وعلة الإنسان هي أنه مريض بمرض روحي مزمن ألا وهو الدوران على محور الذات. وفي هذه الانانية نكران مبدئي لطابع الشخصية الإنسانية الهام ألا وهو أن الإنسان مخلوق اجتماعي وحياته المثلى مستحيلة – وخاصة في عصرنا هذا – أن دارت على محور الانانية. وصحة المجتمع الإنساني تتطلب تلاشي الانانية وتعاون سائر أفراد المجتمع على بناء حياة أفضل يعمل فيها كل إنسان من أجل خير ومنفعة المواطنين.

كلنا نعلم أن حالة الإنسان ليست على ما يرام. ولكن هذه المعرفة غير كافية. ينقص الإنسان الارادة والمقدرة على التغلب على تلك القوى التي تهدد كيان شخصيته وتاريخ البشرية حافل بالاراء التي لم تفد الإنسان بشيء. ومهما تعبنا في بحوثنا في هذا الموضوع فاننا لن نأتي بتشخيص أكثر واقعية وفائدة من تشخيص الكتاب. يدعوالكتاب هذا المرض الملم بالشخصية البشرية – بالشخصية البشرية ليس بالروح فقط أو بالجسد فقط – باسم الخطية. وهذا الميل القوي لانفصام الشخصية البشرية والذي يدفع الإنسان إلى الفشل في الوصول إلى الهدف المنشود يدعوه الخالق باسم خطية وليست الخطية بصفة سطحية خارجية يستطيع الإنسان التخلص منها بسهولة. انها لمرض عضال، مرض لا يمكن التغلب عليه بدون تدخل إلهي حاسم وجبار. وفصول الكتاب التي تصف لنا مرض الشخصية الإنسانية تصف بصورة أكبر هذا التدخل الإلهي الفعال والحاسم والذي يعرف في الكتاب باسم الخلاص والفداء. وكل من تذوق هذا العمل الإلهي الي بنى صرحه المسيح يسوع بموته الكفاري على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الصليب وبقيامته المجيدة من الأموات كل من تذوق ذلك ضمن صميم حياته يعيش حياة الشكر والامتنان لله محرره من طغيان واستعمار الشر والخطية والشيطان.

الكون العجيب

لابد أن القاريء العزيز قد لاحظ أننا قد أتينا على ذكر موضوع العلم والعلماء في مناسبات عديدة وكذلك ذكرنا سيطرة الفلسفة المادية على التفكير في أيامنا هذه إلى درجة كبيرة حتى صار الكثيرون من الناس يعيشون بدون إيمان حي بالله القدير. ولكننا لا نود أن نعطي فكرة غير صحيحة وكأن جميع العاملين في حقل العلوم قد وقعوا فريسة للمادية. هناك العديدون من العلماء المختصين بالعلوم الطبيعية وهم يؤمنون كل الإيمان بالله وبعنايته الفائقة للعقل البشري. وفيما يلي نقتبس مما ورد في صحيفة يومية عربية. اقتبس كاتب المقال عن عالم كبير وكتب عن موضوع هام وهو التصميم الدقيق في الوجود الكوني قائلاً : " ان استعراض عجائب الطبيعة ليدل دلالة قاطعة على أن هناك تصميما وقصدا في كل شيء وأن ثمة برنامجا ينفذ بحذافيره طبقا لمشيئة الخالق عز وجل. أن حجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة وسمك القشرة الأرضية وكمية الماء ومقدار ثاني أو كسيد الكربون – أو ثاني أو كسيد الفحم وحجم النيتروجين – أو الآزوت – وظهور الإنسان وبقاءه على قيد الحياة، كل هؤلاء تدل على النظام والتصميم والقصد " ومن المعروف أن النسيج الجسماني يتألف من خلايا صغيرة وأن العنصر الهام في الخلية يعرف باسم البروتوبلازم. وقد قال أحد العلماء : " ان المادة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحية المعرفة بالبروتوبلازم هي خليط معقد جدا من الاملاح والسكريات والـــدهون والبروتينات "

ألا تدفعنا هكذا تصريحات بأن نقول يا الله، ما أعظمك وما أمجد اسمك؟

" أني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقيـــد إلى هكـــذا درجة حتى يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة علـــى سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطـــق " هـــذه كلمـــات مقتبسة من عالم بحث في علم الاحياء أي البيولوجيا.

وعندما نلقي نظرة على عالم النبات قد لا نتعجب فيها بهدوء ونظام عجيبين. لندع أحد علماء النبات يخبرنا عنها : " لا يكفي أن يكون هنـــاك ضـــوء ومـــواد كيماوية وماء وهو اء لينموالنبات. أن هناك قوة داخل البذار تنبثـــق في الظـــروف المناسبة فتؤدي إلى قيام كثير من التفاعلات المتشابكة المعقدة والتي تعمل معا في توافق عجيب. ورغم ما بين أنواع النبات من تشابه تجد لكل صفته وخواصه المميزة "

وإذا انتقلنا إلى التأمل بالكون بأسره لابد لنا من الاقرار بعظمة بـــاري هـــذا الكون : " ان الإنسان يشاهد التنظيم والابداع حيثما ولى وجهه من نواحي الكـــون ويبدوأن هذا الكون يسير نحو هدف معين كما يدل على ذلك النظام الذي نشاهده في الذرات. وكلما ازداد علمنا بالذرات وبالقوانين التي تتحكم في توزيع البروتونات والالكترونات لانتاج العناصر المختلفة ازداد إيماننا بما يسود عالم المادة مـــن توافـــق ونظام "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقال أحد علماء الرياضيات " ان دراسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة عن التحيز وتتسم بالعدل والانصاف قد أقنعتني أن هنالك سيطرة مركزية هي سيطرة الله وقوته التي توجد الكون وأن هنالك ظواهر عديدة تدل على وحدة الغرض في هذا الكون وتشير إلى نشأته والسيطرة عليه ولابد أن تتم على يد الله الواحد لا آلهة متعددة كما وان النظريات الحديثة التي تفسر الكون والسيطرة عليه بصورة تخالف ما جاء في الكتب السماوية، تعجز عن تفسير جميع الحقائق وتزج بنفسها في ظلمات اللبس والغموض "

ومع أن العلماء الملحدين يودون بأن يظهروا للملأ أن آراءهم هي منطقية للغاية الا أنهم في الحقيقة يتطلبون من الناس أن يكونوا أقل انتباها لمجموعة الحقائق التي تظهر لنا ونحن نتأمل في شتى الحقول أي حقول هذا الكون الذي نعيش فيه. وقد كتب أحد العلماء قائلاً : " ان الكيمياء الجيولوجية – أي المختصة بعلم طبقات الأرض – التي أدرسها تعلمنا أن ننظر إلى الاشياء نظرة واسعة... ومثل هذه النظرة إلى الأمور تجعلنا نزداد تقديرا لعظمة وجلال الله، أما غير المؤمنين فسيمتلئون رهبة ورعبا "

ومن المؤسف جدا أن الفلسفة المادية التي طغت على العالم الفكري في أيامنا هذه جعلت الكثيرين من الناس ينظرون نظرة آلية إلى الإنسان وإلى سائر نواحي حياته وكم نسر عندما نجد بعض العلماء يتخذون هذا الموقف الإلحادي من الإنسان ويقولون بعد اختبار طويل ما قاله هذا العالم :

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

" يتظمن الفكر أكثر مما تستطيع الآله والقواعد الآلية أن تحققه، واني أعتبر تفسير السلوك الإنساني تفسيرا آليا لا يستند إلى أساس سليم، لانني أستطيع أن أفكر "

وقال عالم آخر عن هذا الموضوع مظهرا انعدام المنطق السليم في النظريات الآلية التي تفسر الإنسان وطاقته العقلية : " اني كثيراً ما طلبت من تلاميذى أن يصفوا لي شيئاً غير مادي مثل الفكرة وطلبت منهم أن يبينوا لي التركيب الكيماوي للفكرة وطولها وعرضها بالسنتمتر ووزنها بالغرامات ولونها وضغطها وأن يصفوا لي شكلها وصورتها فعجزوا عن القيام بذلك فصار من الواضح أنه لكي نصف أمرا غير مادي لابد من استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافا كبيرا عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم – أي العلوم الطبيعية.

وهكذا وبعد اضطلاعنا على آراء بعض العلماء الذين لم ينجرفوا في تيار الإلحاد المعاصر نحمد الله لأنه قادهم للكلام ولوبصورة جزئية عن عظمة وبهاء الكون العجيب وفي نفس الوقت يجدر بنا الملاحظة أنه مهما كثرت الدلائل التي تشير إلى عظمة الباري الا أن الذين لا يؤمنون بالله لا يمكن بأن يقتنعوا بوجوده تعالى. فان كان هناك علماء لا يؤمنون فان ذلك لا يعود إلى قلة الأمور التي تكشف عن عظمة الله بل إلى خلل روحي داخلي في حياة الملحدين. وكما أننا بحاجة إلى جهاز راديولالتقاط الموجات الإذاعية التي تملأ فضاءنا هكذا أيضاً يحتاج كل إنسان إلى قلب سليم وإلى إيمان سليم يقبل الدلائل المتكاثرة والتي تشير إلى عظمة الله القدوس وعمله البديع في هذا الكون.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عودة إلى البدء

كان أحد أساتذة الجامعات يتأمل في ماضيه فقال : " عندما كنت فتيا كنت أظن أنه من السهل فهم ماهية الشمعة. فقد كنت قد طالعت في الكتب كيف أن الشمعة تصنع نورها وتنشره في الجو المحيط بها. أما الان فان السهولة التي كانت تحيط بموضوع الشمعة ونورها قد ولت. أمامي الان لغز لا أستطيع حله. تقوم الشمعة بنشر نورها بكل سهولة ولكن من هو الإنسان الذي يستطيع أن يفسر كيفية حدوث ذلك؟ يا ليت كانت الشمعة تتكلم وتخبرنا عن سرها فإذ ذاك لتوافد اليها العلماء من كل حدب وصوب ليستمعوا إلى أجوبتها "

وتمادى الأستاذ في التأمل في موضوع الشمعة ونورها وأخذ يفكر بأحفاده الذين سيشاهدون الشمعة وهي تضيء بنورها الجميل فقال " أرفع دعائي إلى الله ليمنحهم أدمغة كبيرة إلى درجة أنهم يندهشون من ظاهرة الشمعة ونورها "

وقد نندهش لدى قرائتنا لهذه الكلمات التي تفوه بها الأستاذ الجامعي فنقول : هل كان جادا عندما تكلم عن الشمعة وكيف أضحت بالنسبة اليه لغزا معقدا؟ ولكننا هل نقدر الادعاء بأن موضوع الشمعة ليس بمستحق أن ننتبه اليه أو نندهش منه؟ ها هو عالمنا وقد صار مليئا بالناس الذين لم يعودوا يندهشون لا بشمعة مضيئة ولا بأي شيء يجري حولهم في هذا الكون البديع. لقد أعتادوا رؤية الحوادث البيعية تتم بكل هدوء ونظام و لم يرغبوا بأن يفكروا من الناحية المبدئية في ماهية هذه الحوادث.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وجميعنا معرضون للوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كل إنسان لم يعد يندهش من العالم المحيط به والأمور الباهرة التي تجري حوله. ولكننا ما أن نشاهد اختراعا حديث حتى يملأ العجب قلوبنا وعقولنا ولكننا لم نعد نتعجب إذا تأملنا في الإنسان العجيب الذي يعيش على سطح نجم صغير جدا – أي الكرة الأرضية التي نعيش على سطحها. ولسنا نندهش بأن أرضنا تدور حول نجم كبير – أي الشمس – تبلغ حرارته درجة عالية جدا.

ألسنا جميعا ميالين إلى النظر إلى جميع مظاهر الطبيعة وكأنها بسيطة للغاية وسهلة الفهم؟ ولكن العلماء الذين يتأملون في هذه المظاهر البيعية لا يقفون هذا الموقف بل يعلمون كل العلم ويصرحون بأن أمور الكون هي معقدة للغاية. نحن مهما كنا مخلوقات عاقلة ولا نكون عائشين كما يجب أن لم نستعمل عقولنا ونمرنها لتفكر في المواضيع الاساسية. ومن البديهي أننا نعيش في عالم عجيب فلابد لنا من التساؤل كيف جاء عالمنا هذا إلى حيز الوجود وما هي غايته في الوجود ولماذا نجد أنفسنا على هذه الأرض؟

لنبدأ إذن بجميع الحقائق ولنفحصها كما يجب. هناك في الفضاء الخارجي مجموعة من النجوم تدور في الفضاء وشمسنا هي نجم واحد من ملايين النجوم السابحة في الفضاء الشاسع. يلزم للنور المنبثق من نجم واحد نحو مئة ألف سنة للوصول إلى الطرف الآخر من مجموعة هذه النجوم. وإذا خرجنا خارج هذه المجموعة من النجوم لا نجد – لمسافة هائلة – سوى بعض الذرات التائهة في الفضاء العظيم. وعلى بعد نحو مليون سنة ضوئية من هذه المجموعة توجد ملايين من المجموعات النجمية التي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تشابه مجموعتنا النجمية. وكلما نجحنا في بناء تلسكوبات كبيرة كلما سهل علينا مشاهدة هذه المجموعات النجمية التي توجد في كوننا الهائل. والشيء الذي يدهشنا جدا هو أن جميع هذه المجموعات النجمية تتسارع مبتعدة عنا، القريبة منا بسرعة أقل من تلك التي بعيدة عنا. وإذا ما أخذنا أبعد مجموعة نجمية نعرفها فان النور الذي يشع منها يتطلب نحو مليار سنة للوصول الينا.

يا ترى ما هو القصد أو ما هي غاية وجود هذه المجموعات النجمية ومن أين أتت؟

مثلا، كان الاغريق القدماء يظنون بأن النجوم كانت موجودة منذ الازل. ولكننا نعلم اليوم أن ذلك الاعتقاد هو خاطىء للغاية. فهناك دلائل عديدة تشير إلى أن النجوم جاءت إلى حيز الوجود في نقطة معينة من الزمن. فهناك مجموعات نجمية لو لبية تدور حول نفسها وقد دارت مرات قليلة منذ نشأتها. فإذا كانت المجموعات النجمية تسير متباعدة عن نفسها فان هذا يدل على أنها كانت أقرب إلى بعضها البعض في الماضي. والكون يظهر في حالة الانفجار وهذا الأمر لا يمكن أن يكون قد جرى منذ الازل. لابد للنجوم من أن تكون قد أتت إلى الوجود في الماضي وفي نقطة زمنية من الماضي أي لدى الخليقة.

وقد أشار العالم الشهير اسحق نيوتن إلى ظاهرة تجري بصورة دائمة في عالمنا. إذا أخذنا جسمين ووضعناهما الواحد جنب الآخر وان كان احدهما حارا والآخر باردا، لابد من أن يصلا إلى درجة حرارية متوسطة بينهما. مثلا، لنأخذ لترا من الماء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الساخن ولترا من الماء البارد ونمزجهما معا. يصبح لدينا ليتران من الماء الفاتر. من المستحيل لنا بعد ذلك استرجاع اللتر الحار واللتر البارد من الليترين الفاترين. مثلاً نجد الطبيعة الاجسام الحارة كالشمس تعطي بصورة دائمة حرارتها للاجسام الباردة كالأرض والقمر. نستنتج من ذلك بأنه من المستحيل لهكذا ظاهرة بأن تكون قد حدثت منذ الازل أو أنها ستدوم إلى الابد. ففي النهاية – أي من الناحية النظرية – تصل جميع الاجسام في هذا الكون إلى درجة حرارية واحدة. إذن لابد لعالمنا ولكوننا من أن يكون قد صار أو حدث في نقطة زمنية واحدة أي لدى الخليقة كما يعلمنا الوحي الإلهي، والا لما كان هناك أي تفاوت في الحرارة بين الشمس من جهة والأرض والقمر من جهة ثانية.

ونجد في جميع المجموعات النجمية تأثير النجوم على بعضها البعض ولولا وجود تباين واختلاف في الحرارة لما كان هناك أي تأثير لنجم على نجم آخر. ولوكان هذا الكون المادي أزليا أما كان كل شيء في الوجود على نفس الحرارة وأما انعدمت آنئذ تفعالات الاجرام السماوية مع بعضها البعض؟ إذن لابد لنا من الاستنتاج أن الكون لم يكن منذ الازل.

تأملنا في بحثنا هذا في الدلائل العديدة التي تشير إلى أن الكون الذي نعيش فيه هو غير أزلي. وهكذا أظهرنا اختلافنا الجذري مع تعاليم بعض فلاسفة الاغريق الذين نادوا بأزلية الكون المادي. لنبحث مثلاً في موضوع ولادة وموت النجوم. لقد وجد علماء الفلك بأن نجمة كبيرة تشع بضوئها بشكل كبير وأنها تتقلص أيضاً بسرعة. وهذا يدل على أنه هناك حد لعمر أي نجم في الفضاء الشاسع. إذ أنه لابد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لك نجم من أن يضمحل في يوم ما. وسنجد أنفسنا أمام أمر غير معقول – وذلك أن لم نأخذ عقيدة الخليقة بعين الاعتبار – إذا فكرنا كما يلي :

بما أن كل نجم يتضاءل ويتقلص فإذا ما رجعنا إلى الماضي السحيق لكان حجم كل نجم كبيرا وهائلا، وان تمادينا في الرجوع تاريخيا إلى الوراء لكان حجم كل نجم هائلا إلى هكذا درجة لملأ الفضاء بمفرده ولكن هذا امر غير معقول وغير ممكن لاننا نعلم بأن فضاءنا مليء بالنجوم العديدة. ألا تشير جميع هذه الدلائل إلى أن عالمنا هذا كانت له بداية؟ وأليس من المنطقي لنا بأن نأخذ موضوع الخليقة بعين الاعتبار في حياتنا الفكرية والعلمية؟

لنأخذ أيضاً العناصر المشعة كالأورانيوم والثوريوم. نجد هذه العناصر على أرضنا بشكل فلزات أي أنها توجد كمزيج يحتوى على هذا المعدن المعين. وهذه العناصر المشعة توجد لزمن محدود فقط. وهنا لابد لنا من مجابهة هذه المسألة : بما أن هذه العناصر تنحل وتتفكك بصورة تدريجية غير باقية على حالتها كالعناصر الأخرى غير المشعة، لابد لنا من معرفة مصدرها. من أين أتت هذه العناصر كالأورانيوم والثوريوم والبلوتونيوم وغيرها؟ فان كانت أرضنا قد انفصلت عن الشمس في نقطة معينة من الزمن لابد لهذه العناصر النادرة من أن تكون موجودة في الشمس أيضاً. ولكننا إذا ما تمادينا في الرجوع إلى الماضي السحيق فان حجم هذه العناصر المشعة يزداد بصورة كبيرة للغاية – وهذا يضعنا أيضاً أمام أمر غير معقول. وفوق ذلك تشير الدلائل العلمية الحديثة إلى أن الشمس ليست هي صانعة للعناصر المشعة لان الشمس تصنع فقط العناصر البسيطة وذلك مبتدئة من الهيدروجين أي مولد الماء.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهذا يقودنا إلى القول بأن العناصر الذرية/ الإشعاعية لابد من أن تكون قد خلقت في البدء عندما حدث أمر عظيم جدا ليس لنا أي اختبار مماثل له في أيامنا هذه.

وهناك دلائل أخرى كثيرة تقودنا إلى الاستنتاج بأن القوانين والمبادىء العلمية التي نعرفها الان هي غير كافية لاعطائنا فكرة مقنعة عن كيفية بدء هذا الكون. فلابد لنا من القول بأنه في زمن مضى حدث أمر فريد عجيب وهذا الأمر العجيب هو عمل الله الذي ندعوه بالخليقة.

وقد شرح هذا الموضوع أحد العلماء قائلاً لنفرض أن عالما جاء إلى غرفة وشاهد فيها رقاص ساعة كبيرة وهو في حركته الدائمة، من طرف إلى طرف آخر. يبدأ العالم بدراسة هذا المظهر الذي يشاهده وبعد مدة من الزمن يأتي العالم بمعادلات رياضية تتعلق بحركات رقاص الساعة. يقول هذا العالم بناء على المعادلة الرياضية التي كان قد وصل اليها بأن الرقاص هو في حركة متباطئة نظرا لاحتكاكه الدائم بالهواء. ولا يمكننا أن نختلف مع العالم وهو يفسر لنا الأمور التي تجري في الحاضر ولا في تكهنه بخصوص مستقبل حركة رقاص الساعة الكبيرة. ولكننا لابد من أن نقع في مأزق حرج للغاية إذا حاولنا – كما حاول هذا العالم – تعليل حركة الرقاص قبل دخوله إلى الغرفة. وإذا لجأ العالم إلى معادلته الرياضية وابتدأ يطبقها على الماضي لو صول إلى القول بأن ذبذبة الرقاص كانت عظيمة للغاية. ويظهر استنتاج هذا العالم منطقيا في باديء الأمر، ولكننا إذا عدنا إلى الماضي السحيق ألا نصل إلى القول – وذلك فيما إذا تمادينا في تطبيقنا للمعادلة الرياضية – بأن الرقاص كان يصطدم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بجدران الغرفة؟ وربما أيضاً ابتدأ بأن يصطدم بسقف الغرفة في مدة ما من الماضي السحيق؟

ونحن نعلم أن هكذا أفكار هي سخيفة وغير معقولة، إذ أن ما حدث هو أن رقاص الساعة ابتدأ يتحرك عندما أدار إنسان ما زنبرك الساعة. وهكذا أيضاً في أمور هذا الكون : أن القوانين الرياضية والعلمية والتي نقبلها لانها تفسر وتشرح لنا كيفية حدوث الأمور في الحاضر، هذه القوانين غير قادرة على اعطائنا فكرة معقولة عن كيفية نشأة الكون. ألسنا إذن أمام الواقع الذي يخبرنا عنه بكل وضوح وبكل بساطة الوحي الإلهي في افتتاحية الكتاب المقدس : " فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السماوات وَالأرض " ؟

ونحن لن نحاول بناء أساس علمي / طبيعي لإيماننا بالله وبوحيه وببرنامجه للكون إذ أن النظريات العلمية تأتي وتذهب مثلما تتغير الازياء من جيل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى. أما كلمة الله فإنها تثبت إلى الابد. وما نود اظهاره هو أن إيماننا بالله وبوحيه المقدس لا يجعلنا من مظلمي العقول والافكار. نحن متفتحون لكل ما يجرى حولنا ونرحب بكل ما تصل اليه العلوم الحديثة من ابتكارات واكتشافات. لكنه يجدر بنا أن نلاحظ هذا الواقع الاليم كثيرون من العلماء العاصرين قبلوا فلسفة مادية / حتمية لتفسير أمور هذا الكون وهكذا فان أراءهم تطغوعلى جميع تفاسيرهم العلمية التي تحاول شرح كيفية بدء الكون. لسنا ضد العلم المعاصر ولا من منكري جميع الفوائد التي حصلنا عليها من التقنية في حياتنا اليومية ولكن هذا لا يعني أنه من واجبنا قبول الفسلفة المادية / الدهرية التي تشبع آراء العديدن من علماء اليوم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وسنبقى مهتمين كل الاهتمام بمسيرة العلم المعاصر وكذلك لن نخفي سرورنا عندما يصل بعض العلماء إلى القول بأن الدلائل العديدة التي تتراكم عليهم في هذه الأيام تشير إلى بطلان النظرية التي كانت مقبولة منذ سنوات أي نظرية أزلية الكون فنظرا لتطبيقهم لسائر اكتشافات العصر الحاضر ولاسيما فيما قد توصلوا اليه في حقل التلسكوب الإذاعي، أخذوا يميلون كل الميل إلى القول بأن الكون جاء إلى حيز الوجود نظرا لانفجار هائل حدث في نقطة زمنية واحدة في التاريخ. وما يصفه العلماء في أيامنا بلغة علمية معقدة لا نستطيع فهمها نحن عامة الشعب، وصفها لنا كليم الله موسى النبي في فاتحة التوراة " فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السماوات وَالأرض "

حظ أم تصميم؟

ذكرنا في بحثنا السابق أن بعض العلماء اليوم يميلون إلى الاعتقاد بأن الكون ابتدأ بانفجار هائل ويبنون هذا الاعتقاد على التقاطهم موجات إذاعية غير بشرية المصدر والآتية من الفضاء الخارجي. وهذه الموجات الإذاعية لا يمكن تعليلها الا بالرجوع إلى الماضي السحيق عندما جاء هذا الكون إلى الوجود بصورة فجائية. هذا هو رأي بعض علماء الفلك في أيامنا هذه. فهم يختلفون إذن عن العلماء الذين كانوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يعلمون في الجيل الماضي والذين كانوا يدعون – مع فلاسفة الاغريق القدماء – بأن الكون هو أزلي.

وكم علينا أن نشكر الله تعالى اسمه لأنه علمنا في كتابه المقدس بأنه هو خالق الكل " ١فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السماوات وَالأرض " وبناء على هذا التعليم الإلهي نقول مع سائر المؤمنين والمؤمنات من شتى العصور والبلدان والاقاليم " نؤمن باله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض وكل ما يرى وما لا يرى "

وما أن نشهد بإيماننا هذا حتى نعي في نفس الوقت بأننا نعيش وسط عصر كثرت فيه النظريات والايديولوجيات الإلحادية التي لا تدع أي مجال للخالق. وتظهر هذه النظريات الكون وكأنه عبارة عن وجود يعبث به الحظ والنصيب بدون وجود أي تصميم إلهي مشرف عليه. تظهر هذه النظريات العلمية والتي تخفي في كثير من الاحيان ولاءها للالحاد تظهر الكون وكأنه موجود أزليا ومن تلقاء ذاته. ولكننا إذا ما تفحصنا الأمور على حقيقتها فماذا نجد؟ نلاحظ نظاما رائعا وتصميما لا مثيل له ولاسيما ونحن نتأمل في أمور الكرة الأرضية الصغيرة التي نعيش عليها.

لنلقي نظرة على هذا الكون، هل نجد فيه اشارات تومىء إلى الخالق القدير؟ الجو اب هو نعم. لننظر إلى مظهر هام في هذا الكون، إلى مظهر الحياة. فان كان ثمة تصميم في هذا الكون لابد لنا من القول أن هذا يظهر بصورة فريدة في الحياة التي نجدها على الأرض. فلو لم يكن هناك من عقل مصمم لهذا الكون، لما كان من الممكن للحياة بأن تبرز إلى الوجود وبشتى مظاهرها وما الذي يدعونا إلى الكلام عن هذا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الموضوع بهذه الطريقة؟ هناك عدة اعتبارات تدفعنا إلى القول وبكل ثقة أنه هناك تصميم رائع وفائق لتصورات عقلنا البشري المحدود وأن هذا التصميم يظهر بصورة باهرة في وجود الحياة على الأرض.

نبدأ بحثنا متكلمين عما نتعلمه من علم الكيمياء. فمن الواضح أن أنواع مختلفة من الذرات قد وجدت – حسب نسبات مختلفة – منذ البدء أي منذ الخليقة. والذي يدفعنا إلى هذا القول هو أن النور الذي يصلنا من أبعد المجموعات النجمية يدل على أن تلك النجوم تحتوي علىنفس العناصر التي نعرفها اليوم. فعندما يصلنا نور نجم ما يمكننا معرفة الوقود الذي أو جده وهذا بدوره أيضاً يساعدنا على معرفة العناصر الكائنة في النجم المعين. وإذا ما نظرنا إلى الذرات كجواهر دقيقة من الخليقة والتي لم تتغير كثيراً على مر الزمن، لابد لهذه الذرات أو على الاقل لبعضها من أن تظهر القصد في الكون أو الخليقة. وهذا هو الدرس الذي نتعلمه من دراستنا للعناصر الموجودة على الأرض. فمن البديهي أن نصل إلى القول بأنه إذا كان هناك من قصد أو تصميم فان ذلك قد حدث قبل وجود الكون أي قبل الخليقة. في حياتنا كما نعرفها بديهيا ألا يسبق تصميم المهندس بناية العمارة؟

لنعود إلى علم الكيمياء. عندما نتكلم عن العناصر لابد لنا من تقسيمها بمقتضى ما يسمى بالجدول الدوري. لنحصر اهتمامنا في العناصر الثمانية البسيطة أي تلك التي نجدها في القسم الأول أو في بدء الجدول وهي الهيدروجين – أي مولد الماء – اللثيوم، البريليوم، البورون، الكربون – أي الفحم الأوكسجين – أي مولد الحموضة – النيتروجين – أو الآزوت – والفلورين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نجد العناصر الاربعة الأولى من هذه القائمة في قائمة يمكن تسميتها بالعناصر الوقودية في النجوم. هذا يفسر لنا سبب كونها نادرة جدا على أرضنا – ما عدا الهيدروجين أو مولد الماء، إذ أن الشمس استهلكت هذه العناصر كوقود قبل نشأة الأرض ومن المهم جدا أن نلاحظ أن الكائنات الحية تتكون رئيسيا من الهيدروجين ومن بقية العناصر البسيطة والتي أتينا على ذكرها أي الكربون والأوكسجين والنيتروجين. كل عنصر من هذه العناصر الاساسية في الكائنات الحية يمتاز بصفات أساسية وضرورية لتكوين العضويات الحية.

لنركز اهتمامنا الان على عنصر مولد الماء أي الهيدروجين. يكون هذا العنصر نوعا من الذرات الارتباطية أي أن ذرة مولد الماء تتحد مع ذرة أخرى بشكل قوي مع انبعاث حرارة شديدة كما يحدث لدى تفجير الهيدروجين مع الأوكسجين أو الكورين. ولذرة الهيدروجين المقدرة أيضاً بأن تعمل أو تنشيء ارتباطا ثانيا مع ذرة أخرى وهو قوي ولكنه يحدث وينفسخ بدون حدوث أية حرارة. لو لا وجود هذه الامكانية لما كان بالامكان وجود الحياة على الأرض. مثلاً يحدث التقلص في عضلات الجسم عندما تتحد ذرات الهيدروجين الكائنة في مجموعة الذرات البروتينية اللولبية الشكل مع ذرات أخرى بقوة وهذا يجري بناء على أو نتيجة لمنبه يرسل في عصب من الاعصاب المتصلة بالعضل. هل يعد وجود الهيدروجين على أرضنا وجودا عفويا أم هل هو نتيجة تصميم وقصد؟

لنتأمل أيضاً في ميزات وصفات الماء العجيبة. وهنا نجد أيضاً أن القوة الارتباطية لذرات الهيدروجين تلعب دورا هاما في اعطاء الماء ميزاتها العظيمة. فمع أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الماء تتكون كيميائيا من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين الا انها ليست بغاز بل انها سائل هام يمتاز بارتفاع درجة غليانه وهذا يعود إلى أن مجموعة الذرات المائية متصلة مع بعضها البعض بواسطة رابطة الهيدروجين الواقية فتزيدها تعقيدا. ونظرا لو جود هذه الرابطة فان الذرات أي ذرات مولد الماء تصبح مشحونة بالكهرباء السلبية بينما الأوكسجين بالكهرباء الايجابية. وإلى هذه الشحنات الكهربائية – السلبية منها وكذلك الايجابية – يعود الفضل في جذب ذرات الاملاح المشحونة بالكهرباء وهذا هو الذي يفسر لنا كون الماء مذيبا جيدا.

تأملات في الحياة المعاصرة
الجزء ٢

محتويات التأملات

معنى الخليقة	سر التألم ٦
حالة البشرية المحزنة	سر التألم ٧
مظاهر من الحياة المعاصرة	سر التألم ٨
الحق الإلهي والآراء البشرية المتقلبة	سر التألم ٩

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سر التألم ١	سر التألم ١٠
سر التألم ٢	سر التألم ١١
سر التألم ٣	الثقافة المعاصرة ومعرفة الله
سر التألم ٤	الثغرة بين الجيلين
سر التألم ٥	القلق المعاصر والسلام الإلهي

معنى الخليقة

كنا قد بحثنا في الجزء الأول من كتاب " تأملات في الحياة المعاصرة " في موضوع الطلاق الفكري بين العلم والدين والذي نشاهده في سائر نواحي الحياة المعاصرة. ونعني بهذه الكلمات أن أمور هذا العالم تعالج وكأن الله لا يوجد أو كأن ليس لو جوده صلة بما يجرى على أرضنا هذه. وكذلك نعني بأن الجو الفكري أو العقائدى الذي يسود عالمنا اليوم هو جو لا ديني، قد لا يكون معاديا للدين في بعض مظاهره، الا أنه متجاهل للخالق وكأنه تعالى غير آبه بما يدين به الناس.

أما الآن فسنتطرق للبحث في موضوع معنى الخليقة. فنحن عندما نبدى أسفنا الشديد لو جود الطلاق الفكري والعقائدى بين أمور العلم والدين لابد لنا من الاشارة إلى أن هذا يعود بدرجة كبيرة إلى تجاهل كبير وفادح لحقيقة أساسية ألا وهي أن العالم هو خليقة الله. عقيدة الخليقة هي عقيدة مبدئية أساسية ذات أهمية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مطلقة. فنحن عندما ننسى أو نتناسى أن العالم قد خلق وكون من قبل الله نكون قائلين (حتى ولوكانت شفاهنا صامتة). بأن وجود أو عدم وجود الله لأمر ثانوى أو تافه. كل من ينسى الخليقة يكون قد نسي الله الخالق، ومن نسي الخالق يكون قد أعلن عصيانه وثورته على الحق. الله تعالى هو مصدر الحق والصلاح وكل ما هو جيد في كوننا هذا.

ماذا نعني بكلمة " خليقة " ؟ وما هي الأمور التي تنبثق من قبولنا لهذه الحقيقة العظمى؟ عندما نستعمل كلمة خليقة فاننا نعني بأن الله وهو الاله السرمدي صنع كل ما في الوجود بدون الاستعانة بأي شيء. وبكلمة أخرى، نعترف بأنه تعالى خلق من لا شيء كل ما في كوننا الشاسع الأطراف.

يقول الكثيرون من الناس : نحن نؤمن بالله وبقوته وبعظمته وبأنه البارى لكل شيء، نحن نعترف به كخالق وموحد لكل ما هو كائن في العالم. هذا حسن وجيد ومفيد ولكنه يجدر بنا أن نتذكر بأنه لا يكفينا الاعتراف بعقيدة الخليقة بل علينا أن نسمح لها بأن تعمل في سائر نواحي حياتنا ولاسيما حياتنا الفكرية والعقائدية. فنحن لا نود جعل عقيدة الخليقة وكأنها مجرد كلمات سحرية نتفوه بها في بعض الاحيان لكي نظهر اما لانفسنا أو للاخرين بأننا لم ننظم إلى جماعة منكرى الله! عقيدة الخليقة هي عقيدة حياتية لها تأثير على جميع شعب وأقنية الحياة البشرية وتبغها بصبغة فريدة وهي تختلف كل الاختلاف عن العقائد المخالفة أو المعادية لها.

عندما نقول أن هذا العالم بما فيه البشر من خليقة الله ماذا نعني وماذا لا نعني؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١. للكون بداية : ما أن نبدى إيماننا بكون هذا العالم قد خلق من قبل الله تعالى حتى يترتب علينا الاقرار بأن العالم كانت له بداية معينة جرت في نقطة ماضية من الزمن أو بالاحري ابتدأ الزمن ببدء العالم أو الكون. وكم من المؤسف أن العديدين من الناس قد انقادوا إلى الاعتقاد بأن الكون المادى هو أزلي أي أن الكون دائما كان! هذا رأي منبثق من الفلسفة التي لا تود الاقرار بأن الله الواحد هو الذي خلق كل ما في الوجود. ولكن كل من يؤمن ويعتقد بالله وبالخليقة عليه أن يرفض بكل رباطة جأش عقيدة أزلية المادة. ليس هناك من تعايش سلمي بين الإيمان بالخليقة والإيمان بأزلية المادة. إذ أنه لو قلنا بان المادة هي أزلية نكون معترفين بأنها لم تخلق بل كانت دائما موجودة!

ويميل الآن العديدون من العلماء بناء على اختبارات علمية ضمن حقل التلسكوب الإذاعي، يميلون إلى القول بأن الكون ابتدأ بانفجار هائل وانه لا يزال بإمكاننا التقاط موجات إذاعية غير بشرية المصدر ويقولون بان هذه هي من بقايا الموجات الإذاعية التي حدثت لدى بدء الانفجار. هذه الكلمات المصاغة بقالب علمي انما تعني بأن العالم أو الكون كانت له بداية معينة وقبل تلك البداية لم يكن.

٢. للعالم علاقة اتكالية مع الله الخالق : هناك البعض من المفكرين في الماضي وفي الحاضر الذين لا ينكرون أن الله هو الذي خلق الكون والعالم ولكنهم ينكرون مبدأ هاما جدا ينبثق عن عقيدة الخليقة. هذا المبدأ هو وجود علاقة اتكالية مطلقة للخليقة مع الخالق. ليست العقيدة الصحيحة للخليقة أو عن الخليقة تلك التي تبدأ أو تنتهي بالاقرار أن الله خلق هذا الكون! العقيدة الصحيحة هي تلك التي تعترف بان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله خلق الكون وأن هذا الكون يبقى دوما وفي كل مناسبة وفي سائر الظروف تحت سلطة الله البارى. لم يترك الله الكون ليسير بمقتضى قوانين آلية عمياء. ليس الكون إذن بوجود مستقل عن الله، بل انه وجود متكل على الله اتكالا تاما ومطلقا.

كيف نلاحظ إنكار الفلسفات المعاصرة لهذه الحقيقة الاساسية أي اتكال الكون على الله؟ نلاحظ مثلاً هذا النكران في التعابير المستعملة لتعليل الحوادث الطبيعية كالمطر. نحن لا ننكر انه يمكننا من وجهة نظر العلوم الطبيعية أو الفيزيائية تعليل كيفية نزول المطر والتنبأ بالاحوال الجو ية. نحن نشكر الله ونحمده لأنه صار بالامكان القيام بكل ذلك فالطيران بدون خطر الاصطدام مستحيل بدون معرفة طبيعة الاحوال الجو ية. ولكننا عندما نقوم بتعليل هذه الظواهر الطبيعية يجدر بنا ألا نبعدها عن اطارها الاكبر ذلك الاطار الذي ترى فيه كقوانين خاضعة للمشيئة الإلهية. أن الله تعالى وهو البارى هو الذي يسوس أمور هذا الكون بفضل قوته وحكمته. فلنحذر إذن ونحن نستعمل العبارات العلمية بأن لا نكون في نفس الوقت منكرين لعلاقة الله بأمور الطبيعة. كل ما هو في الوجود له علاقة اتكالية تامة مع الخالق وبدون مشيئة الله لا يمكن الكلام عن استمرار في الوجود!

ابتدأنا في هذا الفصل بالبحث في موضوع الخليقة وخلصنا إلى القول بأنه من المهم جدا أن نعي ما نتفوه به عندما نتكلم عن موضوعنا هذا. فنحن لا ننظر اليه وكأنه موضع نظرى، على العكس انه موضوع حياتي له علاقة وثيقة بجميع نواحي حياتنا الفكرية. ما أن نتكلم عن الخليقة حتى نذكر أن لهذا الكون بداية. فمن العبث الكلام عن الخليقة أن كنا قد قبلنا مبادىء الفلسفة المادية المعاصرة والتي تعلم بأن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المادة أزلية وغير مخلوقة. كل من يؤمن بأن الله هو الخالق يؤمن بانه الله وحده سرمدي بدون نهاية أو بداية. نحن لا ننكر وجود المادة ولا الكون المادى ولكننا كمؤمنين بالخليقة نعترف بأن المادة وجدت من جراء عمل الله في البدء ذلك العمل الفريد الذي ندعوه بالخليقة.

وما أن نسلم بوجود الخليقة حتى يتوجب علينا التسليم بأن العالم الذي كونه الله ليس بعالم مستقل عن الله بل يبقى دوما في علاقة اتكالية مع الله. وبكلمة أخرى عقيدة الخليقة لا تعني مطلقا بأن الله ترك الكون على شأنه بعد الخليقة. الخالق يبقى المعتني بكل مخلوقاته، وهذه بدورها تبقى بصورة دائمة متكلة على الله لدوامها أي لدوام وجودها. وكذلك تتكل الخليقة على الله للوصول إلى الغاية التي كونت من أجلها.

٣. هناك هدف معين للخليقة : من البديهي أن الخالق وهو منبع كل حكمة ومعرفة وعلم لم يصمم على خلق الكون بدون أن يكون له هدف معين. فكما أن المخترع في عالمنا لا يفكر في اختراع آلة ما بدون أن تكون له فكرة عن حاجة الناس اليها أو عن امكانيات اختراعه، هكذا أيضاً نقول بان الله كان له هدف عندما خلق الكون.

وعندما ننظرإلى الكون الشاسع الذي نعيش على أحد أجرامه وعندما نبدأ باستيعاب المعارف التي تتوارد الينا في هذه الأيام نعظم خالقنا وبارينا الذي صنع كل شيء بحكمة ودراية. ها أن هذا الكون الهائل الابعاد يسير بمنتهي الدقة والمهارة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فليس هناك من خلل أو خطأ في سير الاجرام السماوية، كل شيء هو بديع وجميل للغاية! ولكننا إذا ما سألنا أنفسنا : لماذا الخليقة؟ علينا أن نكون على حذر ونحن نسعى بان نجيب على هذا السؤال. نحن نسأل عن دافع أو سبب في العزة الإلهية، ومن نحن بني البشر حتى نسأل هكذا سؤال؟ طبعا أن الله قد وهبنا عقولا متعطشة للعلم والمعرفة وسؤالنا يكون في موضعه أن كان مقرونا بالتواضع والرغبة الاكيدة في الوصول إلى جو اب إلهي المصدر. وبكلمة أخرى، ليس الجو اب يكمن فيما أظنه أنا أو تظنه أنت أو أي مفكر بشرى، بل يكمن الجو اب في الوحي الإلهي. نحن نعترف بالكلمة الإلهية التي تعلوعلى كل كلمة بشرية.

وقد ورد في الوحي الإلهي : " ١اَلسماوات تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ " لقد خلق الله هذا الكون من أجل مجد اسمه القدوس. غاية الخليقة إذن هي تمجيد الله والاشادة بحكمته ومعرفته وكماله. وبكلمة أخرى، ليست الخليقة موجودة من أجل ذاتها ولا يكمن هدف الوجود في الوجود ذاته بل في الله الخارج عن هذا الكون والموجد لهذا الكون. وكل نظرية أو فلسفة تنظر إلى العالم وكأنه موجود بذاته ولذاته فقط، هي مرفوضة مبدئيا أن كنا بالحقيقة نؤمن بعقيدة الخليقة. العالم موجود لتمجيد الله، أنا وأنت خلقنا لتمجيد الله. فان كانت حياتنا تدور على محور الذاتية أو المنفعة الشخصية أو أن كنا قد وقعنا فريسة لمبدأ فكري أو كما يقال في اللغات الاجنبية لايديولوجية مادية، فنحن لا نكون عائشين من أجل الهدف الذي خلقنا من أجله. لسنا نحن فقط، بل جميع الكائنات، الحية منها وغير الحية، جميع ما

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في الوجود يجب أن يضحى أنشودة تتغنى بالله وبأعماله الباهرة الكاملة، لأنه تعالى أو جدنا ونحن من أجله خلقنا.

٤. دخول عامل مزعج ومخرب في نطاق الكون : لقد بحثنا حتى الآن في موضوع الخليقة ومعنى هذه الكلمة وشرحناها بقولنا أننا عندما ندين بالخليقة نعترف بان الكون ليس بأزلي بل كانت له بداية وبأن كل ما في الوجود له علاقة اتكالية مع الخالق. وهكذا أنكرنا استقلال الوجود عن الله. وتطرقنا إلى الكلام عن هدف الخليقة فخلصنا إلى القول بأن الهدف هو تمجيد الله منكرين بذلك كون غاية الخليقة موجودة في ذاتها.

ولكننا لا نكون قد بحثنا عن كل شيء فيما يتعلق بالخليقة أن اكتفينا بملاحظاتنا السابقة، فالعالم الذي نحيا فيه لا يظهر دوما وكأنه يسير حسب مشيئة الله. هناك أمور مزعجة للغاية تجرى في كل يوم وليس فقط على الصعيد الفردى أو العائلي بل أيضاً على نطاق واسع مثل العلاقات بين الشعوب والامم حيث نرى في كثير من الاحيان بأن القوة تعلوعلى الحق والابرياء يضطهدون بشكل مريع.

كيف نفسر هذه الظاهرة المؤلمة؟ ماذا نقول عن الخليقة التي أتت إلى الوجود نظرا لعمل الله الكامل؟ ألا نراها أحيانا وكأنها تحت رحمة عوامل ميكانيكية حتمية عمياء؟! لقد بحث المفكرون في هذا الموضوع منذ العصور القديمة و لم يتفقوا مطلقا في تعليلهم لما طرأ على البشرية من خلل أو مرض. قال البعض : أن الشر يكمن في المادة. وآخرون أنكروا وجود الشر. وآخرون جاؤوا بنظرية تقول بأنه علاوة على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وجود الله السرمدي هناك أيضاً الشر الموجود منذ الازل، إلى ما هناك من نظريات وفلسفات متضاربة!

ولكننا إذا أخذنا عقيدة الخليقة بعين الاعتبار كعقيدتنا المبدئية والاساسية نقر بأن كل ما صنعه الله هو جيد وأن الشر لا يكمن في المادة الصماء، وأنه حاشا أن يوجد كائن سرمدي غير الله تعالى. لا يبقى أمامنا سوى الرضوخ لتعاليم الوحي الإلهي التي تذكر لنا بأن مخلوقات عاقلة هامة ثارت على الله واختارت السير على محور الانانية والذاتية فأدخلت إلى الكون عامل الشر المزعج والمفتت وهذه كانت أولاً الملائكة. هذا لا يعني أن جميع الملائكة ثاروا على الله بل قسما منهم فقط وهؤلاء الذين ثاروا على الله صاروا يدعون شياطين أو أبالسة. والطامة الكبرى لنا هي أن الإنسان الأول انحاز إلى جبهة الشيطان فدخل الشيطان فدخل الشر إلى عالم الإنسان أيضاً و لم يعد يتم غايته في الوجود.

حالة البشرية المحزنة

عندما بحثنا سابقا في موضوع معنى الخليقة قلنا أن كل ما في الوجود : الكون الشاسع الاطراف وأرضنا هذه وما عليها من كائنات حية وغير حية، كل شيء خلق من قبل الله الواحد السرمدي الازلى وقبل البحث في موضوع حالة البشرية المحزنة (ومن ينكر ذلك في هذه الأيام الا المتعامي عن الحقيقة؟). لابد لنا من أن نذكر بعض أمور أساسية وهي :

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله تعالى اسمه وهو الخالق، وبما أنه كامل في صفاته وقدوس في ذاته، فان كل ما صنعه الله هو كامل. فالكواكب التي نراها بالعين المجردة أو تلك التي نشاهدها بواسطة المراصد الفلكية، جميعها تشير بأن باريها قد صنعها بهكذا دقة ومهارة وحكمة ودراية حتى انه من المستحيل تعليلها على أي أساس آخر سوى أساس الخليقة. ويمكننا الاشارة أيضاً إلى العوامل المتعددة التي تجعل الحياة ممكنة على الأرض. وكنا قد خصصنا بحثا مفصلا عن هذا الموضوع في الجزء الأول من كتاب : تأملات في الحياة المعاصرة. أما الآن فنذكر بأن الله وحده هو الذي أوجد التوازن التام والكامل في أرضنا هذه ذلك التوازن الذي بدونه لا يمكن للحياة النباتية أو الحيوانية بأن توجد. أليس هذا لدليل عظيم على كمال عمل الله في الخليقة؟

ويمكننا أيضاً الاشارة إلى تركيب العناصر وكيف أن هناك قوات هائلة كامنة في الذرات التي لا ترى بالعين المجردة. ألا تقودنا هذه المعلومات إلى تمجيد وتعظيم وتكبير اسم الله العظيم؟

كل شيء هو حسن وجيد أي كل ما صنعه الله. ولكن ما هذا؟ ما هذا الذي نشاهده في عالمنا؟ ما هو هذا التشويش الهائل الذي يقض مضجع البشرية بأسرها؟ كيف نعلل هذه الظاهرة المحزنة؟ وعندما نسأل هذا السؤال كمؤمنين نقيد أنفسنا مبدئيا بألا نخرج عن نطاق إيماننا بعقيدة الخليقة، إذ أن كل جو اب يتنافى مبدئيا مع عقيدة الخليقة يزيد من شقائنا ولا يساعدنا على حل مشكلتنا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فعندما ما نأتي إلى البحث في حياة الكائنات الحية العاقلة والمتمتعة بارادة نلاحظ وجود عامل غريب طفيلي عالق بجسمها (ولا نعني هنا بجسمها المادى بل بكيانها بصورة شاملة). وهذا العامل هو الميل الدائم نحو الشر والابتعاد عن الخير. نجد الإنسان وهو تاج كل المخلوقات على هذه الأرض لا يسير حياته كما يجب بل يندفع بصورة مستمرة نحو طريق لم يرسمه، طريق يجلب بواسطته الشقاء والدمار على رأسه وعلى أقرانه بني البشر. سمي هذا الميل أو هذا الدافع ما شئت، انه موجود في الإنسان وهو يكون قلب مشكلته الحياتية. وما سبق هو التعليل الديني المبني على الوحي لسبب شقاء الإنسان والبشرية جمعاء.

وهنا لابد من الاشارة بأن العديدين من الناس قد انساقوا وراء الفلسفات اللا دينية المعاصرة التي طلت نفسها بطلاء العلم وهم ينبرون إلى مهاجمة التعليم الذي أتينا على ذكره قائلين بأنه تعليم بدائي وقديم علينا التخلي عنه في أيامنا هذه، أيام النور والإشعاع الثقافي. وهذه الفلسفة وان كانت غربية المصدر والمنشأ الا أنها هبطت علينا نحن ابناء الشرق منذ أوائل القرن التاسع عشر نظرا لاحتكاكنا بالثقافات الغربية. وهكذا لا يجوز لنا أن نتجاهل وجودها أو أن ندعي بأنها لم تؤثر علينا!

الفلسفة اللا دينية المعاصرة مع تعدد ألوانها تدين بعقيدة تطور الإنسان من أصل حيواني عبر العصور العديدة. وهي تفسر مثلاً قساوة الإنسان وميله نحو الشر كرواسب أو بقايا الطبيعة الحيوانية الموروثة عن الماضي السحيق. فان كنا نتعجب مثلاً من غرابة أخلاق إنسان القرن العشرين وما قام به ابان الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حروب متعددة، بعضها بعيدة عنا وأخرى في عقر ديارنا، فان دعاة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الفلسفة اللا دينية المادية يقولون لنا : ما بالكم تتعجبون وتندهشون؟ ألا تعلمون أن الإنسان من أصل وحشي وأنه لا يزال يرتقي سلم النشؤ والارتقاء؟! ألا تـــدرون أن الطريق إلى الكمال لا تزال طويلة وشاقة جدا؟! أمهلوا الإنسان، اعطوه عدة قـــرون حتى توجد البشرية جيلا جديدا وكاملا!

كل من أعتقد بحسب هذا المعتقد لايدين مطلقا بالإيمان الذي يفسر كل شيء على أساس أن الله هو الذي خلق الكون وكل ما فيه وان الإنسان انما صنع كخليقة جيدة وصالحة وقابلة للكمال الاخلاقي والروحي. يرفض المؤمن بالله بكـــل عنـــاد عقيدة الصعود من أصل حيواني يأخذ المؤمن بالله بعين الاعتبار حقيقة التعليم الإلهـــي الذي ينبئنا عن سقوط الإنسان من المرتبة العالية التي كان قد خلق عليهـــا. تـــاريخ الإنسان ليس بتاريخ صعود وارتقاء من اصل حيواني، انه تاريخ مؤلم تاريخ ســـقوط وتدهور الإنسان من المرتبة الشريفة التي كانت له ووقوعه في حمأة الشر والرذيلة. وما حدث في فجر التاريخ لم يحدث بصورة فردية للإنسان الأول فقـــط، بـــل حـــدث للبشرية بأسرها. فثورة آدم وآدم هو اسم إنسان الأول حسب تعليم الوحي، ثـــورة آدم جلبت شقاء ودمارا على حياة البشرية لان اختيار آدم للشر كان اختيـــارا عـــن البشرية الموجودة في صلبه. وهكذا صار الميل نحو الشر ملازمـــا للطبيعـــة البـــشرية الموروثة عن آدم. وهذا الميل الدائم نحو الشر يدعى في لغة الكتاب باسم الخطيـــة أو الخطيئة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولميل الإنسان الدائم نحو الشر ابعاد شخصية فردية وابعاد تشمل سائر نواحي الحياة في معناها الأوسع كالحياة العائلية والاجتماعية والدولية. وليس تاريخ البشرية المدون منه وغير المدون، الا مسرحا لحوادث كانت جميعها متأثرة بعامل الخطية.

ولكن تطرق الوحي الإلهي للبحث في هذا الموضوع ليس مجرد تعليل وتشخيص بل انه المرحلة الأولى من مراحل الدواء والشفاء والتحرير. فالله الذي يخبرنا عن واقعنا المؤلم لا يقوم بهذا لكي يزيد من شقائنا وتعاستنا، بل ليخبرنا عن عمله الحاسم الذي قام به في وسط العالم والتاريخ أي في الأرض المقدسة عندما عمل لنا السيد المسيح فداء جبارا من سطوة الخطية وطغيان الشر. فرفضنا للفلسفة المادية اللا دينية لا يعود إلى ميل رجعي بل إلى إيماننا بالله الخالق والذي أصبح في المسيح يسوع محرر البشرية وفاديها.

مظاهر من الحياة المعاصرة

لابد أن القارئ قد لاحظ أن كان في الجزء الأول من هذا الكتاب أو في هذا الجزء بأننا نتأمل انتقاديا في وجوه عديدة من حياتنا المعاصرة. هذا لا يعني مطلقا بأننا قد اتخذنا شعارا سلبيا انتقاديا حبا بالسلبية أو الانتقاد، ولا يعني بأننا نعادى كل شيء ذى طابع عصرى أو حديث. كلا، نحن لم نضع نصب أعيننا هكذا هدف، ولسنا من المتطلعين إلى الماضي فقط وكأن الحاضر بدون قيمة أو أن المستقبل لا يهمنا مطلقا! هدفنا كان ولا يزال البدء من عقيدة أساسية وأولية آمنا بها إيماناً راسخا ألا وهي أن الله هو الخالق، وأنه لا يزال يهتم ويعتني بمخلوقاته اهتماماً كليا. وازاء هكذا معتقد وهكذا إيمان لا يمكننا ولا يجوز لنا أن نتجاهل وجوده تعالى اسمه أو أن ننسى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أو نتناسى بأنه تكلم ولا يزال يتكلم معنا والينا في كلمته المقدسة (أي في الكتاب المقدس)..

وإيماننا بالله وبعنايته الشاملة لكل شيء والضابطة لكل شيء، هذا الإيمان يملي علينا بل يجبرنا بان نكون صريحين كل الصراحة في ابداء رأينا في كل ما يعادى هذا الإيمان ولاسيما في الحياة المعاصرة التي اضحت مصبوغة بصبغة لا دينية دنيوية ذات مظاهر مختلفة. ومهما اختلفت وتعددت هذه المظاهر فإنها جميعا تتفق بشكل غريب على عدة نقاط. وكما لاحظنا سابقا، نحن ابناء الشرق لم نعد نعيش في عزلة عن بقية العالم بل صرنا متأثرين بالحضارة العالمية والثقافة العالمية والوسائط الاعلامية العالمية. جميعنا نعيش وسط عالم صغير ومتصاغر وهكذا لا يمكننا تجاهل أي تيار من التيارات الفكرية أو الايديولوجية التي تجتاح عالمنا اليوم. فيجدر بنا أن ننظر إلى القرن العشرين بكل جرأة وأن نشكر الله تعالى من أجل جميع الامتيازات التي نتمتع بها والتي لم يحلم بها الآباء والاجداد. ولكننا نجد أنفسنا مرغمين لكي نطرح عدة أسئلة ولا أن نبقى جاهلين لكل ما يجرى حولنا.

هناك عدة نواحي من الحياة المعاصرة التي وقعت فريسة لتعاليم الفلسفة اللا دينية والدنيوية التي يمتاز بها عصرنا هذا. ويجدر بنا أن ننبذها نبذا تاما وكليا، أن كنا بالحقيقة نؤمن بالله الخالق الذي لا يزال رب العالمين. لنأخذ مثلاً الحياة الفكرية، هذا حقل هام جدا إذ انه من المستحيل لنا أن نتصور الإنسان بدون أن نفكر توا بأنه يمتاز بصورة خاصة عن المخلوقات الأخرى بحياة فكرية. ماذا نجد في هذا الحقل الهام على صعيد الثقافة العالمية أو الحضارة العالمية في يومنا هذا؟ نجد موقفا شاذا للغاية، يقولون

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لنا : جيد للإنسان أن رغب بأن يكون متدينا وأن تكون له حياة تعبدية منظمة بينه وبين خالقه. جيد للإنسان بأن ينظم حياته الاخلاقية بمقتضى المبادىء الدينية التي يدين بها. ولكن، هكذا يقول لنا دعاة الفلسفة المادية المعاصرة : لا تمزجوا بين معتقدات الإنسان الدينية وحياته الفكرية. نحن قد لا نسمع هذه الكلمات بعينها ولكننا نصل إلى استنتاجها عندما نسمع اقوال واحاديث ممثلي الفلسفة المعاصرة. ينظر إلى كل شيء من وجهة نظر دنيوية محضة، وكأن الحياة انما هي عبارة عن وجود طبيعي محض أو فيزيولوجي محض! أو كأن الله تعالى هو غير موجود أو غير مهتم بما يجرى في دنيانا هذه. ويقولون لنا : هذا هو موقف موضوعي ومتجرد ونزيه وعلمي، الخ...

لنتأمل مليا في هكذا موقف! هل هو منطقي؟ أليس الإنسان اما بمعترف بالله وبأهميته لكل شيء بما في ذلك الحياة الفكرية، أو بمنكر لله ولوحيه ولكلامه ولعنايته الفائقة والشاملة لكل شيء؟ ليست القضية مسألة تجرد أو نزاهة أو موضوعية عندما يمتنع الإنسان عن توسيع أفق حياته الفكرية بالاعتراف بأهمية الله في سائر نواحي الحياة. القضية هي قضية إيمان أو عدم إيمان! وهذا الإيمان ليس بأمر ثانوى أو تافه على العكس، انه أهم أمر في الوجود بأسره. ونحن لا نمتنع ابدا عن القول بكل صراحة : ليست هناك نزاهة حقيقية ولا موضوعية تستحق هذا الاسم حيثما ينكر أعظم وأكبر وأمجد ما في الوجود : الله تعالى اسمه.

وقد يقول قائل : ولكن كيف نفكر بطريقة مغايرة للتفكير المعاصر وهل علينا أن نعيش خارج فلك حضارتنا المعاصرة؟ الجو اب هو : نحن لا نود أن نفكر بطريقة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مغايرة للتفكير المعاصر حبا بالمعارضة أو الظهور بمظهر مختلف عن الآخرين. أساسنا هو أساس ايجابي صلب وجبار وعظيم : نبدأ من وجهة نظر الله خالقنا ولا نأخذ بوجهة دنيوية فانية. هذا لا يعني أننا نقلل من شأن الحياة الحاضرة ولكننا نأخذ وجهة نظر الله بكل جدية وننظر إلى ما وراء هذه الحياة الأرضية. نحن ننظر إلى الأبدية اللامتناهية ونرفض رفضا تاما ومطلقا ونهائيا أية فكرة تقول لنا أن كل معنى الوجود (بالنسبة الينا نحن البشر). هو في هذه الحياة. كلا وألف كلا! ليست هذه الحياة الا شبه مقدمة لكتاب ضخم وكبير. مقدمة الكتاب هي هامة وضرورية ولكنها ليست الكتاب بكليته. ننظر إلى جميع الأمور، الفردية منها والاجتماعية والحضارية والفكرية والايديولوجية... ننظر إلى كل شيء من وجهة نظر أننا جميعا، من كبار وصغار، سوف نظهر أمام عرش الديان العادل لنؤدى حسابا عن جميع ما قمنا به على هذه الأرض. اننا لا نلغي قيمة الحياة الحاضرة ولا المؤسسات المنحصرة بحياة الدنيا، ولكننا نقول : أن ملكوت الله وسلطانه وبرنامجه وغايته هذه هي الأمور الثابتة والأبدية. وبعبارة أخرى ننظر إلى كل شيء من وجهة نظر الله وسموه المتعالي وكون هذه الدنيا فانية، نأخذ بعين الاعتبار وجود النعيم ووجود الجحيم. لانترك هكذا أقوال وخطب وعظات وأحاديث لمن نسميهم عادة برجال دين، بل جميعنا نستحوذ عليها شخصيا وواقعيا وحياتيا وننبذ عنا وعن عقولنا وعن أفكارنا كل الآراء والنظريات التي تكتفي بآفاق أرضية ودنيوية محضة.

كما ذكرنا أنه من المهم جدا لنا ونحن نبني حياتنا الفكرية على الإيمان الحي بالله الخالق، أن نأخذ بعين الاعتبار ليس فقط هذه الدنيا بل الأبدية أيضاً كأفق للحياة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والتفكير. فإذا لم نقم بذلك نكون قد أظهرنا مقدار استسلامنا للفلسفة اللا دينية المعاصرة التي طغت على العالم الفكري والايديولوجي المعاصر بصورة كبيرة جدا ولاسيما في بلاد الغرب. وذكرنا أيضاً أن الجو أوالمناخ الفكري المعاصر لا يسمح للإنسان بأن يستصحب إيمانه في حياته الفكرية. أن قام المفكر المؤمن بذلك أي أن أخذ إيمانه إلى حياته الفكرية وإلى منتجاته الادبية والنقدية فإنه يعد – من قبل رؤساء كهنة الفلسفة المعاصرة – شخصا رجعيا ومتحجرا وغير آبة بالعلم والنزاهة والموضوعية!

ولكننا لا نقوم بنقد الفلسفة اللا دينية المعاصرة حبا بالانتقاد، أو كأننا صرنا من دعاة السلبية. نحن نجد أنفسنا مرغمين من قبل ذلك المنطق الذي لا يقبل طلاقا فكريا أو عقائديا أو ايديولوجيا بين الإيمان والحياة أو بين الله ومخلوقاته. نأخذا إيماننا بالله الخالق الموجد لكل ما في الوجود والمعتني بكل ما في الوجود، نأخذ هذا الإيمان بكل جد ولا ننظر اليه وكأنه عبارة عن جو از سفر (باسبور). للنعيم نضعه في حقيبة السفر وننساه حتى وصولنا إلى الآخرة! طبعا نشكر الله ونحمده لأنه أعد لنا طريقا تحريريا جبارا يؤدى إلى النعيم، لكن هذا لا يعني اننا ننسى الله أو نهمله في الأمور الأرضية والحياتية تلك التي تسبق انتقالنا من هذه الحياة إلى الحياة الثانية. على العكس : حياتنا هنا على الأرض هي ذات أهمية قصوى، وكل ما نقوم به من فكر أو قول أو فعل، كل شيء هو مبني اما على إيمان بالله أو على عدم إيمان بالله.

لنأخذ مثلاً موضوع الكثيرين من المفكرين الذين لهم شهرة عالمية. من المؤسف جدا أن العديدين منهم يصنفون اليوم في صنف الملحدين أو غير المؤمنين بالله. وهذا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التصنيف مبني على واقع أليم لا على اتهام مغرض. هذا لا يعني أن نتاج المفكرين غير المؤمنين بالله هو بدون أية قيمة. مثلاً لابد لنا من الاقرار أن العديدين منهم قد انبروا إلى انتقاد مظاهرة متعددة من الحياة المعاصرة. هناك الأمور العديدة التي يمكننا أن نتلقنها منهم وهم يطرحون الأسئلة على المجتمع أو يعالجون المشاكل التي نواجهها في القسم الأخير من القرن العشرين.

ولكننا بعد نصغي إلى أقوالهم أو بعد أن نقرأ كتاباتهم فإنه من المستحيل لنا سوى أن نقول بكل أسف : كل هذه المواضيع والمعضلات تعالج من قبل هؤلاء المفكرين من وجهة نظر بشرية محضة، وكأن الله لم يتكلم وكأنه تعالى اسمه لم يكشف عن مشيئته لهذه الدنيا! طبعا هذه الحياة الأرضية مهمة ومشاكلها عديدة ومتكاثرة، ولكننا لا نستطيع حلها على الصعيد البشرى فقط.

وكما ذكرنا سابقا، نحن ابناء الشرق لم نعد عائشين بمعزل عن التيارات الفكرية العالمية. فمع أننا بحاجة ماسة إلى اتقان وتطبيق التقنية (أي التكنولوجيا). المعاصرة لنرفع من مستوى الحياة ولنقضي على المشاكل التي تقض مضجعنا، ومع أنه هناك الأمور العديدة التي علينا أن نتعلمها من حضارة القرن العشرين العالمية، الا اننا لا نحتاج إلى اللا دينية ولا إلى الفلسفة التي نمت وترعرعت في تربتها. إذ ما منفعة ربح العالم بأسره، كما قال السيد المسيح أن كانت النتيجة النهائية خسران النفس؟! لنعود الآن إلى معالجة بعض النقاد لمشاكل الحياة المعاصرة. يحذرونا من مغبة السقوط في عبودية من طراز جديد : عبودية أو صنمية الآلة. هذا خطر واقعي لا وهمي، إذ أنه من السهل جدا أن تنقلب الآلة من خادمة للإنسان إلى سيدة مطلقة تستعبد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإنسان وتجعله شبه إنسان أو نصف إنسان. ويحذرنا آخرون من خطرة القوة الإعلانية أو الركلامية التي هي من صلب التجارة والاقتصاد المعاصرين. فمع أهمية الإعلانات في بيع وتصريف المنتجات، الا أنها قد تصبح المتحكمة في حياة المجتمع. وقد ينظر إلى الناس كمجرد افراد مستهلكين للبضائع العديدة والمتنوعة. ما أو ردناه هو نموذج لبعض الانتقادات التي تصوب على بعض مظاهر الحياة المعاصرة. ولكننا أن اكتفينا بهذا النوع من النقد نكون سطحيين ودنيويين!

وما هو النقص في ما ذكرناه أي في الانتقادات التي تصدر عن قرائح العديدين من مفكري اليوم؟ النقص الجذرى هو كونها مغذاة من قبل فلسفة أرضية بحتة. فهي لا تعترف بالله ولا بنظامه لهذا الكون. فنحن جميعا علينا أن نكون على حذر لئلا نصبح عبدا للآلة، ولكننا أن اكتفينا بهكذا تحذير فان موقفنا يبقى سلبيا. ومتى تغذت الروح البشرية على السلبية؟! لا يكفينا أن ننجومن عبودية الآلة أو أية عبودية أخرى، بل علينا أن نكون جميعا عبدا لله، لا بمعنى أننا نعترف بالله اسميا فقط، بل بمعنى اننا نتوج الله كسيد حياتنا المطلق نعمل ما يشاء تعالى ونأتمر بأوامره ونمتنع عن نواهيه. وما أن نبدأ بالكلام على هذا المنوال حتى نسمع من الكثيرين من الناس وهم يحتجون على ذلك متذرعين باننا بكلامنا عن أخذ الله بعين الاعتبار في معترك حياة القرن العشرين، انما نمثل عقلية متأخرة أو بالية أو قديمة ليس لها أية صلة بالواقع الذي نحياه!

لما لا نكون صريحين مع أنفسنا؟ هل اتخاذ موقف ايجابي والكلام عن ضرورة صيرورتنا فعليا وعمليا عبيدا لله في مختلف نواحي الحياة، هل يمكن وصف هكذا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

موقف بالرجعية أو بعدم صلته بالواقع؟! هل يعد أخذ أهم حقيقة في الوجود (أي الله تعالى). هل يعد هذا أمرا بدون أهمية لواقعنا اليوم؟! متى أصبح الله بدون أهمية ونحن نحاول حل المشاكل الحياتية، أن كانت على الصعيد الفردى أو الاجتماعي أو الدولي؟

على العكس، لابد لنا من القول : نحن نعاني الكثير من المشاكل نظرا لان الله لم يعد يؤخذ بصورة جدية من قبل العديدين من الناس. لو كان الناس اليوم يخافون الله ويهابونه أما كانوا أكثر اهتماماً بالحق والعدل والنزاهة – خاصة على الصعيد الدولي؟! ولكننا ماذا نشاهد؟ نشاهد القوة تصبح متوجة على عرش الحضارة المعاصرة بينما تهضم حقوق الناس المشروعة وكأن الله لم يتكلم عن أهمية العدل والانصاف بين الافراد والجماعات! نحن بحاجة إلى أكثر بكثير من نقد بشرى للمجتمع البشرى المعاصر. نحن بحاجة ماسة إلى تسليط نور الله على سائر نواحي حياتنا المظلمة لكي نرى كل شيء على حقيقته ولنتوسل إلى الله بأن يجعلنا راغبين بأن نقبل دواءه الشافي لسائر أمراضنا الحضارية وخاصة في الثلث الأخير من القرن العشرين.

يمكننا أن نلاحظ في المؤلفات القصصية أو الروائية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية على المجتمع الدولي انتقادات عديدة وجهت إلى مظاهر مختلفة من حضارتنا. والقصد من هذه الانتقادات هو الاشارة إلى العديد من المتناقضات التي أصبحت شبه مقبولة من قبل الناس. ما أكثر المؤلفات المعاصرة التي تبحث في ماهية الإنسان وتيهانه وتشويش أفكاره وعدم وجود جذور قوية لحياته، والوحشية التي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أظهرها لاقرانه بني البشر وتعاميه عن المثل العليا التي يجب أن تسود حياة البشرية. لقد انبرى العديدون من المؤلفين لمجابهة الحياة المعاصرة بمشاكلها العديدة وأخذوا يسألون، بواسطة مؤلفاتهم، أسئلة مصيرية قائلين : ما معنى الحياة؟ ما هو هدف الوجود؟ وإلى أين تسير البشرية وما هو مستقبلها في عصر القنابل النووية والذرية والصواريخ المنطلقة إلى الفضاء الخارجي؟

ونحن نسر كثيراً لأنه هناك كتاب ومفكرون يخرجون إلى الوجود مؤلفات تبحث في مواضيع جدية وليس فقط للتسلية أو لتكديس المال في الجيوب! علينا أن نسر حيثما وقف الناس وأخذوا يتكلمون في الأمور المصيرية باحثين في أهم المواضيع التي تجابه البشرية اليوم. فالمؤمن بالله هو إنسان ينظر إلى الحياة نظرة واقعية وجدية وهو لا يتخاذل مطلقا عن خوض المواضيع الهامة التي تجابه الإنسانية.

ومع أننا كمؤمنين نسر لدى مطالعاتنا للمؤلفات التي تعالج مشاكل العصر الحاضر، الا أن سرورنا هو وقتي، ومشاركتنا للافكار التي جاء بها الكثيرون من المفكرين هي آنية. طبعا كلنا بشر وليس المؤمن من جبلة فوق بشرية. كلنا بشر وهذا يعني أننا نشعر بتكاتف مع أولئك الذين يودون معالجة معضلات الحياة المعاصرة باخلاص وحسن نية. ولكن تكاتفنا هو لمدة فقط. إذ أننا ما أن نتأمل في الأمر مليا وما أن ننظر إلى صلب المواضيع التي يبحثها العديدون من مفكري أيامنا هذه حتى نجد هو ة سحيقة تفصل بين أولئك الذين يأخذون الله وكلامه بعين الاعتبار والذين لا يأبهون بالله أو بوحيه المقدس. مبدئيا وعقائديا يبعد المفكر المؤمن عن المفكر غير المؤمن بعد القطب الشمالي عن القطب الجنوبي. فالحقائق الأولية والاساسية التي يدين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بها المؤمن هي معاكسة تماماً لما يؤمن به غير المؤمن. يرحب المؤمن بكل انتقاد يسمعه أو يقرأ عنه، بكل انتقاد موجه ضد متناقضات الحياة المعاصرة ولكن المؤمن لا يقدر نظرا لإيمانه بالله بأن يمتلك شخصيا وقلبيا هذه الانتقادات ولماذا؟ لانها بتجاهلها الله – وهو الحق الاسمى – تبقى سطحية، ولان حلولها تبقى حلولا غير ناجعة وغير مفيدة. فتجاهل الله وكلمة الله هو عأرض قوى للمرض الخطير الملم بحضارة القرن العشرين. وكل من تمادى في تجاهل الله لا يكون حالا لمشاكل العالم، على العكس من تجاهل الله يكون مكثرا لمشاكل الحياة ولمتناقضاتها.

من البديهي مثلاً أننا عندما نأخذ إيماننا بالله إلى معترك الحياة الفكرية فاننا لا نستطيع أن ننسى أن عالمنا هذا هو مسرح لحرب ضروس بين قوى الخير والشر. ولكن حضارة القرن العشرين أو بالاحري فلسفة القرن العشرين التي تغذي حضارة العصر تتجاهل الفاصل الجذرى بين الخير والشر. صار ينظر إلى أعمال الإنسان، أكانت على الصعيد الفردى أو الاجتماعي أو الدولي، وكأنها أعمال قد يوجد فيها العديد من الاخطاء. وإذ ذاك تعرف هذه الاخطاء بحسب وجهة نظر المنفعة الذاتية للشخص أو لمجموعة أشخاص. أما المؤمن فإنه لا يستطيع الاكتفاء بهكذا تصنيف وكأن كل ما يقض مضجع البشرية هو عبارة عن أخطاء. ولا يقبل المؤمن أيضاً تعريف الخطأ من وجهة نظر نفعية / أنانية فقط! هناك قوانين أبدية سنها الله تحكم على جميع أعمال الإنسان فهي – اي أعمال الإنسان – أما مطابقة لقوانين الله (وإذ ذاك تدعى بجيدة). أو غير مطابقة لقوانين الله (وإذ ذاك تدعى بردئية أو بشريرة).. نحن لا نتغلب على الشر ولا نستأصل جذوره أن استعملنا تعابير عصرية لطلائه أو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لتغطيته. الشر هو الشر، انه عداوة لله ولشرائعه ولنواميسه، ولا غلبة على الشر الا بالاستعانة بقوة إلهية المصدر. ألا نرى إذن مدى استسلام العصر الحاضر للفلسفة اللا دينية عندما يتجاهل بهذه الصورة المحزنة موضوع الخير والشر؟

ومع أننا كنا قد المحنا إلى ظاهرة أخرى في حديث سابق الا أننا نعود من جديد إلى ذكرها الآن كدليل آخر على مدى تأثرنا في هذه الأيام بايديولوجية القرن العشرين العالمية. ينتظر الآن من الإنسان، عندما يتكلم عن أمور هذه الحياة، أن يتكلم عنها بقالب دنيوى وألا يذكر الله تعالى وعنايته الفائقة لهذا العالم وخاصة للمخلوقات العاقلة. الكلام الآخذ الله بعين الاعتبار هو لرجال الدين فقط! هكذا يقولون لنا. لا تمزجوا بين الدين والمعرفة المتعلقة بالإنسان وبحياة الإنسان. ولكن هذا الموقف هو شاذ للغاية. أمن المعقول أخذ أمور الله بعين الاعتبار في قسم معين وضيق من الحياة فقط؟ هل قسم الله الحياة إلى عدة اقسام وقال لنا في هذا القسم أو في هذا النطاق المعين تعترفون بي وبوصايأي ونواميسي وشرائعي ووحي وأما في بقية الاقسام فأنتم أحرار بصورة مطلقة تعملون ما تشاؤون وتفكرون حسب أهواء وموضات العصر وتواجهون مشاكلكم العديدة بحسب آراء أناس غير مؤمنين؟ هل ذلك منطق سليم؟ هل الله تعالى اسمه رب الحياة بأسرها أم هل هو رب نصف الحياة أو ربعها؟ أليس هو تمجد اسمه سيد الكل ورب العالمين؟ وهل هذه العبارات التي نستعملها في كلامنا عن الله عبارات جو فاء أو كليشهات تردد نظرا لموسيقاها التي تصحب مفرداتها؟ من آمن بالله وبسلطانه على كل شيء لابد له من الاعتراف بأن هذا الإيمان وهذا المعتقد هو هبة من الله وأنه (أي المؤمن). صار مرغما (لا نظرا لقوة خارجية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عمياء، بل نظرا لمنطق إيمانه). على الشهادة للحقيقة وللحق في كل ناحية من نواحي الحياة وفي كل نطاق من مناطقها المتعددة. فالمؤمن يرفض بكل عناد وبكل تواضع مبادىء وأسس الفلسفة المعاصرة اللا دينية لانها مع كونها بناية كبيرة ذات غرف متعددة وشائقة، الا أنها بناية بدون أساس، ولابد لها من أن تسقط في النهاية لدى هبوب أعاصير الحياة الشديدة. للمؤمن عقيدة تشبه بناية مبنية على صخرة جبارة فهي لذلك غير معرضة للانهيار مهما كثرت أعاصير الحياة. لان من بنى حياته على الحق الإلهي سيصمد إلى النهاية!

الحق الإلهي والآراء البشرية المتقلبة

لازلنا نحاول أن نلقي نورا على المظاهر المتعددة للحضارة العالمية المعاصرة أو بالاحري للحياة الفكرية المعاصرة التي صارت شبه مقبولة في سائر أنحاء العالم. ونحن نقوم بهذه الابحاث من وجهة نظر معينة ألا وهي الوحي الإلهي الذي أعطي لنا نحن بني البشر والذي هو مدون الآن على صفحات الكتاب المقدس. وسنبحث الآن في مفهوم الحضارة المعاصرة للحق وكيف يعأرض هذا المفهوم بصورة تامة المفهوم الكتابي للحق.

وهذه الحضارة العالمية قد استسلمت استسلاما تاما للدنيوية فيما يختص بالحياة الفكرية. مفهومها للحق هو أن العقل البشرى هو مكتشف الحق وأنه هو الحكم النهائي بالنسبة للأمور التي تساير الحق أو التي تغاير الحق. أما المفهوم الكتابي للحق فهو أن الحق ليس بأمر يكتشف من قبل الإنسان ضمن عقله أو بواسطة أبحاثه. مصدر الحق هو الوحي الإلهي الذي يهبه ايانا الله خالق السماء والأرض وكل ما يرى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وما لا يرى والذي يعطي لكل شيء معناه وغايته في الوجود. وهذا يقودنا إلى القول بأن المفهوم الكتابي للحق انما يعطينا حكما منـــزها عن الخطأ لقياس جميع النظريات والآراء والافكار والمبادىء ولإعلان اتفاقها مع الحق أو اختلافها عنـــه. الحـــق إذن ذوأساس فوق طبيعي. الحق هو موضوعي يمكننا الحصول عليه بواسطة الإيمان بـــالله وبوحيه المقدس.

والآن وقد عرفنا المفهوم الكتابي للحق أي أنه من مصدر إلهي وأننا نحصل عليه بالوحي وأن هذا الوحي هو وحي مدون في الكتاب، لابد لنا من رؤية الهوة السحيقة التي تفصل هذا المفهوم عن الرأي الذي نجده في صلب الحياة الفكريـــة المعاصـــرة أو الايديولوجية المعاصرة التي جعلت الحق أمرا أرضيا بحتا ليست له أية علاقة بأمور مـــا فوق الطبيعة. وتأتى عن هذا المفهوم الدنيوى للحق أن هذا الأخير يصبح أمرا نـــسبيا أي أنه ليس هناك من حق موضوعي ثابت على مر العصور والاجيال. يضحي الحق – حسب ايديولوجية العالم المعاصر – عبارة عما تفكر به أكثرية معينة من النـــاس وفي بقعة معينة من العالم وفي عصر معين! وبعبارة أخرى، ليس هناك حقاً يبقى دوما مماثلا لذاته، وليست هناك مبادىء دائمة مبنية على الحق بل تتقلب المبادىء كتقلبات الجو أوكالتغيير الذي يطرأ على الازياء والموضات من سنة إلى أخرى ومن فصل إلى آخر!

وإذا ما ابتلعنا هكذا آراء معاصرة عن ماهية الحق أو كيفية الوصول اليه فاننـــا نكون قد تنازلنا نهائيا عن مفهوم الحق الذي كان معروفا لدى جميع الذين يؤمنـــون بوحي إلهي وبحقائق ثابتة غير متقلبة. وإذ ذاك، يتوجب علينا التوقـــف نهائيـــا عـــن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

استعمال عبارات كالحق أو الحقيقة، ويجدر بنا آنئذ التعويض عنها بعبارات أكثر ملائمة للوضع كوصف الاشياء بأنه مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها وليس هذا بالأمر النظرى إذ أنه هناك الكثيرون من المفكرين ومن المتفلسفين في أيامنا هذه والذين لا يتورعون مطلقا عن القول بأنه قد حان الوقت للكف عن وصف الاشياء بأنها جيدة أو رديئة أو بكونها مطابقة للحق أو مخالفة للحق. يجعل هؤلاء الناس رأي الافراد والجماعات المقياس الوحيد للحكم على الاشياء فيما إذا كانت ملائمة أو غير ملائمة

ويجدر بنا التأمل مليا في مستقبل هكذا آراء ونظريات وفي مدى تأثيرها على عالمنا. انها بالحقيقة ستقود عالمنا إلى الفوضى والاضمحلال. فالكون بأسره مبني على سيادة الحق على الفوضى والله تعالى هو اله نظام بديع لا اله التشويش. فإذا تجاهلنا هذه الاسس والمبادىء الأولية المكتوبة في صلب عالمنا وكوننا، فاننا نكون فعليا قد أعلنا حربا جنونية على الخالق تمجد اسمه. عالمنا هذا الذي يصبح يوميا أصغر وأصغر، هذا العالم الذي تتكاثر فيه البشرية بصورة لم تعرف في الماضي، انه بحاجة ماسة إلى الرجوع إلى الاسس والمبادىء التي تعترف كل الاعتراف بوجود الحق المستقل عن كل رأي بشرى. وعلى كل إنسان الاعتراف بوجود حق إلهي المصدر وأن هذا الحق هو المقياس الوحيد الذي يجب أن تقاس بواسطته أقوال وأعمال الافراد والجماعات والدول.

وإذ كنا نتعجب كثيراً في هذه الأيام عن تجاهل الحق والعدل في الحياة الدولية مثلاً فان ذلك ليس بالأمر العجيب فالناس قد وقعوا فريسة للفلسفة المعاصرة أو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الايديولوجية المعاصرة التي تؤله القوة والتي تتجاهل الحق وسائر الأمور التي تنبع من الحق. فان الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الناس كأفراد وجماعات هي في لبها حقوق وامتيازات ممنوحة للناس من قبل الخالق الذي شاء فجعل الإنسان تاج أو رأس الخليقة. والنبي موسى الذي اختاره الله ليعطينا الوحي المدون في أسفار التوراة، لم يعطنا رأيه الخاص عندما كتب بأن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه. وكذلك لم يكن النبي داود مغاليا عندما تغنى في المزمور الثامن قائلاً عن الإنسان " ٥وَتَنْقُصَهُ قليلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ " على العكس، كان المرنم الشهير يعطينا وحيا إلهيا عن ماهية الإنسان وغاية الله في خلق الإنسان. فان قبلنا هذه التعاليم السامية والتي نستقيها من الوحي الإلهي ألا نكون مفهوما سليما ساميا لحقوق الإنسان وواجباته، لامتيازاته ومسؤولياته؟ وفوق كل شيء ألا يكون رائدنا دوما وفي كل شيء معرفة الموقف الذي يجب أن نقفه تجاه كل موضوع وازاء كل مشكلة من وجهة نظر الحق الإلهي الذي لا يتغير والذي يعطي لكل إنسان حقه بدون محاباة أو تمييز؟

قد تكون أزمة عالمنا اليوم معقدة للغاية وقد تكون أبعد بكثير من أن تحل في أيامنا هذه، ولكننا لا نكون مبالغين مطلقا أن أرجعناها إلى سبب رئيسي ألا وهو تجاهل الحق الإلهي وتتويج آراء الناس المتقلبة. هذا لا يعني انه علينا تجاهل وجود عوامل مادية متعددة لأزمة العالم أو الادعاء بأنها غير هامة، ولكن لب أو قلب مشكلتنا اليوم هو أن العالم لم يعد ينظر إلى الاسس والمبادىء التي تعلوفوق كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بشرى والتي تنبع من الحق الإلهي. وإذا تمادينا في تجاهل الحق وسائر الأمور التي تنبع منه والتي تنظم حياة الافراد والمجتمعات فان مشاكلنا سوف تتكاثر وتزداد تعقيدا.

والتفاؤل بالمستقبل غير ممكن مادام العالم يسير على آراء الناس الواهية. حاجتنا الماسة اليوم وفي المستقبل هي استرجاع الإيمان القوى وغير المتزعزع بوجود الحق الذي هو إلهي المصدر والذي نصل إلى معرفته بواسطة الوحي.

سر التألم -١

يمكن النظر إلى حياتنا المعاصرة كحياة رفاهة وتنعم بالنسبة إلى الماضي. فما أكثر الأشياء التي نستعملها في حياتنا اليومية والتي لم يعرفها الآباء والاجداد! فبينما كان الناس في القرون الماضية يسافرون مثلاً بطرق بطيئة للغاية، نتنقل الآن بطرق مريحة وسريعة من قارة إلى أخرى وكأننا على بساط الريح. وما ذكرناه بخصوص السفر وتقدم وسائله المعاصرة على ما كانت في العصور الماضية يمكن ذكره بالنسبة إلى نواح عديدة من الحياة. ولكنه يجدر بنا عدم الاسترسال في هذا الطراز من التفكير لئلا نخدع أنفسنا. فالنعيم ليس هنا على هذه الأرض، ونحن لازلنا نحيا محياة مليئة بالمصاعب والمشاكل والمعضلات على الصعيد الفردى والاجتماعي والدولي.

فمع اختلاف الحياة المعاصرة عن الماضي في مناطق أو نطاقات متعددة الا أنه لا يزال هناك عامل ملازم للحياة أن كان ذلك في الماضي السحيق أو في هذا اليوم وهذا هو عامل الألم والتألم والعذاب. فكما أن الكثيرين من الآباء والاجداد تألموا من هذا الشيء أو ذاك هكذا نحن أيضاً، اننا معرضون للآلام وللعذابات إذ أننا لسنا من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جبلة فوق بشرية. نحن نتألم أو نشاهد آخرين يتألمون. وموضوع الألم والتألم والعذاب هو موضوع ملازم للبشرية من فجر تاريخها إلى يومنا هذا وحتى اليوم الأخير. وهذا الذي يدفعنا للبحث في هذا الموضوع بصورة ملية. ولن نقوم بهذه التأملات في موضوع حساس كموضوع التألم من زاوية مجردة أو نظرية وكأننا نبحث في موضوع علمي/ طبيعي. بل سنبحث في هذا الموضوع من وجهة نظر أو من زاوية حياتية راغبين مساعدة سائر القراء الاعزاء اما الوصول إلى موقف حميد من هذا الموضوع بالنسبة لأنفسهم أو بالنسبة لغيرهم من الذين يعيشون في محيطهم العائلي أو المجتمعي. وبعبارة أخرى نبدأ هذه البحوث والتأملات وغايتنا هي بناءة وايجابية وروحية مبتعدين كل الابتعاد عن مجابهة هكذا موضوع من زاوية فلسفية جامدة أو متحجرة.

قبل كل شيء يجدر بنا الاعتراف بأنه من الصعب لأي ما البحث في هذا الموضوع أن لم يكن قد اختبر التألم بشكل شخصي. لنفرض مثلاً اننا نود مواساة أو تعزية إنسان مصاب بمرض خطير جدا، بمرض جعل حياة هذا الشخص عبارة عن سلسلة آلام متتالية. نجاحنا في مواساته غير متوقف على قراءتنا للعديد من الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ولا على تحضيرنا لموعظة قصيرة نلقيها عليه حالما ندخل غرفته. أن تعزية أو مواساة متألم هي قبل كل شيء مقدرتنا على أن نتألم مع الشخص، أي أن نتألم معه نفسيا وروحيا – إذ يتعذر علينا التألم عنه ماديا أو جسديا. وبالفعل نجد أن بعض الشعوب لديهم كلمة تعزية مركبة من جذئين مت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وضعا معا شكلا كلمة واحدة تعني :التألم معا أو سوية. فهذا هو معنى كلمة " sympathie " سمياثي الفرنسية والمشتقة من اليونانية : التألم معا أو سوية.

هل نحن على استعداد بأن ننزل من منصتنا العالية أو أن نترك برجنا العاجي عندما نبحث في موضوع الآلام والتألم؟ أن لم نكن مستعدين بأن ندفع هذا الثمن فمن العبث لنا الاسترسال في البحث في هذا الموضوع. نحن لا نتكلم هنا عن أمور تتعلق بالعلوم التي تدعى عادة بالعلوم الطبيعية ولسنا نبحث في أمور الجمادات. اننا متكلمون عن أمور تتعلق بالبشرية وبالبشر وعن أصعب وأعسر موضوع يقض مضجع بني آدم. فلنلقي جانبا كل غاية فلسفية مجردة وليكن شعارنا البحث في هذا الموضوع الحساس بطريقة تساعدنا جميعا – من متألمين ومن معزين – على اتخاذ الموقف الصائب من هذا الموضوع.

ومما يساعدنا في الوصول إلى هذا الهدف هو أن الوحي الإلهي لم يهمل البحث في سر الألم والتألم. فهناك العديد من المزامير (وهي أشعار مقدسة). تبحث في آلام المؤمنين وعذاباتهم واتكالهم على الله وانتظارهم للعون والنجاة. وقد أعطانا الله كتابا أو سفرا مقدسا من أسفار الوحي يبحث بصورة خاصة في موضوع تألم المؤمن، وهذا هو سفر أيوب الصديق. وهذا الرجل الجبار لم يستصعب أي شيء مثلما استصعب توقف زوجته عن تعزيته تعزية روحية سمباتية وكذلك انقلاب أصدقائه الذين كانوا قد وفدوا بغية تعزيته فانقلبوا إلى محاضرين في فلفسة الآلام وإلى مشتكين وطاعنين في بر واستقامة صديقهم المعذب. فلنحذر إذن من اتخاذ أي موقف يشابه موقف أصدقاء أيوب ولنعلم جيدا بان المعذب والمتألم ينتظر من أقرانه ومن أصدقائه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن أقربائه أن يشعروا معه أو يتألموا معه وأن يصبروا معه وهو يرفع قضيته إلى الله العادل والقادر على كل شيء. وهذا يعني بصورة عملية عدم تكثير الكلام أو كما نقول باللغة العامية أو الدارجة : " بدون فلسفة "

ولابد لنا من أن نذكر في هذا البحث التمهيدى لموضوع سر التألم بأننا نقوم به من زاوية إيماننا التام والكامل بالله القادر على كل شيء والمتسلط على جميع مقدرات العالم. فمع أننا نتكلم عن سر التألم أو الآلام فأن هذا هو سر بالنسبة الينا نحن البشر لا بالنسبة لخالقنا والمهيمن على جميع مقدرات حياتنا. وهذا يعني أيضاً أننا ننبذ أية فكرة أو رأي ينظر بواسطته إلى الحياة هذه وكأنها تحت رحمة أقدار عمياء أو قوة حتمية ميكانيكية جدلية تتحكم بمصير الإنسان.

وكما كنا قد بحثنا في موضوع الطلاق بين أمور العلم والدين وبين حياة الإنسان الفكرية والدينية، فإنه يجدر بنا هنا أيضاً الاشارة بأن الكثيرين من المفكرين الذين يبحثون بصوة جدية في موضوع الآلام والعذابات التي تحيق بإنسان القرن العشرين، لا يأخذون بعين الاعتبار عقيدة الله ولا تعاليم وحيه المقدس. وأما نحن فسنقوم بعون الله بالبحث في هذا الموضوع وغايتنا أن نكون أمناء لتعليم الوحي وأن نساعد سائر الناس المتألين والمعذبين. ولسنا نعد بأية أعجوبة ولن نتطرق إلى هذا البحث وكأننا من جبلة فوبشرية. سنسعى بمعونة الله تعالى بأن تكون دراساتنا هذه دراسة يشعر بواسطتها كل متألم ومتألمة بأننا معكم نفسيا وروحيا وأن الحلول التي سنأتي على ذكرها ليست من مصدر بشرى بل من كلمة الله. ومن البديهي أن هذه الدراسات لن تنفع غير المؤمنين، بمعنى أن الذي لا يؤمن بالله الحي لابد له من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مواجهة موضوع التألم كلغز مستعص، إذ أن الذي لا يؤمن بالله لا يجد حلا لا لسر الآلام ولا لمعنى الحياة بأسرها.

سر التألم -٢

نبدأ الآن بوضع الاساس العقائدى الذي سنبني عليه بحثنا في سر التألم قائلين : أن نقطة انطلاقنا هي في كون الله صالحا وقادرا على كل شيء. ينظر المتألم إلى الحياة ويبدأ بطرح أسئلة عديدة. لماذا أتعذب أنا وغيرى لا يتعذبون؟ لماذا يسمح الله لهذه الكارثة بأن تنصب على وهو القادر على كل شيء؟ هل هناك عدل في العالم وها أن النوائب تنهمر على من كل حدب وصوب؟ ومع تعدد الأسئلة بالنسبة للذين يطرحونها وبالنسبة لو ضع المتألم وحالة إيمانه أو عدم إيمانه، الا أنها جميعا يمكن أن تبوب تحت عنواني أو موضوعين : ١. صلاح الله، و٢. قدرة الله اللامحدودة.

ان طرح الأسئلة هو أمر طبيعي لان الإنسان هو مخلوق عاقل ولانه يود الوصول إلى حل معقول لسائر المعضلات الحياتية ولاسيما تلك التي تمس صميم حياته مثل الآلام والعذابات التي تصيبه. المهم في طرح هكذا أسئلة هو أن لا نتمادى فيها لئلا تقودنا أسئلتنا إلى الشك بالله وبصلاحه. نحن نبدأ دوما من نقطة انطلاق ثابتة وغير قابلة للتغيير ألا وهي أن الله صالح وعادل بالرغم من الظروف المعاكسة التي تحيق بنا ونحن نسبح في بحر الآلام والعذابات. وهكذا عندما نبدأ بالتساؤل عن سبب هذه الكارثة أو تلك، وعندما نحاول الوصول إلى حل معقول لها فإنه لا يجدر بنا مطلقا بأن ننتظر من الله أن يبرهن لنا عدله أو صلاحه. أن الله عادل وصالح في كل حين وفي كل مكان وفي شتى الظروف. علينا أن ننتظر من الله لا برهان عدله أو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صلاحه، بل إنقاذنا من شكنا في عدله وصلاحه – أن كانت هذه الشكوك قد ابتدأت تعزوسماء حياتنا.

من المنتظر، بل من البديهي أن تكون هناك معضلات ومشاكل لا نستطيع أن نتفهمها في هذه الحياة. فالحياة أكثر تعقيدا مما نظن، ونحن شخصيا أو فرديا لسنا كل شيء في عالمنا هذا. هناك الملايين من الناس والكثيرون منهم يتعذبون ويتألمون ربما أكثر بكثير منا. ولكن مهما صار وحدث علينا بألا نشك في صلاح الله وعدله. الله صالح وعادل مهما حدث لي ومهما كثرت مصاعب حياتي ومهما اشتدت آلامي وعذاباتي.

الله صالح وعادل والله قادر على كل شيء. ولكن أن كان الله على كل شيء قدير، فلماذا لا ينقذني من هذه الورطة التي وقعت فيها؟ لماذا لا يخفف من آلامي المبرحة؟ هذه أسئلة تنبعث من قلب كل متألم ومتألمة – أن كانا مؤمنين بالله الحي القادر على كل شيء. وهذه الأسئلة هي مشروعة لان عقلنا يود فهم أو تفهم سائر العقائد ورؤية اتصالها مع العقائد الأخرى وارتباطها بالحياة التي نحياها على الأرض. لابأس إذن أن سألنا هكذا أسئلة بشرط ألا نسمح لها بأن تبعدنا عن شاطىء الإيمان الصحيح بالله القادر على كل شيء. فكما أننا ألمحنا سابقا إلى ضرورة التشبث بالإيمان القوى بصلاح الله وعدله هكذا يتوجب علينا الآن التشبث بإيماننا بقوة الله اللامحدودة وبقدرته اللانهائية. الله على كل شيء قدير – مهما حدث لي ومهما كثرت نوائبي ومهما اكفهرت سماء حياتي – الله قادر على كل شيء.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن كيف نقول : أن الله على كل شيء قدير وهو تعالى يسمح للآلام بأن تنصب على الناس، وهو يسمح للأشرار أفرادا وجماعات بأن يهضموا حقوق الضعفاء ويضطهدونهم؟ كيف يمكننا تسوية هكذا معتقد بالأمر الواقع الذي هو أمام أعيننا في كل يوم؟

قبل كل شيء علينا أن نلاحظ أن كلامنا هذا يتعلق بهذه الأرض وبالناس الذين يعيشون عليها. إذ أنه من البديهي أن قوة الله اللامحدودة المسيطرة على الكون بأسره ترى بكل وضوح في النظام الرائع والبديع الذي يهيمن في كل مكان – أن كان ذلك في النجوم الهائلة الحجم أو في الذرات التي لا ترى بالعين المجردة. إذن مشكلتنا ليست كونية بل مشكلة أرضية مقتصرة على الحياة البشرية. وما أن نرى هذا بوضوح حتى نجد أنفسنا أمام أمر هام جدا وهو موضوع الطبيعة البشرية أو الشخصية الإنسانية المتمتعة بالمقدرة على الاختيار : الاختيار الذي قد يقود الإنسان في كثير من الاحيان إلى عمل الشر وإلى الاضرار بقريبه الإنسان وجلب الآلام والعذابات على حياته. وبما أن الله لا يعامل الإنسان كآلة صماء ولا كحيوان أبكم، فمن البديهي أن الكثير من الأمور المزعجة والمؤلمة التي تأتي على الإنسان هي ناتجة عن أعمال الإنسان التي يسمح الله بها نظرا لكون الإنسان مخلوقا ذوعقل وارادة.

فالمهم إذن ونحن قد شرعنا في بحث موضوع سر التألم والعذابات وكيف أن هذا السر لا يحل الا إذا أخذنا بعين الاعتبار صلاح الله وعدله وقوته اللامحدودة، من المهم جدا أن نغذى هكذا إيمان بمطالعة أسفار الوحي الإلهي التي تعالج هذا الموضوع. وهكذا يضحي إيماننا مبنيا لا على رأي البشر أو فلسفاتهم بل على كلمة الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عاش في أيام ما قبل المسيح نبي في فلسطين كان اسمه حبقوق ومما قاله رجل الله عن موضوع الألم ما يلى : الوحي الذي رآه النبي حبقوق " ٢حَتَّى مَتَى يا رَبُّ أَدْعُووَأَنْتَ لاَ تَسْمَعُ؟ أَصْرُخُ إِلَيْكَ مِنَ الظُّلْمِ وَأَنْتَ لاَ تُخَلِّصُ؟ ٣لِمَ تُرِيني إِثْماً وَتُبْصِرُ جوراً وَقُدَّامِي اغْتِصَابٌ وَظُلْمٌ وَيَحْدُثُ خِصَامٌ وَتَرْفَعُ الْمُخَاصَمَةُ نَفْسَهَا؟ ٤لِذَلِكَ جَمَدَتِ الشَّرِيعَةُ وَلاَ يَخْرُجُ الْحُكْمُ بَتَّةً لأَنَّ الشِّرِّيرَ يُحِيطُ بالصِّدِّيقِ فَلِذَلِكَ يَخْرُجُ الْحُكْمُ مُعَوَّجاً. ٥«انْظُرُوا بَيْنَ الأُمَمِ وَأَبْصِرُوا وَتَحَيَّرُوا حَيْرَةً. لأَنِّي عَامِلٌ عَمَلاً فِي أَيامِكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ بِهِ أن أُخْبِرَ بِهِ. ٦فَهَئَنَذَا مُقِيمٌ الْكِلْدَانِيِّينَ الأُمَّةَ الْمُرَّةَ الْقَاحِمَةَ السَّالِكَةَ فِي رِحَابِ الأرض لِتَمْلِكَ مَسَاكِنَ لَيْسَتْ لَهَا. ٧هِيَ هَائِلَةٌ وَمَخُوفَةٌ. مِنْ قِبَلِ نَفْسِهَا يَخْرُجُ حُكْمُهَا وَجَلاَلُهَا. ٨وَخَيْلُهَا أَسْرَعُ مِنَ النُّمُورِ وَأَحَدُّ مِنْ ذِئَابِ الْمَسَاءِ وَفُرْسَانُهَا يَنْتَشِرُونَ وَيَأْتُونَ مِنْ بَعِيدٍ وَيَطِيرُونَ كَالنَّسْرِ الْمُسْرِعِ إِلَى الأَكْلِ. ٩يَأْتُونَ كُلُّهُمْ لِلظُّلْمِ. مَنْظَرُ وُجُوهِهِمْ إِلَى قُدَّامٍ وَيَجْمَعُونَ سَبْيا كَالرَّمْلِ. ١٠وَهِيَ تَسْخَرُ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءُ ضِحْكَةٌ لَهَا. وَتَضْحَكُ عَلَى كُلِّ حِصْنٍ وَتُكَوِّمُ التُّرَابَ وَتَأْخُذُهُ. ١١ثُمَّ تَتَعَدَّى رُوحُهَا فَتَعْبُرُ وَتَأْثَمُ. هَذِهِ قُوَّتُهَا إِلَهُهَا». ١٢أَلَسْتَ أَنْتَ مُنْذُ الأَزَلِ يا رَبُّ إلهي قُدُّوسِي؟ لاَ نَمُوتُ. يا رَبُّ لِلْحُكْمِ جَعَلْتَهَا وَيا صَخْرُ لِلتَّأْدِيبِ أَسَّسْتَهَا. ١٣عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أن تَنْظُرَا الشَّرَّ وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الجور فَلِمَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاهِبِينَ وَتَصْمُتُ حِينَ يَبْلَعُ الشِّرِّيرُ مَنْ هو أَبَرُّ مِنْهُ؟ "

لكن النبي الامين لم يفقد إيمانه بالله و لم يطلب جواب الحكمة البشرية الفارغة بل استطرد قائلاً " ١عَلَى مَرْصَدِي أَقِفُ وَعَلَى الْحِصْنِ أَنْتَصِبُ وَأُرَاقِبُ لأَرَى مَاذا يَقُولُ لِي وَمَاذا أُجِيبُ عَنْ شَكْوَايَ. " .

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وفي النهاية وصل حبقوق إلى ذروة الإيمان بالله عندما شهد قائلاً " ١٧فَمَعَ أَنَّهُ لاَ يُزْهِرُ التِّينُ وَلاَ يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ يَكْذِبُ عَمَلُ الزَّيْتُونَةِ وَالْحُقُولُ لاَ تَصْنَعُ طَعَاماً. يَنْقَطِعُ الْغَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ وَلاَ بَقَرَ فِي الْمَذَأَودِ ١٨فَإِنِّي أَبْتَهِجُ بِالرَّبِّ وَأَفْرَحُ بِإِلَهِ خَلاَصِي. ١٩اَلرَّبُّ السَّيِّدُ قُوَّتِي وَيَجْعَلُ قَدَمَيَّ كَـ/لأَيَائِلِ وَيُمَشِّينِي عَلَى مُرْتَفَعَاتِي "

سر التألم -٣

المؤمن المتألم لا يترك إيمانه نظرا لتلبد جو حياته بغيوم سوداء. على العكس، يتعلق المؤمن والمؤمنة بالإيمان بالله وينتظران منه العون والنجاة. ليس هناك من حل لمعضلة الحياة أو لسر التألم أن تخلى الإنسان عن إيمانه بالله القادر على كل شيء.

وسنبدأ الآن بالبحث في بعض الاجوبة التي جاء بها الإنسان في العصور القديمة وفي العصور الحديثة والمتعلقة بسر التألم أو الآلام. وسنقوم بقياس جميع هذه الاجوبة البشرية بمقياس تعاليم الوحي لاننا لا نود الكلام عن هذا الموضوع لمجرد انماء معرفتنا بأمور تاريخية أو دينية عامة. غايتنا هي الوصول إلى الحقيقة الموحى بها من الله عن موضوعنا هذا لكي نتقوى في الإيمان ولكي نتسلح لمجابهة أية آلام أو عذابات قد تأتي علينا في المستقبل.

أعتقد البعض منذ القديم بأن الإنسان يتألم ويتعذب في هذه الحياة بناء على الشرور التي ارتكبها في حياة ماضية أو سالفة. مثلاً أن وجدنا إنسانا أعمى وتساءلنا لماذا ولد هذا بدون نعمة البصر فأن الجو اب – حسب هذا المعتقد القديم والمقبول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حتى الآن في بعض أنحاء العالم – هو أن هذا الإنسان يقاص نظرا لشر ارتكبه في حياته الماضية. وهذا المعتقد يخالف تماماً تعاليم الوحي التي هي واضحة كل الوضوح والتي تنص بأنه ليس هناك من تناسخ الارواح أو من رجوع الارواح إلى هذه الحياة لتسكن في أناس جدد أو في حيوانات مختلفة. ليست هناك من حياة سالفة أو ماضية : جميعنا نولد مرة واحدة على هذه الأرض وعندما يموت الإنسان لا يرجع إلى هذه الدنيا من جديد، بل يذهب اما إلى النعيم أو إلى الجحيم بانتظار اليوم الأخير، يوم القيامة الرهيب. وفوق ذلك ليس هناك من إنسان يستطيع بأن يتذكر وجودا سابقا كان قد اختبره على هذه الأرض. فهل من المعقول لنا تفسير سر الألم باللجوء إلى هكذا معتقد فلسفي وثني؟

وذهب آخرون إلى القول بأن الآلام والعذابات التي تحيق بالإنسان انما هي نتيجة لو جود إنسان المستقبل وأن نهاية الآلام تكمن في نهاية الإنسان ككائن خاص وذوبانه أو رجوعه إلى الوجود الكي أو الكون. وبعبارة أخرى، يرتكز هذا المعتقد على عدم الاقرار بالله الواحد السرمدي الذي هو مستقل عن الكون، هكذا معتقد يلخص بالقول : الله هو الكل والكل هو الله. وهكذا تزال الحدود الفاصلة بين الخالق والمخلوقات ويؤله الكون المادى بما فيه الإنسان. وكمؤمنين بعقيدة الله الواحد السرمدي الخالق لكل ما في الوجود والذي برانا على صورته وشبهه، ننبذ هذه العقيدة الوثنية وكل مبدا منبعث عنها مهما ظهر هذا المبدأ براقا ومساعدا لحل سر الألم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهناك مدرسة أخرى تحاول تفسير سر التألم وهي المدرسة الأبيقورية (نسبة إلى أحد فلاسفة الاغريق القدماء).. تعلم هذه المدرسة الفلسفية أنه من المستحيل للإنسان إبعاد الآلام والعذابات عن حياته، فلذلك يتوجب عليه بأن يغرقها (أي هذه الآلام). بالأكل والشرب والمرح. وبعبارة أخرى، يعلم دعاة هذه المدرسة بأنه يمكننا الهرب من الآلام باللجوء إلى حياة الملذات والترف. ولكن هذا الموقف هو موقف سطحي جدا لاننا لا نحل مشكلة ما بالهرب منها. الأكل والشرب والترفه وكل ما يذهب اليه الإنسان للحصول على ملذة وقتية، هكذا أشياء لا تساعدنا مطلقا على تكوين موقف حميد من موضوع التألم والآلام. ومن الجدير بالذكر أن الناس في هذه الأيام كثيراً ما يظهرون ولاءهم للفلسفة الابيقورية وان لم يكونوا قد درسوا مبادئها! يذهب الناس إلى فض مشاكلهم الحياتية بواسطة انكبابهم على الملذات مؤجلين إلى أجل غير مسمى مجابهتهم لموضوع الآلام بطريقة جدية.

ان كانت الحلول التي أتينا على ذكرها ليست بحلول نظرا لكونها منبعثة عن مبادىء غير موجودة في الوحي الإلهي، فما هو الطريق الذي علينا السير عليه للوصول إلى الحل الصحيح؟ قد يكون الجو اب : أن الآلام التي تنصب على الإنسان هي بمثابة دينونة الله العادلة التي تأتي بصورة بديهية على كل متعد للشريعة الإلهية. كل ألم وعذاب يختبره الإنسان انما هو نتيجة لتعديه على المشيئة الإلهية. هذا الجو اب هو صحيح لدرجة ما ولكنه لا يمكننا النظر اليه كالجواب الوحيد الذي يمكن أن تعطيه للذى يبحث في سر التألم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لو لم يثر الإنسان على الله في البدء لما دخل الشر إلى العالم ولما كانت هناك آلام ولا عذابات تنصب على البشر. هذا تعليم واضح وصريح نستقيه من الوحي الإلهي. ولكننا عندما ننظر نظرة واقعية على العالم المحيط بنا في حالته الحاضرة لا يمكننا القول بأن هناك معادلة بين كمية الآلام التي تصيب الإنسان والاخطاء التي قد يكون الإنسان ارتكبها. كلنا نعلم بأن بعض الناس الاشرار والذين لا يخافون الله يعيشون حياة خالية من الآلام – على الأقل لمدة ما. وبعبارة أخرى، لم يكون الله عالمنا ولا يقود تعالى أمور الحياة البشرية بهكذا صورة حتى أن كل تعد على الوصية الإلهية يعاقب أو توماتيكيا وبسرعة فائقة!

وفوق ذلك، عندما نأخذ بعين الاعتبار تعليم كلمة الله عن قداسة الخالق وسموه، لابد لنا من الاقرار بأن الإنسان في هذه الحياة وعلى هذه الأرض لا يعاقب من الناحية الكمية ولا من ناحية الشدة بالنسبة إلى عظم وفداحة شره. يستحق الإنسان أكثر تأديبا من الله – أن كان بمقدورنا الكلام على هذا المنوال – عندما يتعدى على شريعة الله. وبكلمة أخرى، عندما يعاقب الله الإنسان على شر ما فإنه تعالى يظهر في نفس الوقت رحمته وغايته هي ارجاع المذنب إلى صوابه. يعلمنا الوحي الإلهي بأن الله لا يسر بموت الخاطىء بل بتوبته ورجوعه إلى جادة الحق والصراط المستقيم.

وهكذا أن قلنا بأنه هناك علاقة بين آلام وعذابات الإنسان والشر والخطية فأننا نقر بوجود علاقة عامة ولا نكون آتين بمبدأ آلي وكأن الإنسان يتألم دوما بالنسبة إلى شروره وآثامه. فقد يتألم الإنسان في كثير من الأحيان بدون أن يلم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بوجود أية علاقة ارتباطية بين آلامه والحياة التي كان يحياها. يتألم الإنسان في كثير من الاحيان لا لأنه ارتكب مخالفة معينة للشريعة الإلهية، بل لسبب مجهول. وهذا الذي دفعنا إلى القول بأنه هناك سر في موضوع الألم والتألم!

سر التألم ـ ٤

سوف نلخص الآن ما وصلنا إلى ذكره بخصوص موضوع سر الألم والتألم :

١. يمكننا القول بأنه من الناحية العامة هناك علاقة بين وجود الشر في العالم والآلام والعذابات التي تنهال على الناس. لو لا دخول الشر إلى حياة البشرية في فجر التاريخ عندما عصي آدم على الله، لما كانت هناك آلام أو عذابات في دنيانا هذه.

٢. يحدث في كثير من الاحيان أن الإنسان عندما يتعدى على مشيئة الله أي على الوصية الإلهية أو الشريعة الإلهية فإنه يقاص وبذلك يتألم ويتعذب.

٣. لا يمكننا القول بأن القصاص الذي يقع على الناس هو معادل لكمية الشر الذي ارتكبه الإنسان. على العكس، القصاص الذي يناله الإنسان من الله (عندما يكون هذا الإنسان على قيد الحياة). هو بمثابة دعوة إلهية لذلك الإنسان للتوبة والرجوع إلى الطريق المستقيم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٤. نجد في كثير من الاحيان أن مرتكبي الشرور والخطايا والآثام لا يعاقبون في هذه الحياة – على ما يظهر لنا، بينما الذين لم يرتكبوا خطية معينة يتعرضون لآلام وعذابات شديدة. هنا سر التألم! لماذا يتألم البعض وهم لا يعلمون بأنهم قاموا بأمر مكروه ولماذا لا يعاقب آخرون وقد ازدادوا شرا وظلما؟!

ونحن لا نطرح هذه الأسئلة وكأننا نود التنازل – ولووقتيا عن معتقدنا الراسخ بأن الله قادر على كل شيء وكذلك صالح وعادل. فعندما نسأل أسئلتنا هذه نبقى مؤمنين كل الإيمان ومعتقدين من قرارة قلوبنا وبالرغم من انضباب النوائب علينا من كل حدب وصوب – نؤمن ونشهد ونقر بأن الله قادر على كل شيء وعادل وصالح. إذن الحلول التي سنصل اليها يجب أن تتلاءم مع مبادئنا الأولية هذه والا لما اتسمت هذه الحلول بطابع حلول وأجوبة مبينة على الوحي الإلهي.

وفيما يلي حادثة جرت في بلاد فلسطين في أيام السيد المسيح منذ نحو ألفي سنة " ١وَكَانَ حَاضِراً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. ٢فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ : «أَتَظُنُّونَ أن هَؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ ٣كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ أن لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ. ٤أوأولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ أَتَظُنُّونَ أن هَؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أو رُشَلِيمَ؟ ٥كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ أن لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جرت هاتان الحادثتان عندما كانت البلاد المقدسة خاضعة لنير الاستعمار الروماني وابان ولاية الوالي الروماني بيلاطس البنطي. فقط أراد ذلك الطاغية بأن يظهر هيبة رومية على الناس ولا سيما على سكان الجليل الذين اشتهروا بوطنيتهم وبمحبتهم للحرية. فأمر في أحد الأيام جنوده بأن يدخلوا هيكل الله المقدس في القدس ويقتلوا بعض الجليليين الذين كانوا قد وفدوا إلهيكل لتقديم ذبيحة لله. فقتل هؤلاء المتعبدون لله بطريقة مريعة وهم يقومون بواجب ديني مقدس في وسط بيت الله. كان ذلك أمرا فظيعا ورهيبا! ولكن السيد المسيح حذر سامعيه – ويحذرنا نحن أيضاً – من التسرع والاستنتاج بأنه نظرا لتلك الميتة المخيفة التي لاقاها هؤلاء الذين وفدوا من اقليم الجليل، بأنهم كانوا أشر الجليليين في تلك الأيام! أن كنا قد حكمنا عليهم بأنهم كانوا أشر الناس في اقليمهم فأننا نكون قد أخطأنا ومنطقنا غير سليم. لم يكن موتهم المريع بسبب خطية معينة ربما كانوا قد ارتكبوها! لم يقل المسيح انهم كانوا بلا خطية. ولكنه له المجد علمنا بأنهم لم يكونوا أشر الناس و لم يكن موتهم بسبب شر معين ربما كانوا قد ارتكبوه. لم يعطنا السيد المسيح كل ما قد نرغب معرفته عن هؤلاء الجليليين الذين قتلهم جنود بيلاطس الحاكم الروماني. لماذا قتلوا ولماذا سمح الله بأن يستشهدوا؟ نحن لا نعلم لمإذ حدث ما حدث لهؤلاء، فالمسيح لم يشأ بأن يطلعنا على كل شيء. ولكننا نعلم أمرا واحدا بصورة خاصة وأكيدة : لم يكن هؤلاء أشر الناس في اقليم الجليل.

ولكي ينقش هذا المبدأ الهام على عقول وقلوب السامعين سرد المسيح نبأ حادثة كانت معروفة في تلك الأيام ألا وهي سقوط أحد أبراج المدينة المقدسة على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ثمانية عشر شخصا وموتهم بتلك الطريقة الفجائية. لم يكن هؤلاء مذنبين أكثر من جميع سكان القدس. لماذا سمح الله بأن يموتوا على تلك الصورة المريعة؟ نحن لا نعلم، و لم يشأ تعالى بأن يخبرنا عن السبب. ولكننا نعلم بأنهم لم يكونوا قد ارتكبوا خطيئة معينة استحقت تلك الميتة المخيفة. وقال السيد المسيح معلقا على تلك الحادثتين وقال " إن لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ " مظهرا له المجد أهمية هكذا فواجع بالنسبة للاحياء. فالدرس الأول الايجابي هو : لدى سماعنا أخبار الكوارث والمآسي لنعلم بأن الله يكلمنا بواسطتها ويقول لنا : أن لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ!

هل هذا يعني أننا وصلنا إلى حل سهل أو بسيط لسر الألم أو التألم؟ كلا! لم نصل إلى حل بسيط، بل كما لاحظنا لن يشأ السيد المسيح في تلك المناسبة الخاصة بأن يعطينا مفهوما تاما وكاملا وشاملا لمعنى التألم ولكنه أراد منا أن نتذكر دوما بأن الناس لا يتألمون بصورة أو توماتيكية حالما يرتكبون الشرور، وأن البعض يتألمون وأن لم يكونوا قد ارتكبوا شرورا معينة. لنبعد عنا إذن تلك الحلول البسيطة المظهر أو الحلول السطحية لسر التألم. وان لم يكن بوسع الإنسان رؤية العلاقة بين ما قام به والعذابات التي انصبت عليه، فليسلم أمره لله العادل وليقبل مشيئة الله الذي هو عادل وصالح مهما حدث وصار.

وعلينا أن نذكر الآن ولوبصورة مقتضبة بأن الآلام والعذابات التي تأتي على الإنسان ليست بدون علاقة بمكائد ابليس الشرير. وهكذا يتوجب علينا البحث في هذا الموضوع أي في علاقة الشيطان بما يحدث للإنسان من آلام وكوارث لكي نكون مفهوما كتابيا ومتزنا لسر التألم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سر التألم-٥

سنبدأ الآن ببحث موضوع علاقة الشيطان بما يحدث للإنسان من آلام وعذابات لكي نصل إلى المفهوم الكتابي (أي المبني على وحي الله المدون في الكتاب المقدس لسر بالتألم)..

طبعا، علينا ألا ننسى مسؤولية الإنسان نفسه في جلب الشقاء والتعاسة والآلام على رأسه وعلى غيره. الإنسان هو مسؤول عن أعماله وتصرفاته وكثيراً ما تجلب أعماله الشقاء والتعاسة والآلام على الحياة. وهكذا عندما نشرع بالبحث في علاقة الشيطان بالآلام التي تنصب على البشرية لا نود مطلقا أن نقول بأنه لا يبقى للإنسان أية علاقة بموضوع التألم.

أعطانا الله تعالى اسمه كتابا خاصا من الأسفار المقدسة وهو سفر أيوب حيث يعالج فيه هذا الموضوع بطريقة واقعية للغاية. ومع أنه يتعذر علينا معرفة تاريخ هذا السفر بصورة أكيدة الا أنه من المرجح قديم جدا يرجع ربما إلى أيام موسى النبي. وهذا يعني أن الله عالج هذا الموضع الخطير منذ العصور القديمة، لان هذا الموضوع يهم الناس جميعا في شتى العصور والبلاد. وسوف نقتبس بعض الآيات الكتابية المتعلقة بموضوعنا هذا من سفر كتاب أيوب " ١كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عُوصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيماً يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. ٢وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. ٣وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَلٍ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وَخَمْسَ مِئَةِ زَوْجِ بَقَرٍ وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِدًّا. فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. ٤وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمِ الثَّلاَثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ. ٥وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أيام الْوَلِيمَةِ أن أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ وَبَكَّرَ فِي الْغَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ : [رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللهِ فِي قُلُوبِهِمْ]. هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الأيام. ٦وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُواللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أيضاً فِي وَسَطِهِمْ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟] فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : [مِنْ الجو لاَنِ فِي الأرض وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا]. ٨فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأنه لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأرض. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ]. ٩فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : [هَلْ مَجَّاناً يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ ١٠أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أعمال يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأرض! ١١وَلَكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ فإنه فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ]. ١٢فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [هوذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ]. ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ "

نلاحظ من هذا النص الكتابي أن الآلام والعذابات التي كانت ستنصب على أيوب لم تكن قصاصا لشر قد عمله ولكن بسبب اشتكاء أو شكاية الشيطان عليه. وقد سمح الله حسب حكمته الفائقة بأن يجرب عبده أيوب. ومن المهم أن نتذكر أن أيوب لم يكن ملما بما جرى في السماء أمام عرش الله. الوحي الإلهي يفتح لنا نافذة إلى السماء نظل بواسطتها على ذلك المشهد لكي نكون نحن ملمين بما كان وراء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المآسي والفواجع التي كانت ستنهمر على أيوب الصديق وقد شاء الله بأن يمنحنا هذه المعرفة لنستفيد منها نحن الذين نتعرض لفواجع الحياة وان كانت لا تقاس بما جرى لايوب.

" وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَابناؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْراً فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ ١٤أَنَّ رَسُولاً جَاءَ إِلى أَيُّوبَ وَقَالَ : [الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا ١٥فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ]. ١٦وَبَيْنَمَا هو يَتَكَلَّمُ إِذ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ : [نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ]. ١٧وَبَيْنَمَا هو يَتَكَلَّمُ إِذ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ : [الْكِلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَقٍ فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ]. ١٨وَبَيْنَمَا هو يَتَكَلَّمُ إِذ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ : [بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْراً فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ ١٩وَإِذا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ]. ٢٠فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ وَخَرَّ عَلَى الأرض وَسَجَدَ ٢١وَقَالَ : [عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسم الرَّبِّ مُبَارَكاً]. ٢٢فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ لِلَّهِ جَهَالَةً "

لن نعلق الآن على جميع الدروس المنبثقة عن هذا النص الكتابي بل نكتفي بهذه الملاحظات : ادعى الشيطان بأن أيوب الصديق كان بارا وتقيا ومستقيما نظرا للخيرات العديدة التي كان الله قد أغدقها عليه. وبعبارة أخرى، كان الشيطان يعتقد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أو يظن بأن تقوى أيوب وحياته المثالية لم تكن مدفوعة من دافع المحبة لله بل بسبب الخيرات التي استلمها أيوب من الله. وقد سمح الله للشيطان بأن يجلب على عبده أيوب كل هذه الشرور لكي يظهر لسائر الناس في مجرى التاريخ بأن المؤمن الحقيقي لا يخدم الله ويتقيه حبا بالخيرات التي يستلمها من الله، بل لان المؤمن يحب الله محبة حقيقية، محبة تعكس محبة الله له.

ونتعلم أيضاً من سيرة أيوب بأنه لا يمكننا مطلقا القول في سائر المناسبات بأن آلام وعذابات هذه الحياة تأتي على الإنسان بالنسبة إلى الشرور التي ارتكبها. على العكس، ها أن هذه الأمور المحزنة للغاية والتي انصبت على رأس أيوب من خسرانه لامواله ولأولاًده، ها أنها أتت عليه لا لأنه ارتكب خطيئة معينة ضد الله بل لأنه كان تقيا وخائفا وعابدا له عبادة حقيقة. وقد جابه أيوب سرا عظيما و لم يفهم لمدة طويلة لماذا سمح الله لكل هذه الفواجع بأن تأتي عليه. و لم يعلم بأن الشيطان كان واقفا له بالمرصاد وأن الرجيم كان قد اشتكى عليه أمام العرش الإلهي. كان أيوب يجهل أمورا عديدة نعرفها نحن الآن لاننا نستطيع أن نقرأ عنها في الوحي الإلهي. ولكنه من المهم بأن نلاحظ أيضاً كيف أن أيوب كان مؤمناً جبارا يتمسك بالله بالرغم من كل ما حدث له. ولذلك شهد الصديق هذه الشهادة العظمى قائلاً " عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسم الرَّبِّ مُبَارَكاً "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سر التألم -٦

بحثنا حتى الآن في موضوع آلام وعذابات المؤمن الشهير أيوب الصديق فذكرنا كيف أن الله تعالى سمح للشيطان بأن يجرب عبده أيوب. أولاً جرد ابليس أيوب من ثروته الطائلة وبعد ذلك أمات بنيه وبناته. جرت هذه الأمور الحزينة بسرعة غريبة جدا، حدثت لرجل كان الله قد شهد عنه بأنه كان رجلا كاملا ومستقيما. وورد ذكر هذا الإنسان في الكتاب لنتعلم بان الآلام لا تنصب علينا دائما في هذه الدنيا بناء على شرور معينة، بل كثيراً ما تأتي علينا هذه الأمور للنموفي الإيمان وللتقرب من الله. وكذلك يجدر بنا أن لا ننسى بأن الشرير يقف لنا بالمرصاد وأن اسمه " شيطان " : المشتكي لأنه يشتكي على المؤمنين أمام العرش الإلهي. ومع أننا نحن على علم بدور الشيطان في الفواجع التي انقضت على أيوب الا أن هذا الأخير كان يجهل ذلك – لمدة ما. لكنه كان متأكدا بصورة دائمة بأنه مهما صار وحدث، يبقى الله المسيطر على الموقف حتى في أشد الساعات قساوة ومرارة.

اقتبسنا سابقا من الفصل الأول من سفر أيوب وها اننا نقتبس من الفصل الثاني حيث نلاحظ أن الله سمح للشيطان بأن يسلب أيوب صحته وعافيته " ١وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُوالله لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أيضاً فِي وَسَطِهِمْ لِيَمْثُلَ أَمَامَ الرَّبِّ. ٢فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟] فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : [مِنَ الجولاَنِ فِي الأرض وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا]. ٣فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ لأنه لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأرض! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي الله وَيَحِيدُ عَنِ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الشَّرِّ. وَإِلى الآنَ هو مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ]. ٤فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ : [جِلْدٌ بِجِلْدٍ وَكُلُّ مَا لِلإِنسان يُعْطِيهِ لأجل نَفْسِهِ. ٥وَلَكِنِ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ فإنه فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ]. ٦فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ : [هَا هو فِي يَدِكَ وَلَكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ]. ٧فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلى هَامَتِهِ. ٨فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وهو جَالِسٌ فِي وَسَطِ الرَّمَادِ. ٩فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : [أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ! جَدِّفْ عَلَى اللهِ وَمُتْ!] ١٠فَقَالَ لَهَا : [تَتَكَلَّمِينَ كَلاَماً كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟] فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ. ١١فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلاَثَةُ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ : أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ وَتَوَاعدو ا أن يَأْتُوا لِيَرْثُوا لَهُ وَيُعَزُّوهُ. ١٢وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرُّوا تُرَاباً فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نحو السَّمَاءِ ١٣وَقَعدو ا مَعَهُ عَلَى الأرض سَبْعَةَ أيام وَسَبْعَ لَيَالٍ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لأَنَّهُمْ رَأَوا أن كَآبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدّاً "

لم يكتف الشيطان بأن يأخذ ثروة أيوب وأولاده بل ضربه أيضاً في جسده بانزال ذلك المرض المخيف عليه. وقد ظن الشيطان بأن أيوب كان سيتخلى عن إيمانه بالله وانه كان سيستسلم لافكار شريرة تجعله يشك في عدالة الله وقوته ومودته. ومع أن أيوب مر في محنة روحية شديدة ومع أن زوجته لم تعطه النصائح المفيدة أثناء مروره بتلك المحنة وبالرغم من فشل رفاقه في تعزيته – إذ أنهم بعد صمتهم انقلبوا إلى محاضرين ومشتكين – الا أن أيوب لم يترك إيمانه بالله. وهذه بعض الكلمات الخالدة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التي نستقيها من سفره والتي تفوه بها أيوب الصديق " لَيْتَ كَرْبِي وُزِنَ وَمَصِيبَتِي رُفِعَتْ فِي الْمَوَازِينِ جَمِيعَهَا. ٣لأَنَّهَا الآنَ أَثْقَلُ مِنْ رَمْلِ الْبَحْرِ. مِنْ أجل ذَلِكَ لَغَا كَلاَمِي. ٤لأَنَّ سِهَامَ الْقَدِيرِ فِيَّ تَشْرَبُ رُوحِي سُمَّهَا. أَهوالُ اللهِ مُصْطَفَّةٌ ضِدِّي

لَيْتَ كَلِمَاتِي الآنَ تُكْتَبُ. يا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرٍ ٢٤وَنُقِرَتْ إلى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرَصَاصٍ. ٢٥أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أن وَلِيِّي حَيٌّ وَالآخِرَ عَلَى الأرض يَقُومُ ٢٦وَبَعْدَ أن يُفْنَى جِلْدِي هَذَا وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ. ٢٧الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إلى ذَلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جو فِي

[حَيٌّ هو اللهُ الَّذِي نَزَعَ حَقِّي وَالْقَدِيرُ الَّذِي أَمَرَّ نَفْسِي ٣إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ وَنَفْخَةُ اللهِ فِي أَنْفِي ٤لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْماً وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ

٢[قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. ٣فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ! وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا. ٤اسمع الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي. ٥بِسَمْعِ الإذنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. ٦لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ].

١٠وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لأجل أَصْحَابِهِ وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفاً. ١١فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزاً فِي بَيْتِهِ وَرَثُوا لَهُ وَعَزُّوهُ عَنْ كُلِّ الشَّرِّ الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ قَسِيطَةً وَاحِدَةً وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطاً مِنْ ذَهَبٍ. ١٢وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أولاَهُ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفاً مِنَ الْغَنَمِ وَسِتَّةُ آلاَفٍ مِنَ الإِبِلِ وَأَلْفُ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

زَوْجٍ مِنَ الْبَقَرِ وَأَلْفُ أَتَانٍ. ١٣وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. ١٤وَسَمَّى اسم الأولى يَمِيمَةَ وَاسم الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ وَاسم الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ. ١٥وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأرض. وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثاً بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ. ١٦وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ١٧ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخاً وَشَبْعَانَ الأيام "

نتعلم من سيرة هذا الرجل الجبار الذي عاش في أيام ما قبل الميلاد أن المؤمن الحقيقي يصمد في هذه الحياة صمودا جبارا لأنه يتكل على الله اتكالا تاما وان كان لا يفهم في كثير من الاحيان سبب انهمار المصاعب والمآسي على رأسه. وكذلك نتعلم أن الشيطان يلعب دورا فعالا في جلب الآلام والمشاكل على الناس ولا سيما على المؤمنين وكأنه لم يتلقن الدرس الذي كان عليه أن يتلقنه منذ أيام ايوب الصديق وهو أن المؤمن يلتصق بربه والهه لا طمعا بالربح الذي يتأتي عن ذلك الإيمان بل لأنه يحب الله محبة حقيقية مبنية على محبة الله له.

سر التألم -٧

لازمت الآلام البشرية منذ فجر التاريخ إذ أنه ليس بأمر حديث أو عصرى أن يتألم البشر. هذا صحيح! لكننا لازلنا نبحث في هذا الموضوع الهام لكي نكون المفهوم الحقيقي لموضوع التألم وسر الالم. ومع كثرة الأمور الحسنة والجيدة في حياتنا المعاصرة الا انها اتسمت أيضاً بكثرة الآلام والفواجع والمآسي التي انهمرت على الناس لا كأفراد فقط بل كجماعات وشعوب. ولذلك نحن لا نكون باحثين في موضوع فلسفي أو نظرى مجرد عندما نتكلم عن سر التألم بل نكون متكلمين عن موضع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حياتي يمس جميعنا في معترك الحياة التي نحن نحياها في الثلث الأخير من القرن العشرين.

وقد ذكرنا عدة أمور تتعلق بهذا الموضوع، فقلنا أننا عندما نشرع بالتفكير فيه فأننا نقوم بذلك من وجهة نظر الإيمان القويم أي الإيمان بالله الواحد الحقيقي المسيطر على كل شيء والقادر على كل شيء والذي يبقى صالحا وعادلا مهما كثرت متاعب الحياة ومهما اكفهرت أجواؤها بالغيوم الكثيفة! وذكرنا أيضاً بعض النظريات الخاطئة المتعلقة بموضوع الآلام والتألم تلك النظريات التي نمت وترعرت على تربة الديانات والفلسفات الوثنية ونبذنا تلك الآراء لان أساسها هو خاطيء. ثم ذكرنا أيضاً أن الإنسان يلعب دورا فعالا في جلب الآلام على رأسة وعلى غيره بتعديه على النواميس والشرائع التي سنها الله لهذه الحياة يجلب التشويش والاضطراب والفوضى وغيرها من الأمور المحزنة التي تساهم في جلب الآلام على الناس. ولكننا لاحظنا انه من المهم جدا ألا نخال بأن آلام هذه الحياة تعادل بصورة حسابية أو رياضية مقدار الشر الذي يرتكبه الإنسان. فمع وجود علاقة عامة بين وجود الشر في العالم ووجود الآلام الا أنه لا يجوز لنا مطلقا القول بأن الإنسان يتألم في هذه الحياة بالنسبة إلى الشرور التي يكون قد ارتكبها أو أنه يتألم دوما بصورة حتمية.

وفوق ذلك رأينا بأن الإنسان قد يتألم بدون أن يكون قد قام بأمر مخالف للشريعة الإلهية. واستشهدنا بحياة أو بسيرة أيوب الصديق الذي عاش في أيام ما قبل الميلاد والذي تعذب وتألم كثير في حياته بدون أن يكون قد ارتكب خطايا معينة. وقد ساعدنا الوحي الإلهي على رؤية عامل معين له علاقة وثيقة بآلام وعذابات الناس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهو الشيطان وتدخله في حياة البشرية. وهكذا وصلنا إلى القول بأنه هناك سر في آلام وعذابات الناس ولاسيما في حياة المؤمنين وان الله يجعل جميع هذه الأمور تعمل في النهاية لصالح عبيده الاتقياء كما كانت الحالة مع أيوب الصديق.

نأتي الآن إلى مجابهة السؤال الحيوى التالي : هل يمكننا النظر إلى التألم والآلام وكأنها دائما معبرة عن المشيئة الإلهية؟ وبعبارة أخرى، عندما أكون أنا كإنسان مارا في بحر الآلام، ما هو موقفي منها وماذا على أن أستنتج؟ أهذه هي مشيئة الله بالنسبة الي فما على أنا المتألم سوى الإذعان والرضوخ؟ أم هل علي أن أحاول فهم المشيئة الإلهية بطريقة أرى فيها أنه من واجبي التغلب على هذه الآلام ولاسيما على بواعثها ومسبباتها؟

هذه أسئلة ذات أهمية قصوى لانها تتعلق بنفس كل إنسان مار في بحر الآلام والعذابات. ونحن طبعا نعتبرها مطروحة من قبل مؤمن أو مؤمنة، وعندما نحاول الاجابة عليها وعلى ما يشابهها سوف نعيد إلى ذاكرتنا كل ما كنا قد ذكرناه عن هذا الموضوع.

قبل كل شيء نقول انه يجدر بنا أن نكون مفهوما صحيحا للمشيئة الإلهية أو الارادة الإلهية لئلا نقع في مأزق حرج ونحن نبحث في هذا الموضوع الدقيق. المشيئة الإلهية هي دوما مشيئة الاله الواحد السرمدي القدوس العادل الصالح والمحب. إذن نقول : مشيئة الله هي دوما مشيئة صالحة ولا يجوز نسبة أي شيء ردىء اليها ولقد علمنا السيد المسيح في الصلاة المعروفة باسم الصلاة الربانية بأن نرفع دعائنا إلى الله

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قائلين : لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. وهذا يعني أنه من واجبنا بأن نسعى لتكييف حياتنا لكي تكون بصورة دائمة متجانسة مع المشيئة الإلهية. وهذه المشيئة هي صالحة وعادلة لانها ليست الا ارادة الله الصالح والعادل والقادر على كل شيء.

وكما كنا قد ذكرنا سابقا نحن نعيش في دنيا ساقطة وهي أشبه بساحة حرب تدور رحاها بين قوى الخير والشر. وإذ نعيش في دنيا كهذه فأن هناك أمور عديدة ملوثة بالشر والعصيان على المشيئة الإلهية، وهذه تجلب علينا البؤس والشقاء والآلام والعذابات.

ولكن عالمنا ليس بعالم قد خرج بصورة مطلقة عن سلطان الله أو عن تسيير الله لشؤونه. يبقى عالمنا هذا خاضعا لله ولكنه (أي عالمنا). عالم مليء بالمشاكل الناتجة عن ثورة الإنسان الأول وعن سيره في ركاب الشيطان.

وإذ تأتي علينا النوائب نعلم بأنها لم تأت بدون معرفة الله. لنضع هذه الحقيقة العظمى أمام أعيننا فنصبح أكثر قربا إلى حل مشكلة الالم والعذاب. نحن لا نقول بأننا قد وصلنا إلى حل مفهوم تماماً أو إلى حل يطمئن اليه كليا قلب الإنسان المتألم لكننا نكون سائرين على الطريق المؤدى إلى ذلك الحل!

فلابد إذن من وجود درس معين يود الله منا أن نتعلمه من آلامنا وعذاباتنا، وذلك الدرس لم يكن قد تعلمناها فيما لو لم يضعنا الله في مدرسة الآلام. يتعلم المتألم دروسا عملية واقعية حياتية لا دروسا نظرية فلسفية مجردة. يعلم المتألم (المؤمن). أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يد الله تبقى مسيطرة على كل شيء، فعليه إذن التقرب من الله والصلاة اليه لكي يصل المصلي إلى معرفة هذا الأمر : هل عليه الصلاة من أجل رفع هذه الآلام (كالتخلص من مرض معين والمسبب للآلام). أو من أجل احتمال المرض وآلامه – فيما إذا كانت المشيئة الإلهية بأن يتألم المؤمن إلى النهاية.

لا يصل المؤمن إلى هذه المعرفة في يوم واحد أو بصورة فوطبيعية بل بواسطة العناية الإلهية التي تلهم المؤمن بأن يقوم بعمل أمر ما أو اتخاذ موقف معين فيصل في النهاية إلى معرفة غاية آلامه وتألمه. وأثناء مرور المؤمن ببحر الآلام عليه أن يذكر نفسه مرارا وتكرارا بأنه مخلوق له قوى عقلية محدودة، وانه من المستحيل له أن يتفهم تماماً كيف يسوس الله جميع أمور العالم وخاصة العالم الذي نعيش فيه نحن. لا يصبح المؤمن – نظرا لإيمانه بالله – متمتعا بمعرفة خارقة للطبيعة، لكنه يمتاز عن غير المؤمنين بكونه يعرف الله القادر على كل شيء معرفة اختبارية / حياتية. فالمؤمن يعلم كل العلم بأن الله هو الآب السماوي الرحوم والرؤوف وأنه تعالى يجعل كل الاشياء تعمل معا للخير من أجل الذين يحبون الله أي المدعوون حسب أو بمقتضى قصده الازلي. وفي هذه المعرفة الاكيدة يجد المتألم عزاء كبيرا وسلاما يفوق كل عقل وتصور.

سر التألم-٨

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لاحظنا سابقا أن المشيئة الإلهية بصورة عامة تبغي لكل إنسان حياة بعمها السلام والتناسق وكل ما هو جيد وصالح. ولكننا لاحظنا في نفس الوقت أن الإنسان يعيش وسط عالم تغلبت عليه قوى الشر وان هذه الشرور العديدة تحدث وتسبب آلاما وعذابات عديدة لبني البشر. وكذلك ذكرنا أن الشيطان له علاقة مسيسة بموضوع الآلام التي تنصب على الإنسان لأنه (أي الشيطان). هو عدو الإنسان اللدود والمشتكي عليه في سائر أيام حياته. وأخيرا ذكرنا بأن المتألم يذهب إلى الله طالبا منه العون والنجاة أو طالبا منه تعالى القوة لكي يقدر (المتألم أو المعذب). بأن يحتمل كل ما كان الله قد سمح به من أمور مزعجة أو مؤلمة. وليس علينا أن نهمل بأن أساس بحوثنا هذا هو أن المتألم يتمتع بإيمان حي بالله. إذ أنه بدون هكذا إيمان حي ليس هناك من حل ولا شبه حل لسر التألم. لغير المؤمن الحياة بأسرها وبكليتها هي لغز لا معنى له ولا هدف.

ان كان المؤمن يسير حسب منطق إيمانه السليم فإنه يرجع إلى مبادىء أو ليبة تبقى عاملة في حياته بصورة دائمة بالرغم من الظروف القاسية التي عكرت صفوحياته. وهذه المبادىء الأولية غير المتغيرة هي : قوة الله اللامحدودة وقدرته اللانهائية وصلاحه وعدله ومحبته. هذه حقائق اساسية مبدئية لا يمكن أن ينساها المؤمن ولا يجوز له أن يشك فيها.

من نقطة انطلاق كهذه يبدأ المؤمن المتألم والمعذب ويقول : الآن وقد سمح الله القدوس والقادر على كل شيء بأن أتألم بهذه الصورة وأن أتعذب بهكذا عذابات، كيف يمكنني الاستفادة من ظروف حياتي الواقعية لكي يؤول كل شيء في حياتي إلى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

خيرى الحقيقي وإلى مجد الله خالقي؟ وهنا إذ نذهب إلى اختبارات الاتقياء من مؤمنين ومؤمنات عبر العصور المتعاقبة لابد لنا من القول – بناء على تعاليم الوحي الإلهي – بأن الآلام والعذابات التي يسمح بها الله هي عبارة عن مدرسة حياتية غايتها تقريب المؤمنين والمؤمنات من الله. يشهد العديدون من المؤمنين والمؤمنات والذين ذاقوا عذابات شديدة في حياتهم وتألموا اما في أجسادهم أو في أرواحهم، أن كل ذلك أدى إلى نموهم في حياة الطاعة والتقوى والصلاح والفضيلة والقداسة. هذا لا يعني أن المؤمنين والمؤمنات يسعون وراء الظروف التي تسير بهم إلى تلك العذابات. انهم يبقون بشرا اعتياديين ولا يضحون من جبلة فوق بشرية. الفرق بين موقفهم من الآلام وموقف غير المؤمنين هو أن المؤمنين يعلمون بأن يد الله تسيطر على كل شيء وتسير كل شيء حتى أن آلامهم تؤول إلى خيرهم النهائي. أما غير المؤمنين فإنهم لا يعلمون لماذا انهالت عليهم العذابات ولا يدرون كيف يحولونها إلى مدارس في بالفضيلة والرجولية. فهم إذ يحرمون أنفسهم من الإيمان بالله يجابهون وجودا قاحلا لا معنى له ولا رجاء من التخلص من طغيانه الاعمى.

وقد كتب أحد الاساتذة الاتقياء والذي كان قد اهتدى إلى الإيمان الحي بالله بعد سنين عديدة عاشها بدون ذلك الإيمان " هناك العديدون من الناس الذين لا يصغون إلى صوت الله الا إذا حدث أمر مزعج للغاية في حياتهم. انهم لا يصغون إلى صوت الله المتكلم بهدوء، ولذلك يتكلم عنهم أحيانا بصوت عال أي بواسطة الآلام. عندما يكون كل شيء سائر على أحسن ما يرام وعندما تبدوالحياة وكأنها حلم لذيذ فأننا نحن بني البشر قد نبدأ بالعيش بدون التفكير بالله،،!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن أشهرالفلاسفة والعلماء الفرنسيين كان بليز باسكال الذي عاش في القرن السابع عشر. نقتبس الآن هذه الكلمات من احدى صلواته أو أدعيته : " اللهم، لقد أعطيتني الصحة لاخدمك ولكنني استخدمتها في أمور دنيوية. والآن ها أنك أرسلت على المرض لتقومني. يا الله لا تسمح لي بأن أستعمل هذا المرض للتهرب منك نظرا لقلة صبرى، نظر باسكال إلى الآلام والعذابات كمدرسة الإيمان.

وهذا هو أيضاً تعليم الوحي الإلهي : الآلام هي مدرسة الإيمان وقد قال في هذا الصدد أحد أصحاب أيوب الصديق وكان اسمه أليفاز ما يلى : " ١٧[هوذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. ١٨لأَنَّهُ هو يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. ١٩فِي سِتِّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ وَفِي سَبْعٍ لاَ يَمَسُّكَ سُوءٌ. ٢٠فِي الجوعِ يَفْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ. ٢١مِنْ سَوْطِ اللِّسَانِ تُخْتَبَأُ فَلاَ تَخَافُ مِنَ الْخَرَابِ إذا جَاءَ. ٢٢تَضْحَكُ عَلَى الْخَرَابِ وَالْمَجَاعَةِ وَلاَ تَخْشَى وُحُوشَ الأرض. ٢٣لأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. ٢٤فَتَعْلَمُ أن خَيْمَتَكَ آمِنَةٌ وَتَتَعَهَّدُ مَرْبِضَكَ وَلاَ تَفْقِدُ شيئاً. ٢٥وَتَعْلَمُ أن زَرْعَكَ كَثِيرٌ وَذُرِّيَّتَكَ كَعُشْبِ الأرض. ٢٦تَدْخُلُ الْمَدْفَنَ فِي شَيْخُوخَةٍ كَرَفْعِ الْكُدْسِ فِي أوانِهِ. ٢٧هَا أن ذَا قَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ. كَذَا هو . فَاسمعْهُ وَاعْلَمْ أَنْتَ لِنَفْسِكَ "

ونقتبس ما يلي من أحد كتب الوحي أي من الرسالة إلى مؤمنين معذبين ومضطهدين كانوا من أصل عبري وقد اضطهدوا بعد أن كانوا قد اهتدوا إلى نور المسيح. وهذه الكلمات المقتبسة من الرسالة إلى العبرانيين تعطينا الموقف المتزن الذي على كل مؤمن ومؤمنة أن يتخذاه عندما يسمح الله بأن تأتي نوائب الحياة عليهما "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٥وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ : «يا ابني لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الـرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إذا وَبَّخَكَ. ٦لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابن يَقْبَلُهُ». ٧إِنْ كُنْـتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابن لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ٨وَلَكِنْ أن كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. ٩ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَـا آبَـاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأولى جِدّاً لأَبِـي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَـا؟ ١٠لأَنَّ أولئك أَدَّبُونَا أياماً قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأجل الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. ١١وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أخيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ. ١٢لِـذَلِكَ قَوِّمُـوا الأَيَـادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، ١٣وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَـيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى "

في عالم كهذا الذي نحيا فيه حيث عاشت فيه قوى الشر منذ فجر التاريخ، ما أكثر الآلام والعذابات التي تنهمر على بني البشر من مؤمنين وغير مـؤمنين. ولكـن المؤمن لا ينظر إلى هذه الأمور المحزنة نظرة اليأس والقنوط، بل يعلم علم اليقين بـأن الله يستعمل المآسي والكوارث كوسائط لتأديب المؤمن ولتقريبه منه. للمؤمن بـالله ليست الآلام الا مدرسة الإيمان والنموفي الإيمان.

سر التألم -٩

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من مظاهر الحياة المعاصرة كثرة الآلام والعذابات التي تنهمر على الناس بالرغم من كثرة الاختراعات البشرية وبالرغم من الفتوحات الباهرة التي توصل اليها الإنسان في الفضاء الخارجي كالنـــزول على القمر. وهذا الذي دفعنا إلى تخـــصيص عـــدة تأملات لموضوع سر الالم. ندعوه سرا لأنه هناك عدة أمور لا نستطيع أن نتفهمهـــا عن الآلام والعذابات التي تحيق بنا أو التي تنقض علينا شخصيا. لكننا لا نقوم بهـــذه الدراسة من وجهة نظر فلسفية لا دينية. على العكس نقوم بهذه الدراسات من وجهة نظر معينة وهي منبعثة من تعاليم الوحي الإلهي.

فمهما صعب هذا الموضوع ومهمـــا اكفهـــرت أجـــواء حياتنـــا الفرديـــة والاجتماعية، فاننا نؤمن كل الإيمان ونعتقد من صميم قلوبنا بأن الله على كل شيء قدير وأنه صالح وعادل مهما حدث وصار! على هذا الاساس المتين والقـــوى بنينـــا دراساتنا بكل اتضاع معترفين بأننا من جبلة بشرية ترابية. نحن بشر، اننا مخلوقـــات محدودة، اننا أناس خاضعون لقوى الشر وفينا جميعا ميل دائم وقوى للابتعاد عن الله وسبله المستقيمة.

وهذه محاولة لتلخيص ما أتينا على ذكره في دراساتنا لموضوع سر الألم والتألم :

١. لا يتألم الإنسان على هذه الأرض بالنسبة إلى الشرور المعينة الـــتي يرتكبها، إذ أنه لو تألم نسبيا لهذه الشرور لما بقي حيا لمدة يوم واحد!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢. يتألم الإنسان في كثير من الاحيان لا بسبب شرور قد ارتكبها بل لاسباب مجهولة بالنسبة اليه.

٣. يتدخل الشيطان في معترك الحياة البشرية وهو المشتكي على الإنسان ويجلب عليه شرورا عديدة. وقد ذكرنا سيرة أيوب الصديق لدعم هذا المبدأ.

٤. جميع الآلام والمآسي التي تنهال على الناس أفرادا وجماعات لا تجرى بدون علم الله بل على العكس. كل شيء في دنيانا هذه يسير حسب علم الله السابق ويخضع لمشيئته المقدسة. مهما صار وحدث في عالمنا فان ذلك يجرى والله في السماء قادر على كل شيء وبعبارة أخرى حتى في أحلك الساعات وأدقها لا نستطيع أن نقول مطلقا بأن زمام الأمور قد فلت من الله القدير أي من يد الله!

٥. الآلام التي تأتي على حياة المؤمن انما هي بمثابة مدرسة حياتية للنموفي الإيمان.

وهكذا نلاحظ مما أو ردناه بأننا لا نقدر أن نساعد الإنسان الذي ترك إيمانه بالله الحي وصار فريسة للصنمية المعاصرة. هذا لا يعني اننا ننعزل عنه في برجنا العاجي انما نقول بأن فهم معنى الآلام وحل لغز أو سر التألم لا يتم بدون الرجوع التام والكلي إلى الإيمان بالله القادر على كل شيء والمسيطر ليس فقط على التاريخ في العصور الماضية والسحيقة بل على تاريخ اليوم وعلى أيام المستقبل المجهولة. الله هو الله وليس هناك من عزاء أو من شفاء لنا بدون الاقرار بعظمته وبجلاله وبسلطانه على

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كل شيء. ليس فقط الآلام والعذابات بل الحياة بأسرها من ألفها إلى يائها ليست الا لغزا ومعضلة لكل من ترك إيمانه بالله وبوحيه المقدس. فالحل الذي ننشده هو الحل المنبعث من صميم الوحي الإلهي ونحن نبحث لا كمبتدعين بل كتلاميذ لمعلمين وأساتذة وكتاب مؤمنين بحثوا في هذا الموضوع منذ القديم.

ان المؤمن الذي اختبر الآلام والعذابات العديدة في هذه الحياة لا ينظر اليها كمعضلات أو كألغاز مخيفة بل ينظر اليها كفرص ذهبية، آتية اليه من الله تعالى. فرص ذهبية؟! نعم، الآلام هي فرص يمنحنا اياها الله لكي نقترب منه ولنتخذ نوعا من الزهد الداخلي تجاه جميع نواحي الحياة.

أليس هذا هو الفارق بين المؤمن المتألم والمتألم غير المؤمن أو المتألم الذي ينسى إيمانه حالما تنقض عليه آلام الحياة؟ يكون الألم متساويا – من الناحية الكمية – في حياة شخصين معينين : الواحد يؤمن بالله وبقوته اللامتناهية وبصلاحه وبعدله، والآخر يظن بأن الحياة بأسرها تحت رحمة الاقدار العمياء العاتية! يقول المؤمن المتألم ضمن نفسه : أن الله العليم بكل شيء شاء فسمح بان يحدث لي هذا الأمر المحزن. اني لن أثور على ربي وخالقي بل سأقبل كل شيء وأسأل الله بأن يعطيني المعونة والنعمة لكي أتغلب على مصاعبي وأنتصر عليها وأجعل منها مدرسة للنموفي الإيمان والتقوى والحياة. أما غير المؤمن فإنه ينظر إلى آلامه وعذاباته ولا يرى فيها لا معنى ولا مغزى، فتشتد ثورته على الدنيا ويعيش حياة القلق المستمر. وما أهم النظر إلى الآلام والعذابات من وجهة نظر ايجابية! ولكن ما أصعب اتخاذ هكذا موقف! فنحن نميل بصورة طبيعية إلى التهرب من الآلام. حتى رجال الله العظماء مالوا إلى التهرب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

و لم يرغبوا في بادىء الأمر مجابهة المتاعب مجابهة واقعية. مثلاً عندما كثرت نوائب الحياة فان النبي داود نظم هذه القصيدة :

" ١اِصْغَ يا اللهُ إلى صَلاَتِي وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي. ٢اسْتَمِعْ لِي وَاسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ ٣مِنْ صَوْتِ الْعدو مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِّرِّيرِ. لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْماً وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي. ٤يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي وَأَهوالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ ٥خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيا عَلَيَّ وَغَشِيَنِي رُعْبٌ. ٦فَقُلْتُ : [لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ! " (مزمور ٥٥)..

هكذا كان موقف النبي المضطهد " ليت لي جناحا كالحمامة فأطير وأستريح! ألسنا نحن أيضاً مثل داود؟ ألا نود التهرب من صعوبات الحياة؟ لكن الآلام والعذابات لا تذوب ولا تختفي أن تهربنا منها. علينا إذن مجابهة الآلام عالمين بأنها لم تنقض علينا بمعزل عن المشيئة الإلهية. أليست هي مدرسة للإيمان وللنموفي الإيمان؟ أليست فرصا يجب اقتناصها وتحويلها إلى وسائط للنموفي الحياة الروحية؟

كيف تغلب النبي داود على الهموم والمصاعب والمشاكل التي كانت قد اجتاحت سماء حياته وجعلته يرنوإلى الهرب منها والتشبه بالحمامة؟ نظر إلى عدالة الله العاملة في هذه الدنيا وآمن من قرارة قلبه بأن اليوم آت عندما سيظهر فيه حقه كظهور نور الشمس. وإذ ذاك ناشد النبي سائر المؤمنين المتألمين والمعذبين في سائر العصور والاصقاع بهذه الكلمات الخالدة :

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

" ٢٢أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فهو يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إلى الأَبَدِ "
!

سر التألم -١٠

عندما يتعرض الإنسان للآلام والعذابات التي تصاحب هذه الحياة فإنه يجد نفسه في أحد الموقفين الآتيين :

١. أن كان المتألم مؤمناً وان كان يحيا بمقتضى منطق إيمانه بالله القادر على كل شيء والصالح والعادل، فإنه مع جهله لعدة تفاصيل تتعلق بحياته وخاصة بظروفه الصعبة، ينظر إلى آلامه كفرص ممنوحة من الله للتقرب منه تعالى والعيش حياة التقوى والقناعة.

٢. ان لم يكن المتألم مؤمناً أو أن كان مؤمناً من الناحية السطحية فإنه يثور على حالته وعلى ظروفه الحياتية القاسية ولا يرى معنى في آلامه وعذاباته. ويميل المتألم عادة إلى التذمر والتأفف ويتوق من قرارة نفسه بأن يحيا حياة خالية من الأمور المحزنة أو المقلقة. هذه كانت حالة النبي داود كما رأينا في بحثنا السابق. فعندما كثر أعداؤه وخانه ابنه الذي كان يحبه محبة قوية جدا، تمنى داود لو كانت له أجنحة الحمام ليطير بها إلى البرية هربا من المشقات والمشاكل التي كانت محدقة به من كل حدث وصوب. ولكنه ما أن فكر في امره مليا وأخذ يسمح لإيمانه بالله بأن يلعب دوره الهام حتى رأي أن أحسن شيء عليه القيام به هو الاتكال التام على الله. يبقى الله حتى في أحلك

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الساعات وأخطرها، يبقى القدير المسيطر على الموقف وعلى سائر القوى العاملة أو العابثة بحياة الإنسان.

لايجوز للمؤمن التهرب من الآلام ولا الادعاء بأنها غير موجودة. غاية المؤمن ليست التهرب بل التغلب على الآلام. على المؤمن التغلب والانتصار على آلامه وعذاباته بواسطة القوى التي يحصل عليها من الله. فالآلام تضحي فرصا ذهبية لتقوية الإيمان في حياة المتألم لتقريبه من ربه والهه.

وسنستشهد بما كتبه رسول المسيح بولس عن موضوعنا هذا. وقد كان السيد المسيح قد دعا عبده بولس للمناداة بالإنجيل في عالم المتوسط. لكن هذا الرجل الجبار لم يتمتع براحة مثالية وهو يقوم برحلاته الإنجيلية بل كابدا اتعابا ومشقات لا تعد ولا تحصى نظر لامانته للسيد المسيح. وقد أصابه مرض أو ضعف نجهل نوعه – وذلك لان الرسول لم يتكلم عنه بالتفصيل. لندعه الآن يصف لنا موقفه من هذا الموضوع :

" ٧وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعلاناتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. ٨مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَن يُفَارِقَنِي. ٩فَقَالَ لِي : «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. ١٠لِذَلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأجل الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ "

من الرسالة الثانية إلى أهل الإيمان في كورنثوس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قد نفكر أنه كان بإمكان الرسول بولس أن يخدم المسيح بصورة ممتازة فيما لو لم يكن قد حل به ذلك المرض. ولكن مشيئة المسيح لم تكن بحسب تصوراتنا. وهكذا نجد أن الرسول طلب من ربه ومخلصه بأن ينقذه من ذلك الأمر المزعج ولكن الجو اب كان : تكفيك نعمتي! قد تظن يا بولس انك تستطيع أن تخدم المسيح بصورة مثالية وعظيمة أن كانت حياتك خالية من الأمراض والأوجاع والاتعاب ولكن المسيح يعلم أحسن منك ما هو لخيرك ولذلك فان جو ابه هو : تكفيك نعمتي. ولقد أراد الله بأن يعلم رسوله التواضع المطلق. فقد كان الرسول بولس معرضا للوقوع في خطية الكبرياء والتشامخ على الناس نظرا لكثرة المواهب الروحية التي استلمها من الله ولذلك سمح الله بأن يصاب الرسول بمرض أو بضعف. وهذا بدوره أدى إلى تقرب بولس من الله. وهذه هي ذروة التقوى : أن يعيش الإنسان بالشعور التام بأهمية الاتكال على الله وانتظار العون والنجاة منه تعالى. وذروة عدم الإيمان هي أن يعيش الإنسان مستقلا كل الاستقلال عن الله وعن أمور الله. فان كانت الطريقة الفعالة – لتقريب الإنسان من الله – في عالم خاضع لجاذبية الشر بأن يتألم الإنسان، أفلا نفهم لماذا قال الرسول " ١٠لِذَلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأجل الْمَسِيحِ " ؟!

قد نظن أن الإنسان لهومعتوه فيما إذا صرح قائلاً : أسر بالضعفات، الخ. ولكن الرسول لم يقل أنه يسر بهذه الأمور نظرا لكونها محزنة أو متعبة أو مؤلمة! لم يكن بولس من جبلة فوبشرية أي فوق بشرية. كلا، لقد كان إنسانا مثلنا. ولكنه بعد أن ذكر تلك اللائحة استطرد قائلاً : لأجل المسيح! أن المؤمن العامل في سبيل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله وبرنامجه لهذا العالم فإنه يرحب بل ويسر بالضيقات لا لأنها جيدة أو صالحة في ذاتها، بل لان المؤمن يقدر أن يحولها – بفضل نعمة الله – إلى فرص ذهبية للنمو في الإيمان وللتقرب من الله ولخدمته تعالى خدمة صالحة وخالية من الكبرياء والعجرفة والتشامخ.

أترى أيها القارئ العزيز ما أحاول بأن أقودك لرؤيته؟ في عالم مليء بالشرور والآثام والمعاصي، في عالم القرن العشرين عالم الاختراعات الكثيرة في دنيانا هذه، يسمح الله للعديد من الأمور المحزنة بأن تنقض علينا وباستطاعتنا التغلب عليها أن كنا قد تسلحنا بالإيمان الحي بالله وبوحيه المقدس. تبقى الآلام في حد ذاتها أمورا غير مرغوبة... والمؤمن المتألم يبقى إنسانا ولا يصبح لا ملاكا ولا من جبلة فوبشرية (فوق بشرية).! ولكن المؤمن يعلم بأن الله يضع تحت تصرفه النعمة والقوة والمقدرة للتغلب على جميع صعوبات الحياة.

هل يعني ما ذكرناه بأن سر الالم أو التألم يزول أو يذوب؟ كلا! فنحن ما دمنا على قيد هذه الحياة الأرضية لابد لنا من أن نطرح أسئلة عديدة عن سبب هذا الشيء أو ذاك. ولكننا كمؤمنين نرى بأن المعضلة تزول بالنسبة الينا، إذ أننا لسنا كغير المؤمنين الذين يعيشون تحت علامات استفهام عديدة. نحن وان لم نعلم تفاصيل عدة أمور حياتية الا اننا نعلم علم الاكيد ونؤمن كل الإيمان بأننا نعيش تحب عرش الله العظيم وان كل أمور الحياة انما هي خاضعة لتدبير الله العجيب. ولذلك فان المؤمن ينظر إلى كلمات المسيح التي وجهت أولاً إلى بولس الرسول ويقول : هذه هي لى أيضاً، أن المسيح قد قال لي أيضاً بواسطة كلمته المقدسة ووسط صعوبات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحياة والآلام العديدة التي أسير فيها : " تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ "

سر التألم - ١١

لقد وصلنا الآن إلى البحث الأخير في سر التألم أو الألم ونرجوأن تكون هذه التأملات قد أفادت القراء الاعزاء! وسنخصص هذا البحث الأخير لتلخيص ما كنا قد وصلنا اليه في الدراسات الماضية راجين بأن نكون جميعنا قد كوننا المفهوم الصحيح لموضوع يعد من أخطر المواضيع التي تجابه الإنسان المعاصر.

عندما أبتدأنا في بحثنا هذا قلنا أننا نقوم به من وجهة نظر الإيمان التام بالله القادر على كل شيء الذي هو أيضاً عادل وصالح. هذا المعتقد هو نقطة انطلاقنا ولذلك نحن ننبذ بديهيا كل نظرية أو رأي أو فكر يتعأرض مع الإيمان التام والكامل بالله وبعدله وبصلاحه وقوته التامة وبسيطرته على سائر مقدرات الحياة.

ومع أننا نعرف هذه الأمور معرفة عقلية ومع أننا نقر بقوة الله اللامحدودة وبعدله وبصلاحه الا أننا في كثير من الاحيان لا نمتنع عن التساؤل : لماذا حدث هذا الأمر المحزن لي؟ لماذا سمح الله لهذه الفاجعة بأن تنزل علي؟ لماذا سمح الله لهذه الكارثة الهائلة بأن تأتي علينا في هذه البقعة المعينة من الأرض؟ لماذا؟ وعندما نسأل هكذا أسئلة فأن ذلك لدليل على عدم نضوج إيماننا. فنحن نعلم أو يجب علينا أن نعلم أن إيماننا بالله القادر على كل شيء لا يسمح لنا بأن نظن – ولا لو هلة واحدة – بأن زمام الأمور قد فلت من يده تعالى. عوضا عن أن نسأل : لماذا؟ على كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

واحد منا أن يقول : لست أعلم لماذا حدث لي هذا الشيء المحزن. أنا لا أعرف السبب، ولكن الله يعلم وهذا يكفيني. الله يعلم وقد سمح بذلك وهذا يكفيني معرفته. ليس الله بملزم لكي يعطينا أجوبة على أسئلتنا، ولكنه تعالى يتطلب منا أن نضع إيماننا موضوع التنفيذ في حياتنا اليومية. وإذ نقوم بذلك فلابد لنا من الوصول إلى الموقف الحميد من جميع المشاكل التي تعترضنا ولاسيما تلك التي تتعلق بآلام وعذابات الحياة.

ومن المهم الملاحظة بأن الإنسان المتمتع بإيمان حي وفعال أنه لدى تعرضه لازمات الحياة الشديدة يتقوى إيمانه. فمن أهم مزايا الإيمان القويم هو أنه يساعدنا لنبقى أمناء لله حتى عندما لا نستطيع فهم أي شيء من الأمور المحزنة والمؤلمة التي تحدث لنا. إذا ما منفعة الكلام عن الإيمان أن لم يكن المؤمن أمينا لله أي متشبثا بكل ما أو حي به الله؟

فلنذكر جيدا أيها القراء الاعزاء أن الله يسيطر على جميع أمور الكون وأن عنايته شاملة لكل شيء. قد يسهل لنا الكلام بهذه الصورة عندما تكون الحياة خالية من المشاكل والمتاعب وعندما تكون طرقنا مفروشة بالورود والرياحين. ولكنه يجب علينا أن نقر ونشهد بإيماننا بالعناية الإلهية حتى في أحلك ساعات التاريخ، أكان ذلك بصورة فردية شخصية أو بصورة جماعية.

لنأخذ مثلاً شخصية الرسول بولس الذي عمل من أجل نشر رسالة السلام والمحبة والمصالحة مع الله في القرن الأول من الميلاد. أن رسول المسيح تعذب أكثر من العديدين من الناس في أيامه. وقد اضطهد من قبل بني جنسه الذين كان قد رفضوا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

رسالة الإنجيل التحريرية والفدائية. وكذلك اضطهد بولس الرسول من قبل السلطات الرومانية الحاكمة والتي كانت تسيطر على جميع بلاد حوض البحر الابيض المتوسط. وتعرض أيضاً الرسول لاضطهادات البعض من أهل الإيمان الذين كانوا قد أساؤوا فهم طبيعة الرسالة الخلاصية والذين أرادوا دفع الحركة الإنجيلية إلى الوراء. لقد ذاق الرسول العذابات الشديدة التي قلما نذوقها اليوم وها انه يصفها بهذه الكلمات المؤثرة :

" ٣وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةَ (أي خدمته في نشر رسالة الإنجيل التحريرية).. ٤بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ، فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ، فِي شَدَائِدَ، فِي ضَرُورَاتٍ، فِي ضِيقَاتٍ، ٥فِي ضَرَبَاتٍ، فِي سُجُونٍ، فِي اضْطِرَابَاتٍ، فِي أَتْعَابٍ، فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ.. "

واستطرد الرسول بعد ذلك في وصف آلامه واتعابه وقد اضطر إلى ذكر ذلك بسبب وجود اخوة كذبة أو منافقين بين أهل الإيمان في مدينة كورنثوس اليونانية. قال بولس الرسول :

" أَهُمْ نَسْلُ إبراهيم؟ فَأَنَا أيضاً. ٢٣أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلٍّ الْعَقْلِ : فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أو فَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً. ٢٤مِنَ الْيَهودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ٢٥ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَاراً قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. ٢٦بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. ٢٧فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ "

لائحة طويلة؟ نعم! ومن منا قاسى ما قاساه رسول المسيح؟ هل تذمر؟ هل سمح لافكار شريرة بأن تستولي على عقله؟ هل التجأ إلى آراء ونظريات الفلاسفة؟ جميع اختباراته المؤلمة ساعدته على النموفي الإيمان وهكذا نجده يكتب إلى مؤمني مدينة رومية ما يلي عن موضوع الآلام :

" ٢٨وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَن كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ "

لم يعن الرسول أنه هو شخصيا كان يفهم كيف كانت كل الاشياء تعمل معا للخير، ولكن بولس كان يعلم كل العلم وكان يؤمن كل الإيمان بأن يد الله المسيطرة على الكون كانت تقود كل الاشياء حتى تلك الاشياء المؤلمة... كل الاشياء تعمل معا للخير... لا بصورة آلية / ميكانيكية، ولا بطريقة عامة وشاملة للبشرية بأسرها، كل الاشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله... أي للذين بكل تواضع وشكر محبة الله لهم تلك المحبة التي تجسمت في رسالة المسيح الخلاصية / التحريرية / الفدائية.

فخلاصة الأمر إذن : أن الآلام والعذابات الموجودة في عالمنا والتي لها علاقة عامة بدخول الشر إلى العالم منذ فجر التاريخ، تشكل هذه العذابات والآلام سرا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يعصب علينا فهمه – الا إذا تسلحنا بإيمان حي بالله الحي. وإذ ذاك فان الآلام مع أنها تبقى آلاما، الا أنها تضحي مدرسة للإيمان والتقوى والصلاح.

وإذا ما تسلح المؤمن والمؤمنة بهذا الإيمان العظيم فإنهما ينظمان إلى الرسول بولس ويشهدان معه قائلين :

" ٣٨فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أمور حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً ٣٩وَلاَ عُلْوولاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى تَقْدِرُ أن تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا"

الثقافة المعاصرة ومعرفة الله

إذ وصلنا الآن بمعونة الله إلى بحث جديد في هذا الجزء الثاني من كتاب : تأملات في الحياة المعاصرة، أو د أن أستغنم هذه الفرصة لشكر جميع الطلاب الذين كتبوا الينا وأظهروا اهتمامهم الخاص بهذه السلسلة من برامج ساعة الاصلاح. هذا المواضيع تهم الطلاب بصورة خاصة لانهم يجابهون هذه المواضيع يوميا في المدارس والكليات والجامعات. ولابد لنا من الاشارة هنا بأننا سمعنا من الطلاب ليس فقط من سائر أنحاء الوطن العربي العزيز بل أيضاً من العديد من البلاد الأوروبية حيث كانوا قد ذهبوا لمتابعة دراساتهم والتخصص في مختلف الأعمال والمهن.

وهكذا نرى ضرورة الكلام من حين إلى آخر عن المواضيع التي تهم الطلاب بصورة خاصة وهذا يقودنا الآن إلى البحث في موضوع الثقافة المعاصرة ومعرفة الله. نعرف الثقافة المعاصرة بالثقافة التي يحصل عليها الإنسان المعاصر في المعاهد الدراسية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العديدة والتي تهيء الإنسان للعيش في عالم اليوم. وبما أننا نعيش وسط عصر علمي فان الدراسات العلمية أصبحت ذات أهمية قصوى ولاسيما تلك التي تطبق في الحياة. وتطبيق العلوم في الحياة اليومية يدعى بالتقنية أو التكنولوجيا.

وهنا يتوجب علينا القول بأنه من المهم جدا لنا أن نحصل على ثقافة علمية وتقنية لاننا لا نستطيع أن نفيد بلادنا أن لم نكن قد قمنا بذلك. حضارة اليوم هي حضارة تقنية / علمية وعلى كل أمة مجاراة التقدم العلمي، التقني الهائل الذي يجرى في عالمنا. طبعا هذا لا يعني أننا نهمل حقول المعرفة الأخرى كالادب والعلوم الإنسانية. ما نريد أن نشدد عليه هو أننا في البلاد العربية بحاجة ماسة إلى الوصول إلى مرتبة عالية فيما يتعلق بحقل العلوم الطبيعية والتقنية لئلا نصبح في مؤخرة قافلة الحضارة العالمية المعاصرة.

ولكنه يتوجب علينا في نفس الوقت بألا نأخذ جميع مقومات الثقافة المعاصرة بدون نقد مبني علىالواقعية المنبثقة عن معرفتنا لله. وبكلمة صريحة نقول : مع أهمية وأولية الثقافة العلمية والتقنية المعاصرة الا أننا لا نود أن نبتلع معها الاسس الفلسفية والمبادىء الايديولوجية التي تغذيها في أغلب الاحيان. نحن نقر بأهمية العلوم والثقافة العلمية لجميع الامم الناهضة ولكننا لا نعني بأن الآراء الفلسفية المصاحبة لها هي هامة أو مفيدة.

لماذا نتخذ هذا الموقف الانتقادى؟ أيعود هذا لاننا نود بأن نكون من دعاة الرجعية الفكرية أو الانعزالية؟ كلا وألف كلا أننا نأخذ موقفا انتقاديا من بعض

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مظاهر الثقافة المعاصرة لاننا لا نستطيع أن نقبل مبادئها اللا دينية أو ضد الدينية. تقدم المعرفة للناس في أيامنا هذه وكأن الله هو بدون أهمية للعلوم والثقافة والحياة الفكرية والايديولوجية. هذا لا يعني أن الإنسان الذي يتلقى هذه الثقافة المعاصرة يجبر بأن يصبح بدون إيمان بالله. كلا! الثقافة المعاصرة مطبوعة بطابع الاحترام للآراء الشخصية والمعتقدات الشخصية. ولكن الثقافة المعاصرة تظهر في أو قات كثيرة وكأنها لا تأبه مطلقا بموضوع الله والحق الموضوعي. انها صامتة كل الصمت عن أعظم حقيقة في الوجود. انه تدعي الحيادية بالنسبة لله. ولكنه هل هناك من حياد معقول في موضوع أعظم حقيقة في الوجود؟

ماذا يحدث للذى يود بأن يرشف من العلوم المعاصرة في وسط غير آبه بالله وبكلمته وبشريعته؟ لابد لهكذا شخص بأن يرى حربا ضروسا وقد اشتعلت ضمن حياته الفكرية : فمن جهة انه مؤمن بالله الواحد الحقيقي صانع السماء والأرض وكل ما في الوجود ومن جهة أخرى ينظر إلى كل ما في الوجود وكأنه موجود أو كائن من تلقاء ذاته وكأن الله تعالى هو بدون أهمية للمعرفة العلمية! أهذا هو واقع سليم وحسن وجيد بالنسبة لحياتنا الفكرية؟ هل هذه الازدواجية صحية بالنسبة لعقل الإنسان؟ هل الله مهم فقط في الأمور التعبدية؟ أن قبلنا هذه الفكرة العصرية عن الله أفلا نكون قد تركنا الله الحقيقي واخترعنا لأنفسنا صنما جديدا.

وهنا من ينبرى قائلاً : هل نعني بأن الثقافة والعبادة هما شيء واحد كلا! ليست العبادة بالثقافة والثقافة ليست بالعبادة. لكن الله واحد وهو الذي يطلب منا أن نعبده ونسجد له وكذلك يطلب منا أن ندرس عالمه ونخضعه – أي نخضع العالم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي هو خليقة الله – ونسخر كافة موارده لخدمة ومنفعة البشرية جمعاء. أيجوز لنا أن ننسى الله عندما نشرع بدراسة عالمه؟ هل الله تعالى اسمه على طراز آلهة الوثنيين الذين كانوا ضعفاء وأشبه بالناس صانعيهم؟ حاشا! أن الله هو الخالق والمعتني بكل ما في الوجود وهو الذي يعطي كل ما في الوجود قيمته ومعناه وغايته.

وهكذا فأننا لن نقبل كمؤمنين الاسس الفلسفية / الايديولوجية التي تنادى بالطلاق الفكري والعقائدى بين الله وأمور عالمه. على العكس، نحن ننادى بأهمية دمج معرفتنا لله بمعرفتنا العلمية إذ أننا لا نؤمن بطلاق بين أمور الله وعالمه.

ما هي بعض الأمور الايجابية التي تبرز إلى الوجود فيما إذا تغلغلت معرفتنا لله وبأمور وحيه المقدس في سائر أمور الحياة العلمية والتقنية في عصرنا هذا؟

١. نعترف قبل كل شيء أن جميع الاختراعات الباهرة التي تمت والتي تتم في هذه الأيام تجرى بفضل الله وارشاده للعلماء – ولوكان البعض لا يؤمنون به وبوجوده.

٢. البحوث العلمية التي تجرى والتي ستجرى يجب أن تكون لصالح البشرية جمعاء. لقد أعطانا الله حب الاستطلاع والاكتشاف لا لكي ندمر أنفسنا بأنفسنا بل لنشيد حضارة ونمجد اسمه القدوس.

٣. عندما نصل إلى اكتشاف أمور باهرة أو هائلة فإنه يجدر بنا أن نتذكر بأن الله مشرف على الكون واننا لا نستطيع أن نستعمل هكذا اكتشافات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وكأننا سادة العالم والكون. وبعبارة أخرى : على كل واحد منا أن يذكر أهمية مخافة واحترام الله. أن لم تمتلىء القلوب بهذه المشاعر فأننا نتكبر ونتشامخ ونجلب علينا وعلى عالمنا دينونة الله.

٤. القوانين الطبيعية التي نشاهدها أو التي نكتشفها في هذا الكون هي من صنع الله ولذلك علينا أن نحترمها لانها تعبر عن الارادة الإلهية. ومعرفتنا لهذه القوانين يجب أن تستعمل في الأمور الايجابية والبناءة. وعندما نستعملها سلبيا للهدم فلنلم أنفسنا، لا الله خالقنا!

عندما تكون هذه الأمور التي أو ردناها أعلاه قد أشبعت ثقافتنا ومعارفنا العلمية فأننا نكون قد أستفدنا من مكاسب الحضارة العالمية المعاصرة. ولكننا أن اهملنا ذلك و لم نعد مهتمين بأمور الله ونحن ننهل من ينابيع الثقافة المعاصرة، فأننا نكون قد فشلنا في الحصول على الحكمة الحقيقية. وإذ ذاك فأننا لن نستفيد في النهاية من حضارة القرن العشرين العالمية. فهذه الأخيرة أن جردت من جميع علاقاتها بأمور الله ستجر دنيانا إلى الدمار والخراب!

الثغرة بين الجيلين

هل سمعت بالثغرة الفاصلة بين الجيلين؟ هذه عبارة جديدة تستعمل في العديد من بلدان العالم اليوم. وما هي الثغرة بين الجيلين؟ انها الهوة الفكرية والحياتية التي تفصل بين الجيل الناشء والاجيال التي سبقته. ولابد أنك تنتمي إلى أحد هذين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القسمين : أنت اما شاب (أوشابة). في مقتبل العمر أو أن كنت قد اجتزت مرحلة الشباب تنظر إلى نفسك كجزء من الجيل الآخر – جيل ما فوق الشباب.

وفيما يلي ما ورد في جريدة أو مجلة عربية أسبوعية عن هذا الموضوع. ولست أريد أعطاء فكرة بأنني أو افق تماماً على آراء الكاتب. انما أظن بأن وصفه للهوة بين الجيلين وخاصة للجيل الناشيء هو وصف يستحق انتباهنا ويتطلب معالجة سريعة. قال الكاتب :

" يطلع جيل يهجم على الحياة كالسكران... جيل يعيش في القرن العشرين الغربي، يعاصر آخر الاسطوانات... ويمارس الحياة الجنسية بلا مركبات ومنذ السنين الباكرة. ولا يقرأ في الصحف الا الصور وإعلانات السينما. ولا تهمه الا سعادته. يطلع جيل يضحك عليك، يريد أن يعيش بحرية في قلب التسلية والذوق والجمال. الهه الموسيقى. طبائعه وصفاته يريك اياها في ملابسه التي على ايقاع تبدلها يسير الكون... فهو أزمته تكمن في المسافة الفاصلة بين الحياة والموت، بين الرغبة والكبت، بين الانطلاق والقيد، فقط. مجرد أزمة وجود جو هرية "

ماذا تقول أيها القارئ العزيز؟ كلمات شديدة للغاية؟ فيها مبالغة كبيرة جدا؟! كلمات لا تنطبق على الواقع الذي تعرفه أنت؟! طبعا أن ذلك الوصف الذي اقتبسته من الصحيفة الاسبوعية لا ينطبق – والحمد لله – على كل مكان أو قطر. لكن مهما فكرت فانك لن تستطيع إنكار أن العالم بأسره وبدرجات متفاوتة يتخبط اليوم في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أزمة روحية / أخلاقية حادة. ومفاهيم الجيل الجديد أو الجيل الناشء وعاداته وأساليبه الحياتية ليست الا شبه ميزان لحدة هذه الازمة المعاصرة.

نقول أولاً بأن موضوع الهوة الفاصلة بين الاجيال ليس بموضوع جديد وان كانت عبارة " الثغرة بين الجيلين،، هي حديثة في تركيبها. فالاجيال منذ القديم وجدت نفسها في نوع من النزاع والخصام. الآباء لا يفهمون تصرفات ابنائهم والابناء لا يفهمون آباءهم ولا يقبلون سلطتهم. ليست الهوة الفاصلة بين الجيلين بأمر حديث ظهر إلى الوجود في أو اخر القرن العشرين! هذا صحيح. ولكن الهوة الفاصلة اليوم هي كبيرة للغاية، انها أكبر من أي يوم سبق والفروقات بين الجيلين هي جذرية وذات أبعاد هائلة! هذا يجعل موضوعنا من أهم المواضيع التي تتطلب المعالجة والمعالجة السريعة والدقيقة.

يا ترى، كيف برزت إلى الوجود هذه المشكلة الحياتية المعاصرة وما هي العوامل التي أدت إلى ظهورها بهذا المظهر الحاد وشبه المطلق؟

كنا قد ألمحنا في أكثر من مناسبة واحدة بأن حياتنا المعاصرة قد تأثرت بشكل قوى من قبل فلسفة مادية دهرية لا تحترم الله ولا شرائعه ولا نواميسه. وقد تغلغلت هذه الفلسفة المادية أو الايديولوجية الدهرية في سائر نواحي الحضارة العالمية المعاصرة وبسرعة غريبة. لقد غزت السينما والكتب القصصية التي تسمى عادة بالروايات الخيالية والمجلات والثقافة العامة التي تنشرها وسائط الاعلام العصرية كالراديووالتلفزيون. وبكلمة مختصرة : الجو الفكري المعاصر الذي يتعرف عليه الجيل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجديد هو جو لا يعرف الله ولا يهتم بأمور الله. انه مادى بحت وخال من عناصر الجو الفكري الذي كان يعيش فيه الجيل الماضي!

وليس هناك مكان واحد في العالم يستطيع أن يعيش فيه الناس بعزلة تامة عما يجرى في عالمنا الفكري. يتأثر الناس بما يجرى في دنيانا – حتى ولوبطريقة لا شعورية أو تحت شعورية – وخاصة الجيل الناشء الذي يلتهم الايديولوجية المعاصرة وأفكارها الغريبة بصورة ليس لها مثيل. وبينما يعرف الجيل القديم جو ا فكريا آخر غير الجو المعاصر، الا أن شبان وشابات اليوم هم على النقيض، انهم لا يدرون الا النزر اليسير عن تراث الماضي وأفكارهم وآراؤهم وعاداتهم قد تكيفت بمقتضى ايديولوجية غريبة.

وكذلك من المهم أن نلاحظ أن الجو الفكري المعاصر هو جو انتقادى. انه لا يقبل بالماضي ولا بتراث الماضي لمجرد كونه قديما أو تاريخيا. والجيل الناشء المتأثر بهذا الجو الفكري يرى العديد من التناقضات والمتناقضات في حياة الآباء والامهات وسائر ممثلي الجيل القديم. يسأل الجيل الجديد أسئلة مصيرية وهامة ربما لم نسألها نحن عندما كنا في سنهم أو عمرهم منذ عشرة أو منذ عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة!

ومن المهم ألا نكون سلبيين أو مجرد انتقاديين عندما نحاول أن نفسر أفكار وآراء وعادات وحياة الجيل الجديد. ومن المهم جدا لنا أن كنا من الجيل القديم أن نقر بأخطائنا وبهفواتنا وبانعدام تجردنا وقلة نزاهتنا في كثير من الاحيان وأننا نحن الذين أتينا بعالم اليوم ونحن مسؤولون عن مشاكل اليوم. علينا أن نكون صريحين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لآخر درجة وان نتسربل بلباس التواضع والمودة والمحبة الحقيقية لئلا نساهم في تكبير الهوة الفاصلة بين الجيلين!

ولكنه من واجب المؤمن – إيماناً قلبيا وحقيقيا بالله وبكلمته – من واجبه أن يصرح ويقول بكل جرأة : أيها الجيل الجديد لا تنسى الله! يا أفراد الجيل الجديد لا تلوموا الله بسبب أزمة عالمية هي من صنع الناس. يا شبان وشابات الجيل الجديد، جيد أن تشيروا إلى المتناقضات وإلى الازدواجية والرياء وغير ذلك من عيوب الجيل القديم. لكن لا تظنوا أن ذلك يعطيكم الصلاحية بأن تنبذوا الله وكلمته وتدبيره الفعال لإنقاذ البشرية من براثن الشر ومن استعمار الاثم. ولا تخالوا يا ممثلي الجيل الناشيء أن الاباحية هي الحرية، لا تظنوا أن الفوضوية تبني حضارة حيوية يسودها الاخاء والوئام والجمال! لا تتصوروا أنكم ستنتصرون على مشاكل الحياة أن كان سلاحكم ليس الا ما ابتلعتم – وبدون تفكير أو تمحيص – من آراء مفكرين وفلاسفة لم يعرفوا الله ولا تأثروا بكلمته التحريرية!

ليس الجيل القديم بجيل كامل ولكن عدم كمال الجيل القديم لا يعطيك أنت أيها الشاب وأنت أيتها الشابة، ذلك لا يعطى أي منا الصلاحية للانتقاض على الله وعلى النظام الرائع والجميل الذي أو جده في عالمنا. يعلوا كلام الله اليوم على كلمة البشر. يعلوكلام الله المنير على كل شيء ويدعونا بواسطته لنعود اليه ونسير في صراطه المستقيم يحث نجد السعادة الحقيقية وحيث تحل أزمة الوجود الجو هرية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وان امتنعنا عن الانصياع لكلمة الله التحريرية والفدائية وان ثابرنا على مسيرتنا وراء أنبياء القسم الأخير من القرن العشرين فان آخرتنا وآخرة حضاراتنا ستكون محزنة للغاية!

القلق المعاصر والسلام الإلهي

الإنسان المعاصر قلق! هذا لا يعني أنه مشلول لا ينجز شيئاً. على العكس اننا لا نستطيع التقليل من أهمية منجزاته في شتى نواحي العلم والتقنية. ها انه قد سار على القمر وعاد من ذلك الجرم الصغير ومعه كمية من تربته. ها انه يطير بسرعة الصوت بل وفوق سرعة الصوت. ها انه قد فجر الذرة منذ اكثر من ربع قرن وقد سخرها لاغراض سلمية وغير سلمية. نعم ما أكثر انجازاته وما أهمها! ولكن... الإنسان المعاصر هو قلق وقلق للغاية.

وليس قلق الإنسان المعاصر عبارة عن مرض فردى محض. طبعا هناك أفراد قلقون وهم يلتهمون الاسبرين والمسكنات والحبوب المنومة وغير ذلك من أدوية شرعية وغير شرعية. جو هم مليء بالموسيقى الصاخبة التي ينتظر منها تلطيف حدة الازمة التي يعيشون فيها.

لكن القلق المعاصر يتخطى أفراد معينين. انه يشمل الحضارة العالمية المعاصرة بأسرها وفي شتى نواحيها. يعيش المفكر العالمي اليوم في حياة قلق مستمر. منذ سنين قليلة قرأت في احدى الصحف الغربية مقالا عن بلد متقدم للغاية لم تكن له مشاكل دولية ولا رواسب أيام ما بعد الحرب العالمية الثانية. أمنت في هذا البلد ولسائر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المواطنين جميع متطلبات الحياة الأرضية. وفي حقل الضمانة الاجتماعية والصحية الجميع مأمنون من المهد إلى اللحد. ونظرا لقلة السكان – نسبيا – ولكثرة الأعمال فان مستوى المعيشة في ذلك البلد يعد من أعلى مستويات المعيشة في العالم. وقد ذهب الكاتب بعد وصفه لتلك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية قائلاً : ومع كل ذلك لاحظت بأن الناس في حالة ضجر وسأم ولسان حالهم وقد ربحوا معركة القوت اليومي وسائر احتياجات الحياة : كيف نتغلب الآن على مرض السأم والضجر والملل،،؟

وهذا الملل أو الضجر هو مظهر من مظاهر المرض الروحي الذي ألم بمدنية القرن العشرين العالمية. والمرض ذاته هو مرض القلق المستمر والمزمن. الكتاب المعاصرون قلقون. القادة المعاصرون قلقون. الجيل الجديد – عندما يفكر بجدية ورزانة كما يفعل في كثير من الاحيان – قلق ومنرفز بصورة شبه دائمة. وعندما نقول أن القلق المعاصر هو مرض روحي لابد لنا من الاستفسار : من أين وفد علينا هذا المرض؟ وهل هناك دواء شاف من هذا الداء؟

حل القلق المعاصر بدنيانا نظرا لسقوط الحياة الفكرية العالمية – في أكثرية قطاعاتها – في شباك الفلسفة المادية اللا دينية. مفكروا اليوم – في أكثريتهم – هم أناس يعيشون في جو فكري خال من عقيدة وجود الله المتعالي واهتمامه بسائر مخلوقاته ولاسيما ببني البشر. وإذ يشاهد مفكروا اليوم (غير المؤمنين). كثرة المشاكل التي يتخبط فيها عالمنا وإذ يلاحظون الهوة السحيقة الفاصلة بين التقدم التقني المعاصر والتقهقر الاخلاقي المعاصر فإنهم ينقلبون إلى أنبياء شؤم وقلق. ومنطق فلسفتهم اللا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

دينية والحتمية يتطلب منهم المناداة بالويل والثبور. يرى مفكروا ايديولوجية اليوم المستقبل قاتما للغاية ويتنبأون بأن البشرية سائر بخطى سريعة نحو الهلاك. وهم يقولون هذه الاقوال لا ككتاب روايات خيالية بل يكتبون بكل جدية ويبنون استنتاجاتهم هذه على تصرفات إنسان الثلث الأخير من القرن العشرين!

هل هناك مخرج من هذه الورطة الروحية الشديدة؟ نعم هناك مخرج واحد وهذا هو السلام الإلهي. ليس طريق اليوم بمجرد طريق القلق المزمن. عندنا طريق آخر ألا وهو طريق سلام الله. وما أن نذكر السلام الإلهي المصدر حتى يبدأ البعض من المتفلسفين والذين يعدو ن أنفسهم من المتحررين والطليعيين بالقول : ما بالـه يأتي على ذكر الله؟ هل يظن أنه في القرون الوسطى؟ ألا يعلم حضرته اننا نعيش في أو اخر القرن العشرين؟

ان من يطرح هكذا أسئلة اعتراضية على ذكر الله في بحثنا لموضوع القلق المعاصر ليشير بدوره إلى مقدار سيطرة اللا دينية المعاصرة على الجو الفكري العالمي ومقدار تغلغل جراثيم هذا المرض الروحي الشديد في جسم البشرية المعاصرة. هل الشهادة الصريحة بأن الله هو الذي يمنحنا سلاما حقيقيا كبديل عن قلقنا المزمن هل هذه الشهادة هي شهادة عقلية رجعية أو متأخرة أو متجفصنة؟ كلنا نعلم أن الإنسان فشل. الإنسان – مع كثرة مآثره العديدة في الأمور التقنية – الإنسان فشل في أهم حقل من حقول الحياة : انه لا يعرف كيف يعيش مع قريبه وقرينه الإنسان. لقد جربنا الفلسفات البشرية النابعة عن عقول البشر و لم نحصل على السلام الحقيقي – وها أن القلق قد غزا حياتنا بأسرها الفردية منها والعالمية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فشل الإنسان ولكن الله لم يفشل! يعطينا الله سلامه الحقيقي ذلك السلام الذي يصفه الكتاب بالسلام الذي يفوق كل عقل وتصور. يعطينا الله سلامه الدائم كهبة مجانية. فهل نقبل سلام الله؟

والله لم يسمح للكارثة العظمى التي تكلم عنها أنبياء القرن العشرين بأن تنقض علينا. ولماذا؟ لأنه يشفق علينا ولا يسر بشقائنا وبقلقنا المزمنين. وهو تعالى يطلب منا أن نعترف أن مشكلتنا الاساسية هي عدم اعترافنا به وعدم تسيير حياتنا على محور المحبة والطاعة له. وليس ذلك فقط، انه تعالى قد أعد الدواء الشافي لهذا المرض. الدواء الشافي هو شخص السيد المسيح الفادى الذي جاء إلى دنيانا هذه وقام بعمل إنقاذى وشفائي تام وكامل.

أيها القارئ العزيز! أن عشت من اليوم فصاعدا في قلق القرن العشرين لا تلوم الا نفسك. فالله يقدم لك مجانا — الآن — سلامه الدائم والتام والشامل. اختر اليوم بين القلق المعاصر وسلام الله.

تأملات في الحياة المعاصرة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجزء ٣

محتويات التأملات

محور الحياة البشرية

العلم المعاصر والفلسفة الدهرية

اليأس والرجاء في العالم المعاصر

رأس المعرفة

الإيمان الحي والإلحاد المعاصر

صوت الحكمة

الغربة الروحية في عالم اليوم

السعي وراء الحكمة

الإنسان بلغ سن الرشد

إطاعة الحكمة

عالم من عالمنا

كلمة إلى الجيل الناشئ

هبات الله ومسؤولية الإنسان

لموئيل يمدح المرأة الفاضلة

شفاء الأرواح البشرية

محور الحياة البشرية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في إحدى الروايات الواقعية التي حازت شهرة كبيرة في الادب العالمي المعاصر والتي جرت حوادثها في مستشفى كبري، اخذ المرضى يتناقشون في موضوع الحياة البشرية. طرح أحدهم هذا السؤال : " ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ فقد كان الجميع في ذلك المستشفى الخاص يواجهون الموت أكثر من بقية الناس ولذا كانوا يتحادثون في عدة أمور حياتية وبصورة جدية للغاية. فحدث أن قال أحدهم وبصوت قوى سمع في سائر أنحاء الغرفة الكبيرة : " ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ "

أخذت الأجوبة تأتي من كل جانب وكان كل مجيب يتكلم من وجهة نظر معينة أو من قبل فلسفته الحياتية الخاصة. فقال أحدهم وهو يعكس اما فكرته السطحية أو سطحية الاخرين من بني البشر. قال : " يحيا الإنسان بالمأكولات والملبوسات! " لم يكن هذا الجو اب مقنعا لان البقية كانوا يعلمون من قرارة قلوبهم ومن اختبارات الحياة بأن المأكولات والملبوسات – مع أهميتها النسبية–ليست هي التي يحيا بها الإنسان! فالإنسان بحاجة إلى أكثر بكثير من طعام وكساء.

وقال مريض آخر : " يحيا الإنسان بواسطة راتبه، ربما كان هذا إنسان قد جاهد أثناء حياته بكل مشقة للحصول على ضروريات الحياة و لم يكن مدخوله كافيا لسد حاجاته وكان يتمنى كثيراً بأن تتحسن حالته الاقتصادية ولذلك قال ما قال وان كان جو ابه لم يقنع لا ذاته ولا الآخرين!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وقال آخر وهو يتأمل بصورة خاصة في البعد المادى / الجسماني لحياة الإنسان، قال بصورة يمكن وصفها بأنها لم تكن جدية تماماً : " الإنسان يعيش بواسطة الهواء والماء والغذاء " ومع أنه كان مصيبا إلى درجة ما وذلك فيما يتعلق بالناحية المادية من الحياة البشرية الا أن السؤال لم يكن يتعلق بذلك مطلقا. ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ طبعا الإنسان يحتاج إلى هو اء وماء وغذاء ولكنه يحتاج إلى أكثر من هذه فهو ليس بنبات ولا بحيوان أعجم!

قال مريض آخر : " يعيش الإنسان بواسطة صنعته أو حرفته أو وظيفته " وهذا صحيح إلى درجة ما لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون عمل أو شغل وشخصيته البشرية لا تنمو وتترعرع بدون عمل ما، عمل تبرز إلى الوجود سائر الطاقات الكامنة فيه. ومع أهمية صنعة الإنسان أو حرفته أو وظيفته الا انها لا تستطيع أن تكون محورا لحياته. إذ انه أن لم يكن هناك سوى العمل والكد والشغل من يوم إلى آخر وبصورة متوالية ومضنية فأن العمل يكون قد انقلب إلى عبودية غاشمة وإلى استعمار بغيض.

وقال أخر : " يحيا الإنسان بواسطة أسرته وآل بيته " وكان يشير ذلك المريض إلى أهمية موضوعه الذي لم يكن قد ألمح اليه المتكلمون الذين سبقوه. أليست أسرة الإنسان وعائلته المحور الهام الذي تدور عليه الحياة؟ إلى درجة ما كان الجو اب صحيحا، ولكن الإنسان الذي لا يرى سوى أسرته وآل بيته والذي لا يهتم بالحياة الاجتماعية والإنسانية لهومخلوق أناني للغاية. وليست الانانية بذلك الشيء الذي يحيا به الإنسان!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قال مريض آخر وكان يعد نفسه أكثر علما وثقافة من البقية : " الإنسان يعيش بواسطة ايديولوجيته ومصالحه الاجتماعية " وكان هذا الإنسان متجها نحو الجواب الصحيح إذ انه أشار بواسطة جو ابه إلى حاجة الإنسان إلى مثل أعلى أو عقيدة حياتية ذات أفق واسع. ولكن الايديولوجية قد تكون مصيبة أو خاطئة بالنسبة إلى الاساس الذي بنيت عليه. ولذلك فإن مجرد القول بأن الإنسان يحيا بايديولوجيته وبمصالحه أو بأموره الاجتماعية لا يكفي!

وأخيرا قال بطل الرواية مستندا إلى كلمات وردت في رواية شهيرة كتبت في القرن التاسع عشر : " ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان " ؟ بواسطة المحبة! ثم أخذ البطل المريض يتكلم عن أهمية المحبة وهي الفضيلة التي يفتقر إليها العالم في كل زمان ومكان. المحبة التي لا تبحث عن المنفعة الذاتية والتي لا تتوانى عن التضيحة في سبيل الخير العام! نعم المحبة، ما أحلاها من فضيلة وما أجملها!

ولكن المحبة بدورها بحاجة إلى أساس قوى ومتين وصحيح. على أي أساس تبنى المحبة؟ ولماذا نجدها نادرة جدا بين الناس؟ وأين هو منبع المحبة؟ هذه الأسئلة وما يشابهها تقودنا إلى القول بأن الإنسان المعاصر الذي يبحث عن محور لحياته وعن حلول لمشاكله المتكاثرة قد نسي بأن الإنسان لم يخلق لذاته. خلق الإنسان ليعيش في عالم الله ولتكون له شركة مع ربه وخالقه. خلق الإنسان ليعيش في عالم الله. ما أندر بأن نسمع الناس يتكلمون عن عالمنا هذا كعالم الله، إنهم يتكلمون وكأن الإنسان وحيد في هذا الكون وفي هذه الدنيا!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهكذا إذ نسأل السؤال المثيرى : " ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ " فإنه يجدر بنا أن نتذكر أن الجو اب قد أعطى لبني البشر منذ القديم منذ أيام موسى كليم الله. فقد ورد في التوراة " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله " وقد ردد السيد المسيح هذا الجو اب ذاته عندما جابه الشيطان في برية اليهودية " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله "

" ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ " يحيا الإنسان بواسطة كلمة الله تلك الكلمة التي هي منبع كل فضيلة ومنها ملكة الفضائل أي المحبة! فهذه الكلمة الإلهية هي الواسطة التي يعرف الله بها ذاته لنا نحن مخلوقاته العاقلة. كلمة الله تنبؤنا عن حالتنا التعيسة وكذلك تبشرنا بالخبر المفرح بأن الله عمل لنا خلاصا جبارا وفداء تاما بواسطة السيد المسيح الذي وفد عالمنا وعاش في الأرض المقدسة وانتصر على سائر قوى الشر والظلام.

عالمنا اليوم لهو بحاجة ماسة إلى الجو اب الصحيح للموضوع الذي تناقش فيه المرضى في المستشفى. ما هو الشيء الذي به يحيا الإنسان؟ يحيا الإنسان بواسطة كلمة الله المحررة التي هي الاساس الوحيد للسلام والوئام بين أفراد البشرية. ومتى عاش الإنسان بواسطة كلمة الله فان سائر ضروريات الحياة تؤمن له من قبل الله المحب.

اليأس والرجاء في العالم المعاصر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تعم عالمنا اليوم موجة قوية من اليأس. فالناس قد سئموا من مشاكل العصر الحاضر وضجروا من السماع عنها صباحا ومساء. وكلمة مشكلة أصبحت من الكلمات الاكثر ترددا على شفاه بني آدم فهذه مشكلة فردية وتلك مشكلة عائلية وأخرى مشكلة اجتماعية ورابعة مشكلة دولية. مشاكل حقيقية ومشاكل وهمية، مشاكل، مشاكل. فهل نلوم الناس أن يئسوا وضجروا وملوا من الحياة؟

والجدير بالذكر أن أيامنا هذه ليست بالأيام الوحيدة التي عرفت الضجر واليأس والقنوط. لقد مر عالمنا منذ القديم بمشاكل عديدة ذات أبعاد كبيرة و لم تكن حلولها خالية من القسوة والشر. ولكن عالم اليوم يتألم أكثر من عالم الأمس بسبب مشاكله. وهذا يعود إلى سببين رئيسين :

١. عالمنا اليوم هو عالم صغير جدا يكتظ فيه نحو ثلاثة مليارات ونصف من البشر وأفراد البشرية يعلمون الكثير عما يجرى في سائر أنحاء الكرة الأرضية بسبب الاختراعات العديدة التي سهلت المواصلات الجو ية والسلكية واللاسلكية. وبدون أن نبالغ نقول : كل سكان الأرض صاروا جيراننا!

٢. عالمنا اليوم هو عالم تعرف على عدة نظريات حياتية (أو إيديولوجيات كما تدعى في اللغات الاجنبية). تطغوعليها صبغة مثالية دهرية ويوتوبية. وجميعها وعدت ولا تزال تعد الإنسان بالنعيم على الأرض. ولكن هذه النظريات الحياتية لم تجلب للإنسان المعاصر لا السلام ولا النعيم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولذلك نرى إنسان اليوم يائسا وضجرانا من الحياة وقد اشمأزت نفسه من جراء تحطم أحلامه.

ومن المهم لنا أن نرى بكل وضوح أن اليأس متى عمل عمله في قلب الإنسان والمجتمع البشرى فإنه يشوه الحياة بأسرها وكذلك يجعلها تبتعد عن مواجهة الأمور مواجهة واقعية. اليأس أشبه بداء الشلل بل انه لمرض أخطر من داء الشلل لأنه يطغوليس فقط على البعد الجسماني لحياة الإنسان بل على البعد الروحاني من حياته أيضاً فيضحي اليائس أقل من إنسان!

وما جئنا على ذكره لا يعني أنه بمقدورنا تجاهل مشاكل الحياة التي تولد اليأس – وذلك أن أردنا التخلص من اليأس. مشاكل الحياة هي مشاكل حقيقية تقض مضجع الناس في كل مكان والتغلب عليها لا يتم بتجاهلها بل بمواجهتها بروح الواقعية.

وإذا ما صممنا بأن نكون واقعيين وأن نسمي الأشياء باسمائها وأن نعالج سائر المشاكل والمعضلات الحياتية بروح مجردة عن الأغراض الشخصية، فهل يكفينا ذلك لكي نتغلب على الشعور القوى باليأس؟ الجواب هو كلا! فأبعاد الأزمة العالمية المعاصرة هي أكبر بكثير من أن نتغلب عليها بواسطة عزيمة فردية صادقة. والمشكلة العالمية المعاصرة بشتى فروعها وفي سائر حقول الحياة المتعددة وصفها أحد الكتاب في احدى المجلات العربية الاسبوعية بأنها قد وجدت لأن التقدم المادى لم يرافقه تقدم روحي وتقدم أخلاقي كافيان " الضلال لا يزال في انتشار، والدين في ضعف وهزال،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والشر له مؤيدوه الكثر، والحياء والصدق والاستقامة تشكونكس حظها وباسم الحرية يرتكب الناس أكبر الجرائم والفظائع والمظالم "

واستطرد صاحب المقال قائلاً " يعيش الإنسان وسط عالم كشف له أسراره، ولكنه هو نفسه بقي متأرجحا أمام ذاته، يائسا من فشله وقدرته معا، مكبلا بالقيود التي تفرضها عليه حياته الاجتماعية وخاضعا حتميا لقوانين العلوم والتقنية اللا-قادرة على ارجاع الأمور إلى حدودها ومقاييسها ونصابها.

وأخيرا، إنسان اليوم، الإنسان التقني، هو غالبا بعيد وغريب عن المفاهيم والعناصر الروحية، غير قادر أن يسموإلى ما هو أعلى من المادة وأرفع. قلب القيم رأسا على عقب فأعطى الأولية للمادة على حساب الروح " (الاب أميل ادة ص ٧ من الدستور – ملحق النهار ليوم الاحد في ٢٧ تموز ١٩٦٩ بيروت لبنان)..

معرفة وجود عالم اليوم في أزمة حادة وشديدة، هذه المعرفة لا تكفينا لكي نتغلب على اليأس. اننا بحاجة إلى دواء قوى يعطينا الغلبة لا على اليأس فقط بل على مسببات اليأس.

أين نجد الدواء؟ أين نجد الشفاء؟ أن كنا باحثين عنه ضمن عالمنا أو ضمن ما جاء به الإنسان من أدوية فأننا سنمنى بالفشل الذريع. الدواء ليس عندنا نحن المرضى، الدواء عند الله. الله تعالى اسمه وهو الذي خلقنا وأعطانا أن نعيش على هذه الأرض والذي شاهد ما قمنا به من ثورة وعصيان على مشيئته المقدسة. الله قام بعمل إنقاذى تام وكامل عندما أرسل السيد المسيح إلى الأرض. كانت رسالة المسيح فوق كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شيء رسالة خلاصية / إنقاذية / تحريرية. وقد أتمها له المجد في وسط العالم وفي قلب الأرض المقدسة. لقد تغلب المسيح نيابة عنا على سائر قوى الشر والطغيان والعبودية وهو يمنحنا هذه الغلبة عندما ننضم إليه بالإيمان. فالمسيح المخلص هو رجاؤنا وهو دواؤنا وهو طبيب أرواحنا المريضة.

عوضا عن اليأس هناك رجاء. هناك رجاء عظيم وقوي لأنه مبني على ما قام به الله في المسيح ولصالحنا. لا تيأس إذن وأنت تسمع صباح كل يوم عن أزمة العالم المعاصر. لا تسمح للقنوط بأن يدب في شعورك ولا تصغي لأنبياء القرن العشرين الذين نسوا الله وبنوا عالما بدون الله. انخرط في جو قة الرجاء العظيم الذي يشع نوره في قلب كل مؤمن ومؤمنة. آمن بالله وبمسيحه وابدأ بنشر نور الرجاء والإيمان والمحبة بين الناس. فعالمنا هذا هو عالم الله ونهايته لن تكون حزينة ولا رهيبة الا للذين يرفضون الله وكلمته التحريرية وبرنامجه الإنقاذى. المستقبل باهر لجميع المؤمنين والمؤمنات العاملين في سبيل الله ولصالح البشرية جمعاء.

وهكذا فنحن لا نقبل موجة اليأس الزاحفة على دنيانا وكأنها الجو الوحيد الذي علينا أن نعيش فيه – أن كنا واقعيين! كلا نحن نشير إلى الرجاء العظيم الذي يأتينا من الله الذي آمنا به ووضعنا جميع مقاليد حياتنا بين يديه. وعيوننا شاخصة الآن إلى المسيح الذي سيأتي في اليوم الأخير وإذ ذاك سيتحول رجاؤنا إلى عيان ويسود ملكوت الله وسلام الله علامنا بأسره.

الإيمان الحي والإلحاد المعاصر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لقد ألمحنا في أكثر من مناسبة بأن الجو الفكري العالمي في أيامنا هذه هو تحت تأثير فلسفة لادينية / دهرية محضة. وهذه الفلسفة أو النظرة الحياتية (أوالايديولوجية). لهي جدية للغاية وهي تسعى بأن تعالج مشاكل الإنسانية المتعددة بروح الواقعية – حسب ما يقول دعاتها وأنبياؤها المعاصرون.

ولا يكفينا أن نكون سلبيين في موقفنا من موجة اللا دينية المعاصرة وأن نتركها على حدة وكأنها ستستنزف قواها وتصبح بدون أية قوة أو جاذبية. من واجب كل من قال عن نفسه أنه مؤمن بالله وبالخليقة وبسيطرة الله على مقدرات العالم وعلى سير التاريخ، أن يسعى بكل قواه الفكرية وبسائر المواهب التي استلمها من الله خالقه بأن يفهم عقلية الذين رفضوا الله والذين نراهم منهمكين في بناء عالم بشرى محض تكون فيه فكرة الله معدو مة.

علينا نحن معشر المؤمنين أن نفهم عقلية غير المؤمن وذلك لانهم مثلنا بشر وواجبنا ألا نكون أقل إنسانية وحساسية من الذين خسروا إيمانهم بالله وبما فوق الطبيعة. المؤمن الحقيقي يهتم بسائر أفراد البشرية ولا يعاملهم كما يعاملونه بل كما يود منهم أن يعاملوه، أي حسب المبدأ السامي الذي تركه لنا السيد المسيح عندما قال :

" ١٢فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أن يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أيضاً بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هو النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وغير المؤمنين من معاصرينا يقولون أنهم مثاليون وأنهم يرغبون رغبة صادقة في بناء عالم جديد وفي القضاء على سائر الشرور والمظالم التي اكتظت بها حياة البشرية منذ القديم. وهكذا فنحن مدينون لهم (أي لغير المؤمنين). بأن نريهم بأننا وان اختلفنا معهم اختلافا جذريا (وذلك في موضوع الله وجوهر الإنسان). الا اننا لسنا أقل اهتماماً منهم بأمور الحياة المعاصرة وبواجب القضاء على الشرور والمظالم التي تعكر صفوالحياة البشرية.

من واجب المؤمنين إذن تفهم عقلية غير المؤمنين لكي نستطيع أن نريهم الخطأ الفادح الذي ارتكبوه عندما ثاروا على الله وعلى كلمته المقدسة ولكي نقودهم – بفضل نعمة الله القوية والمقتدرة إلى الرجوع إلى جادة الحق والصراط المستقيم. ونشكر الله تعالى اسمه أن البعض من المؤمنين المثقفين ثقافة عالية أخذوا البحث بصورة جدية في هذا الموضوع الخطير ولخصوا ثمار بحوثهم في كتب مفيدة أخذت تظهر في أو ساط مختلفة من العالم. وقد ظهر مؤخرا كتابا من هذا النوع باللغة العربية تحت عنوان : اله الإلحاد المعاصر وقد طبع في بيروت، لبنان. وفيما يلي نقتبس بعض كلمات من مقدمة هذا الكتاب القيم :

من ميزات الإلحاد المعاصر أنه لا يتعرض لو جود الله بحد ذاته بقدر ما يتعرض لعلاقة الله بالإنسان. فوجود الله بحد ذاته أمر لا يهمه كثيراً... ما يؤكد الإلحاد المعاصر على نفيه هو إذا علاقة الله بالإنسان، تلك العلاقة التي تجعل له مرجعا وغاية غير ذاته. ما يرفضه الإلحاد المعاصر بنوع خاص هو أن يستقطب الله وجود الإنسان.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ذلك أنه يعتقد أن الوجود الإنساني يتلاشى ويزول إذا استقطبه وجـــود آخـــر، أن الإنسان يضيع في الله "

فالجو الفكري العالمي الذي يسيطر عليه لدرجة كبيرة الإلحاد المعاصر هو جو يرفض البحث الجدى في علاقة الإنسان بالله. ولذلك بأن من أعتنق مبادىء الإلحـــاد المعاصر يرى نفسه ملزما بأن يبحث عن بديل لله ولسلطة الله المطلقة كالمرجع النهائي والمطلق للحق والحقيقة. غاية الملحد المعاصر هي أن يجعل الإنسان حرا، حرا من كل قيد وشريعة وسلطة – لا بشرية أو فوق بشرية. انه يعلن استقلاله التـــام والكامـــل والمطلق عن أية عقيدة أو فكرة تظهر للإنسان أنه ليس الكـــائن العاقـــل والوحيـــد والفريد في هذه الدنيا. غاية الإلحاد المعاصر هي إذن الحرية التامة والكاملـــة، وهـــذه الحرية هي على الأبواب، فيما لو اعتنقها سائر أفراد البشرية وطبقـــوا مبادئهـــا في حياتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية. هذه هي خلاصة التفكير العقائدى الـــذي أنتجـــه ملحدوهذه الأيام!

وبما أن الناس منذ القديم كانوا يعتقدون بالله – والذين ضلوا وتاهوا، اعتقدوا بتعدد الآلهة – فان أنبياء الإلحاد المعاصر حاولوا تفسير وجود الإيمان بالله – بغـــض النظر فيما إذا كان إيماناً باله واحد أو بتعدد الآلهة – وكأنه من رواســـب العقليـــة البشرية البدائية. ولذلك، وبما أن الإنسان المعاصر قد وصل إلى سن الرشد، فإنه ينتظر منه نبذ هذه الرواسب الرجعية والقديمة ويهب من سباته للجهاد في سبيل بناء عـــالم جديد – عالم الإنسان – الإنسان الذي تخلص نهائيا من الإيمان بالله!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وما يجهله أنبياء الإلحاد المعاصر هو أن الإنسان ذاته مخلوق ديني ولا يستطيع العيش بدون دين ما. التاريخ بأسره يعلمنا أنه حتى عندما يفقد الإنسان الإيمان بالله السرمدي القدوس فإنه لا يصبح إنسانا لا دينيا بل على العكس يظل متعبدا لأصنام متعددة يصنعه لنفسه في صحارى الوثنية القاحلة. الإنسان هو مخلوق ديني بمعنى أنه مهما جاهد وعمل لا يقدر أن يعيش بدون الإيمان بمطلق ما.

وهكذا نصل إلى القول بأن الإلحاد المعاصر لا يبقى منطقيا مع مبادئه الأولية لأنه ما أن يعلن نبذه النهائي لله تعالى اسمه حتى يرى نفسه مضطر لتأليه إما أفكاره أو بعض أبعاد الواقع المخلوق. الإلحاد المعاصر يؤله المادة (إذ يجعلها أزلية خلاقه).، ويؤله التاريخ (إذ يجعله بصورة حتمية وآلية سائرا نحو تغيير واصلاح جميع مسأوىء الحياة في شتى حقولها وأبعادها). ويؤله الحرية (جاعلا اياها مفهوما مطلقا معزولا عن بقية مفاهيم الحياة وقيمها).!

فهل يكون الإلحاد المعاصر قد ساعدنا للوصول إلى حل مشاكلنا العديدة بمحاولته ازالة عقيدة الله من الفكر المعاصر؟ على العكس لقد أصبحت مشاكلنا أكثر تعقيدا وتشابكا لان الإنسان المعاصر يبقى جذريا مخلوقا دينيا قد استبدل الله بآلهة معاصرة صنمية وهو يقود نفسه وسائر الذين يتبعونه إلى شباك عبودية لا ترحم ولا تشفق. ليس هناك إذن من بديل عن الإيمان الحي بالله الخالق والحياة المبنية على ذلك الإيمان القديم!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجو الفكري العالمي هو – لدرجة كبيرة – جو لا ديني أو جو ضد ديني. هذه ظاهرة مؤلمة للغاية ولكننا لا نستطيع إنكارها أن كنا واقعيين في تقييمنا لأمور الحياة المعاصرة. والنظرية الإلحادية تصبغ اليوم بالصبغة العلمية وصار ينظر إلى كل نظرية مخالفة لها وكأنها وجهة نظر رجعية ومن رواسب القرون القديمة البدائية.

رأينا في بحثنا السابق بأن الإلحاد المعاصر يهتم فوق كل شيء بإنكار وجود أية علاقة بين الله والإنسان، لأنه يخال أن سلمنا بوجود تلك العلاقة الارتباطية – بأن وجود الإنسان وحريته يصيران عدما! وإذ يسعى الإلحاد المعاصر للتخلص من فكرة الله ومن عقيدة سلطة الله على كل شيء وسياسته لأمور الكون بما فيها من أمور هذه الدنيا التي يعيش عليها البشر، فإنه يضطر إلى اعطاء صبغة المطلق لبعض نواحي الوجود. وهذا يعود إلى تعذر العيش على الصعيد الفكري بدون الإيمان الديني بمعنى أن الإنسان هو مخلوق ديني بالرغم من كل ما يقوم به للتخلص من الدين. وهكذا وإذ ينكر الإلحاد المعاصر وجود الله السرمدي الخالق فإنه يؤله مظاهرا معينة من الخليقة وهكذا تأتي إلى الوجود صنمية القرن العشرين التي هي ليست أقل ضلالا من الوثنيات والصنميات القديمة التي عرفها عالمنا.

عصرنا هذا قد عرف صنمية تأليه المادة – التي منحت صفة الازلية وقوة الابداع – وصنمية تأليه التاريخ – الذي يفسر بصورة تامة على الصعيد البشرى المحض، والذي يوهب المقدرة التامة على إنقاذ الإنسان من شروره، وصنمية تأليه الحرية المعرفة كرغبة تامة وكاملة لتسيير أمور الذات بدون الرجوع إلى أية شريعة أو ناموس أو مرجع غير بشرى أو فوبشرى (أي فوق بشرى)..

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نجد في عقلية الملحدين المعاصرين عقدة نفسية قوية تجعلهم يرددون الكليشيهات الفارغة بأن الدين هو من اختراع الإنسان. ولكن الدين ليس من اختراع الإنسان. الدين موجود في عالمنا لان الخالق تعالى هو الذي أو جده. وليس للدين بعد واحد : البعد العامودى أي الاهتمام بأمور الله فقط! للدين بعدان هامان : البعد العامودى – الذي ينظم علاقة الإنسان بالله والبعد الافقي – الذي ينظم علاقة الإنسان بجاره وقريبه الإنسان. وهذا بالفعل ما كان الله قد لقنه لبني البشر منذ القديم فعندما أعطى الله شريعته بواسطة كليمه موسى فأن الشريعة بأسرها وبوصاياها العشر لخصت بكلمتين : المحبة لله، والمحبة للقريب : وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل نفسك وتحب قريبك كنفسك! "

لا يمكننا إذن القول بأن الله تعالى اسمه قد أهمل الإنسان والبعد الافقي للدين. على العكس لم يهمل الله الإنسان مطلقا بل نراه يسعى منذ فجر التاريخ في سبيل انارة السبيل أمام الإنسان وإنقاذه من سائر الشرور والمظالم التي تعكر صفوحياته. لم يهمل الله الإنسان. حاشا، لقد قام تعالى اسمه بكل ما يلزم لجعل حياة البشرية حياة هنيئة ومليئة بالخير والسلام.

ولكن الإنسان هو الذي أفسد الحياة البشرية. فمنذ العصور القديمة نرى الإنسان يبتعد عن الإيمان الحي بالله الوحد السرمدي القدوس ويعبد أفكارا وشهوات جسمها في أصنام حجرية ومعدنية وخشبية. ومن المؤسف حقاً أنه حتى الذين نجوا من الوثنية لم يطبقوا دوما الإيمان في الحياة، ولذلك نجد بأن البيئة التي أو جدت الإلحاد المعاصر وهي البيئة الغربية التي كانت موطنا للإيمان مدى قرون عديدة – هذه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

البيئة لم تكن لتهتم بحاجات الإنسان الفردية والاجتماعية وبوجوب تطبيق الإيمان في شتى نواحي الحياة. ولذلك فأن مسأوىء عديدة برزت إلى الوجود وخاصة في حقل الاقتصاد ولكنها لم تعالج بصورة تتفق مع خلاصة الشريعة السماوية. وكذلك يمكننا القول بكل صراحة أن الدين قد استغل أحيانا في سبيل المنافع الشخصية في ذات البيئة التي هي مسؤولة عن ظهور الإلحاد المعاصر بشتى ألوانه.

وكم من المؤسف أن الذين أرادوا الاصلاح والتغيير والإنقاذ أخذوا في كثير من الاحيان فلسفات لادينية وغير معترفة بالله كأساس عقائدى لافكارهم ومراجعهم وايديولوجياتهم. نعم كم من المؤسف أن تفسر المشكلة الإنسانية في شتى العصور وكأنها ذات بعد واحد أي البعد الإنساني ذاته! نعم من المهم جدا الحملة على المظالم ومن الجيد جدا أن تكافح الشرور الاجتماعية والاستغلالية والاحتكارية التي تحرم الناس حاجاتهم الضرورية، من المهم أن يمنح كل إنسان حقوقه وامتيازاته وأن يعطى الفرصة لكى تنموشخصيته وتترعرع. ولكن هل يجب أن يتم كل ذلك على أساس الثورة على الله وعلى العقيدة السليمة بأنه تعالى الخالق والمعتني بكل ما في الوجود وأنه المسيطر على التاريخ؟ أن أردنا التغلب على مشاكل القرن العشرين المتشابكة والمعقدة، هل علينا أن نلجأ إلى صنمية من طراز جديد وننتظر منها العون والنجاة؟ أهذا هو المنطق السليم؟

ان الهنا هو اله محب وشفوق ورحيم ولذلك نراه يسعى منذ فجر التاريخ في سبيل خيرنا و لم يتركنا نحن بني آدم لنحصد ثمار اكتفائيتنا وأنانيتنا بل بادر إلى معونتنا بواسطة كلمته المحررة. لقد كلمنا الله بواسطة أنبيائه ومرسليه وأفهمنا بكل صراحة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بأننا لن نجد معنى الحياة ولا السلام ولا الوئام الا إذا تبنا ورجعنا اليه وقبلنا شروطه للحياة.

و لم يكتف تعالى بارسال أنبيائه ورسله إلى عالمنا هذا العالم المعذب والواقع في عبودية الصنمية بل قام بعمل خلاصي جبار وحاسم عندما أرسل السيد المسيح وأعطاه اسم يسوع أي مخلص، محرر، منقذ. فما قام به المسيح منذ نحو ألفي سنة في البلاد المقدسة من أعمال خلاصية وفدائية أي بواسطة آلامه وموته وقيامته من الأموات قد بنى الاساس المتين للحياة البشرية المنتصرة. وهو يكلمنا الان من جديد بواسطة كلمته المدعوة بالخبر المفرح ويقول لنا " ٢٨تَعَالَوْا إِلَيَّ يا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ! "

طريق الإيمان القويم هو الطريق الوحيد الذي نهايته خلاص البشرية وسعادتها والإلحاد المعاصر لن ينجح في مساعيه مهما ظهرت مثله العليا نبيلة وبراقة!

ليست هذه الأيام الوحيدة التي عرفت أو أختبرت المشاكل الحياتية. المشاكل موجودة منذ فجر التاريخ. ولكن حدة مشاكلنا اليوم تعود إلى أن عالمنا قد امتلأ ببني البشر أكثر من أي وقت مضى، وإلى مدى معرفتنا الشخصية بوجود أزمة عالمية. فعالم الامس لم يعش فيه ٣ ونصف مليارات في أن واحد و لم تكن لدية الوسائط الحديثة للتنقل أو المواصلات السلكية واللاسلكية، ولذلك لم يكن أهل الماضي يدرون بمشاكلهم مثلما نعلم بها نحن ابناء القرن العشرين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومشاكلنا اليوم لها أبعاد اقتصادية، اجتماعية، دولية، عائلية، فردية.. وهي متشابكة ومعقدة لا نحل واحدة منها الا ونرى ظهور عدة مشاكل أخرى. وهكذا نقول : أن إنسان اليوم – بالنسبة التي يقف بها على ما يجرى في عالمه – أن إنسان اليوم لهوتحت ضغط فكري وعاطفي قوى للغاية. يشعر إنسان اليوم بضرورة ايجاد حل سريع وناجح لجميع مشاكلنا وهو لا يريد أن ينتظر إلى الغد أو ما بعد الغد ليرى الطريقة المثلى لمعالجة مشاكله الحياتية. يود إنسان اليوم أن يتم كل شيء اليوم لا غدا، صبره قد نفذ وهو لا يسر مطلقا أن طلب منه الاقتداء بأيوب الصديق الذي اشتهر في التاريخ بصبره وباتكاله على الله.

ما هو لب مشاكلنا؟ أن لمشاكلنا أبعاد مختلفة وهذا أمر لا ينكر. ولكن ما هو قلب مشاكلنا؟ علينا أن نصل إلى تعليل مشاكلنا تعليلا صحيحا والا فأننا لن نتمكن من القضاء عليها بل ستزداد وستتكاثر في المستقبل بصورة لم يعرف لها مثيل!

يقول لنا الإلحاد المعاصر أن لب مشكلة الإنسان انما هو في عدم تطبيقه للنظرة العلمية في حياته. وما هي هذه النظرة العلمية التي يطلب منا أن نضعها موضوع التنفيذ؟ يقال لنا : النظرة العلمية للإنسان هي في أنه كائن عاقل وحيد وجد على سطح الكرة الأرضية وقد تطور من درجات سفلى للوجود إلى هذه المرتبة الحالية. ومن المؤسف – حسب تعليل الإلحاد المعاصر المصبوغ بالصبغة العلمية – من المؤسف جدا أن الإنسان قد تعلق منذ القديم بأمور ما فوق الطبيعة واعتقد بوجود الله والروح والحياة ما بعد الموت والملائكة والشياطين.. وجميع الانظمة الفكرية التي بناها الإنسان في الماضي لم تساعده على التغلب على مشاكل الحياة بل زادها تعقيدا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حتى أصبحت حياة اليوم لا تطاق نظرا لحدة الازمة العالمية المعاصرة. وكشرط أساسي للبدء في التغلب على مشاكلنا، يطلب منا دعاة أو أنبياء الإلحاد المعاصر نبذ المعتقد بالله وبأمور ما فوق الطبيعة والالتصاق بفلسفات متنوعة تجد نقطة التقائها في كون فكر الإنسان المرجع الوحيد لجميع أمور الحياة.

يطلب منا اليوم أن ننبذ إيماننا القويم بالله الواحد السرمدي الخالق وأن نتخذ كبديل عنه إيماناً أو معتقدا دهريا أرضيا مطليا بطلاء التجرد والنزاهة والموضوعية والعلم. وهذا يعني أن البدء في حل مشاكلنا انما هو رفض الله وشرائعه وبرنامجه لدنيانا. هذه هي خلاصة التفكير العالمي الملحد في أيامنا هذه ولسنا نظن بأننا قد وصفناه بطريقة تبسيطية غير مشروعة.

اننا نرفض مبدئيا وكليا هذا التحليل الذي جاء به الإلحاد المعاصر لمشاكلنا في الحياة. أن الإلحاد المعاصر هذا لم يتطرق بالحقيقة لبحث بصورة جدية وموضوعية في ماهية لب مشاكلنا. وما هو لب مشاكلنا؟ لب مشاكلنا هو اننا قد نسينا الله وجعلناه هو تعالى اسمه المشكلة. أهناك دليل أكبر على ضلال الإنسان المعاصر؟ حاشا ليس الله بالمشكلة، مشكلة المشاكل هو الإنسان! نعم الإنسان هو سبب المشاكل الإنسانية بأسرها وهو مسببها ولكنه منذ القديم نراه يتهرب من مسؤوليته فيبحث عن السبب خارج نطاق حياته وها انه اليوم وهو يعد نفسه بأنه قد وصل إلى سن الرشد — بالنسبة إلى إنسان الماضي — ها انه اليوم يتجرأ بأن يجعل من الله مشكلة الإنسان.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كنا قد ذكرنا في الماضي بأنه يتوجب على كل مؤمن ألا يتقدم من هذا الموضوع بروح العجرفة والتشامخ والكبرياء. فالملحد المعاصر هو إنسان، انه بشرى ضل في صحارى الافكار البشرية وهو بحاجة ماسة إلى من يريه الطريق القويم والمؤمن الذي ألقيت على عاتقه مهمة قيادة غير المؤمن إلى الصراط المستقيم يرى بأن مساعيه لن تتكلل بالنجاح أن كان موقفه من الملحدين المعاصرين هو موقفا خاليا من المحبة والمودة والتسامح.

يبدأ المؤمن بالشهادة أمام الملأ قائلاً بأن التناقض الذي يتجسم في مشاكلنا العديدة انما يعود إلى عدم تفهم غاية وجود الإنسان. لقد خلق الله الإنسان وأعطاه التزامات يمكن تبويبها تحت موضوعين رئيسين : ١. البعد العامودى للالتزامات البشرية – أي فيما يتعلق بواجبات الإنسان تجاه خالقه والهه و٢. البعد الافقي للالتزامات البشرية – أي فيما يتعلق بواجبات الإنسان تجاه قرينه الإنسان. وفي كلا البعدين كان على الإنسان أن يكون مدفوعا من قبل دافع المحبة : محبة مطلقة وتامة لله ومحبة صادقة للقريب البشرى ومعادلة لمحبة الإنسان لنفسه.

وقد حدث أن المؤمنين في كثير من الاحيان أساؤوا فهم هذين الأمرين الهامين : فالبعض شددوا على أهمية التعبد لله إلى هكذا درجة حتى أنهم لم يعودوا يرون أية التزامات تجاه العائلة البشرية وأفرادها. وحدث أيضاً أن المؤمنين نظرا لعدم تسيير حياتهم بمقتضى منطق الإيمان سكتوا على المسأوىء التي تعسف بحياة الناس بل ربما ساهموا في ايجادها ونشرها. وحدث أيضاً أن غيرهم من الناس لم يعودوا يرون في هذه الدنيا الا البعد الافقي للحياة أي علاقة الإنسان بجاره الإنسان فأخذوا يهتمون

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بنواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ونسوا كل شيء يتعلق بالتزامات الإنسان تجاه ربه وباريه.

يجد المؤمن نفسه في أو اخر القرن العشرين ملزما بأن يحيا بطريقة منسجمة مع إيمانه القويم فلا يقبل بأية ازدواجية ولا يفصل إيمانه الحي بالله عن حياته التي يحياها مع الناس وبين الناس. وهو إذ يقر بوجود مشاكل كثيرة يشهد أيضاً بأن قلب المشاكل هو قلب الإنسان الذي انحرف منذ فجر التاريخ عن جادة الحق. ويشهد المؤمن أيضاً بأن الدواء الوحيد الذي أعطانا اياه الله والذي يشفي الإنسان من مرضه الجذرى انما هو السيد المسيح المخلص. وبما أن المؤمن قد اختبر خلاص الله في المسيح فإنه يدعو شهادته إنجيلا أي خبرا سارا.

الغربة الروحية في عالم اليوم

يعيش إنسان القرن العشرين في أيامنا هذه حياة مليئة بالمتناقضات. فهو من جهة أغنى البشر نظرا لكثرة الامكانات التي يمكن أن تستغل لمصلحته. فهو يستطيع أن يتنقل بسرعة من مكان إلى آخر وأن يتصل بأقرانه بني البشر ولوكانوا في أطراف الأرض ومن جهة أخرى يشعر إنسان القرن العشرين بنوع من العزلة الروحية نظرا لتحطم آماله ولعدم بزوغ عصر جديد كان يحلم به الناس منذ أو ائل هذا القرن. وهو لا يقدر أن يثق بالناس وبالجماعات البشرية لأنه اختبر بأن الكثرين منهم لا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يهتمون الا بمنافعهم الشخصية وهم يضحون بالصداقة والقرابة البشرية في سبيل الوصول إلى مآربهم.

وهكذا لا نتعجب أن وجدنا بعض الكتاب في هذه الأيام يصفون حالة الإنسان القلق والمحتار باسم الغربة الروحية. فكما أن العديدين من الناس يضطرون لاسباب اقتصادية بأن يتركوا أو طاهم للذهاب إلى بلاد غريبة طلبا للرزق فيصيرون مغتربين أو مهاجرين ويبدأون بالعيش بين أناس لا يفهمونهم كما يجب ولا يتعاشرون معهم نظرا لتفاوت المقاييس والعادات الاجتماعية. هكذا صار العديدون من الناس يعيشون في نوع من الغربة الروحية حتى بدون أن يكون قد اقتلعوا من مسقط رأسهم وبيئتهم الاعتيادية.

وقد وصف أحد الكتاب هذه الحالة في مقال ورد في مجلة أسبوعية في هذه الكلمات : " حين تنحط مظاهر العالم الخارجي المحيطة به، غالبا ما يرتد الإنسان إلى داخل نفسه وكأنه هو قد أصبح العالم كله. ويروح يحأور نفسه، ويقتات منها، ومن كل ما صار جزءا منها، كالذكرى أو الخيال أو الصديق أو الحبيب. ويخفف اهتمام الناس، عندئذ، بالنشاط الخارجي الدائر حوله، يخف إلى درجة قد يبلغ منها العدم... أن هناك ما يسمى ظاهرة الانكماش على الذات " أو " الغربة الروحية " أو " التوغل الداخلى " أو " التقوقع " أو " الانعزال النفسي " جميعها هنا تخدم معنى واحدا هو معنى الهجرة الروحية عن " الجماعة " والسكن في النفس. والشعور بالقرف من الاشياء العائمة على السطح، والشعور بالعجز عن التجأوب مع هموم الاخرين "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليست هذه الظاهرة المحزنة التي وصفها الكاتب بأمر محصور بمكان واحد من العالم بل انها شبه عامة وقد نكون ملمين بها شخصيا واختباريا أن كنا مهتمين بصورة جديدة بالأمور المصيرية التي تعصف بعالمنا اليوم. وليست هذه الحالة الروحية المدعوة بالغربة الروحية بالأمر الذي نتغلب عليه بسهولة وهي تختلف كثيراً عن الغربة الجسدية أو الجغرافية التي عرفها العديدون من الناس منذ القديم. فالذي اضطرته ظروف الحياة بأن يترك ديار الوطن ويتغرب في بلاد أجنبية فإنه يستطيع بعد مدة من الزمن أن يكيف حياته بطريقة تساعده على العيش بطريقة مقبولة ولا يعود يشعر بوحشة كبيرة كالتي ألمت به في أول أيام هجرته. وبكلمة أخرى أن الأيام تلطف من حدة الغربة الجغرافية وان يكن المغترب يبقى بشوق كبير وبحنين متزايد يفكر بيوم العودة إلى أرض الوطن والعيش بين الاهل والخلان. أما الأيام فإنها لا تلطف أو توماتيكيا من حدة الغربة الروحية التي تلم بالعديدين من الناس إذ أن هذه الحالة النفسية تزداد حدة مع الزمن.

ونظرا لتكوين الإنسان النفسي فإنه لا يرغب مطلقا بأن يبقى عائشا في حالة الغربة الروحية والانعزال عن بقية البشر. ليس من إنسان يحب العيش في فراغ روحي لأنه بطبيعته كائن اجتماعي وهناك أبعاد لحياته تتجأوز البعد الفردى المحض. وهكذا نرى أن رد الفعل الذي يختبره كل من اغترب روحيا هو بحث جدى عن مخرج أو باب للعودة إلى الحياة في أبعادها التي تتعدى البعد الفردى.

وهنا نعود إلى الاقتباس من المقال الذي اقتطفنا منه بعض الجمل منذ لحظات بخصوص موضوع الغربة الروحية :

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

" كل واحد يبحث عن معجزة، معجزة تنقذه من اللحظات الهالكة في الفراغ، وترفعه إلى الله أو تنزل الله اليه بحركة كأنها البرق أو البركان أو الهذيان... المؤمن يقول : الله يملأ، الله يخلص، الله يريح... ولكن أينسى المؤمن أن درب الله تمر بالبشر؟ وأن درب البشر تملأ ولا تملأ، تخلص وتميت، تريح وتعذب؟ ما أسهل الاحالة على الله؟! لكن بينك وبين الوصول اليه طريق تقودك إلى نفسك. وفي نفسك قد تبقى، أعمى ومجنونا من الا لم تبقى، ولا يستطيع أكبر مارد في الزمان أن يقيمك! "

البحث عن المعجزة للخلاص من الغربة الروحية لأمر منطقي أن سلمنا بأن الإنسان لم يخلق لنفسه بل للعيش في عالم الله وفي شركة مقدسة مع الله ومع بني البشر. ليست الغربة الروحية إذن سوى عأرض مرض خطير ملم بكل إنسان وعندما لا يعيش الإنسان بحسب غاية وجوده على الأرض فمن البديهي انه يشعر بنوع من الغربة الروحية. وقد قال بهذا الصدد منذ نحو ألف وخمسمائة سنة أغسطين القديس الذي يعد من أعظم المؤمنين الذين أنجبتهم القارة الافريقية قال في دعاء وجهه إلى الله بعد اهتدائه إلى الطريق القويم : " يا الله لقد خلقتنا لذاتك وأنفسنا لن تعرف الراحة الا متى وجدت راحتها فيك يا الله! "

يحق للمؤمن القول : " الله يملأ، الله يخلص، الله يريح، بشرط أنه يعي ما يقول. فالله هو الوحيد الذي يملأ الفراغ الروحي الهائل الذي نجده اليوم في قلوب الناس. ولكن الله يملأ ويخلص ويريح وينقذ ويعطي للحياة معناها وقيمتها ومثلها العليا حسب شروطه لا بمقتضى تصوراتنا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ليس الله باله يحبذ الحياة الفردية المطلقة ولا يسر تعالى بانعزالية تجعل من كل إنسان جزيرة صغيرة مستقلة. وعندما يأتي الله بواسطة كلمته المحررة والمنيرة ليملأ الفراغ الموجود في كل إنسان فإنه يفهم ذلك الإنسان بأنه ليس بفرد مطلق بل انه عضو من أعضاء البشرية وهناك من يشاركونه هذا الإيمان ضمن جماعة أهل الإيمان. ويفهم من اختبر تحرير حياته من الفراغ واللا معنى بأن التزاماته الحياتية ليست ذات اتجاه واحد، على العكس المؤمن الحقيقي هو ذلك الذي يقر بأنه يعيش في حضرة الله الواحد السرمدي القدوس وان واجباته والتزاماته عديدة تجاه أقرانه بني البشر. يشعر المؤمن أنه مدعومن قبل الله ليكون سفيرا للمصالحة بين الناس إذ انه وقد اختبر نهاية هجرته الروحية يود بأن يختبر الاخرون هذا الخلاص والانعتاق. يشهد المؤمن بهذه الشهادة لأنه اختبر فعليا قوة المسيح التحريرية ضمن حياته، وهو يعلم علم الاكيد أن كلمة الله هو فوق كل شيء وقبل كل شيء مخلص ومحرر البشرية المعذبة وهو قادر بأن ينقذ كل إنسان من غربته الروحية.

الإنسان بلغ سن الرشد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من العبارات التي شاعت في المدة الأخيرة في أو اسط المفكرين والكتاب العالميين هي أن الإنسان، إنسان القرن العشرين، قد بلغ أخيرا سن الرشد! ونود البحث في معنى هذه العبارة الوصفية ونقدها من وجهة نظر الواقعية التي تنبع من قبولنا لتعليم الوحي الإلهي قبولا تاما وكليا.

عندما يقولون لنا اليوم : الإنسان قد بلغ سن الرشد فإنهم لا يكونون متكلمين عن فرد معين ولا عن شخص واحد مشهور. كلنا نعلم أن الإنسان يولد طفلا وانه ينموويترعرع ويمر في أطوار معينة إلى أن يبلغ سن الرشد أو عهد الرجولية. وكذلك فأن الذين يقولون أن الإنسان قد وصل إلى عهد جديد من وجوده لا يعنون قبل كل شيء أنه صار يعيش في عصر التقنية أي عصر تطبيق المعارف العلمية في سائر نواحي الحياة. طبعا الإنسان المعاصر يعيش في هذا العصر الجديد عصر الاختراعات العديدة التي غيرت طريق حياته في عدة أمور. وليس هناك من إنسان عاقل يود الرجوع إلى الماضي أو ارجاع عقارب الساعة إلى الوراء وأن يحرمنا من كاسب العلوم والتكنولوجيا.

ماذا تعني إذن عبارة : سن الرشد، عندما يقولون لنا في هذه الأيام بأن الإنسان المعاصر قد بلغ سن الرشد؟ عندما تذكر هذه العبارة في هذه الأيام فإنها تعني بأن العالم الفكري المعاصر هو عالم يختلف جذريا وجوهريا وكليا عن العالم الفكري الذي عاش فيه الاباء والاجداد. وان سألنا قائلين : أين هو الاختلاف؟ يقولون لنا : أن الإنسان المعاصر – نظرا لو صوله سن الرشد – لم يعد بمقدوره أن يقبل بأي إيمان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أو معتقد يتعلق بأمور خارجية عن العالم المادى وبكلمة أخرى : يقال لنا أن عصرية إنسان اليوم لا تسمح له بأن يؤمن بالله أو بأن تكون للعالم علاقة اتكالية بالله.

نفهم الان إذن معنى عبارة : الإنسان وصل إلى سن الرشد، انها تعني بأن الإنسان يستغني عن الله وعن شرائعه وأحكامه (لانه – أي إنسان اليوم). صار متحكما بكل عناصر الوجود ولا حاجة له بأن يتكل على اله أو خالق أو مبدع لهذا الكون.

عندما نفكر في هذا الموضوع مليا نلاحظ قبل كل شيء بأن الادعاء بأن الإنسان المعاصر قد بلغ أخيرا سن الرشد هو ادعاء مدفوع من قبل كبرياء وعجرفة ليس لها مثيل! وكما كنا قد ذكرنا سابقا : ليس هناك من إنسان عاقل يود رد عقارب الساعة إلى الوراء وليس هناك من مؤمن حقيقي لا يشكر الله على جميع الأمور التي نتمتع بها بسبب العصر التقني الذي نحيا فيه. فكلام المذيع مثلاً لم يكن ليتعدى جدران الاستديو لو لم تكن هناك محطة إذاعة وراديو وكهرباء أو بطارية. كلنا نتمتع بمنتجات حضارة القرن العشرين ولكن ذلك لا يعني اننا أكثر حكمة ودراية من الذين عاشوا قبلنا على هذه الأرض. وأين نكون نحن ابناء القرن العشرين لو لم يحيا على أرضنا هذه العلماء والمكتشفون منذ فجر التاريخ؟! نعم أين نكون نحن ابناء القرن العشرين أن لم يفتقدنا الله منذ القديم بواسطة أنبيائه ورسله؟! هل وصلنا نحن إلى ما وصلنا اليه بدون الاتكال على المعارف والمعلومات التي وقف عليها الأولون وحفظوها لنا في مؤلفاتهم واختراعاتهم؟! لماذا الكبرياء والادعاء بأننا نحن ابناء القرن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العشرين قد وصلنا أخيرا إلى سن الرشد، بينما الذين عاشوا قبلنا بقوا وظلوا أطفالا من الناحية الفكرية والعلمية.

والذي يتشدق ويقول بأن الإنسان قد وصل أخيرا إلى سن الرشد ينسى في كثير من الاحيان بأن هذا الإنسان البالغ هو أيضاً الإنسان الذي أظهر قساوة ووحشية قلما عرفت في دنيانا هذه. لو كان الإنسان بالحقيقة قد وصل إلى الحكمة الحقيقية ولوكان بالحقيقة أكثر نضوجا من إنسان الماضي لظهرت ثمار نضوجه في هذا العالم. أن طاقات الإنسان المعاصر الذي يدعي بأنه قد بلغ سن الرشد تستعمل في غالبيتها للدمار لا للسلام. فالإنسان المعاصر يصرف أكثر أمواله من أجل الحرب لا من أجل السلام. لو كان إنسان اليوم قد نضج فعليا بالنسبة إلى إنسان الامس، لماذ بقيت سائر امكانًات الإنسان للخير مجرد امكانًات ولماذا لا توضع موضع التنفيذ؟

يعلمنا الوحي الإلهي بكل وضوح أن الإنسان مصاب بمرض روحي مزمن وخطير وهذا المرض يدفعه للابتعاد عن الله ولاختراع أصنام عديدة يسجد لها ويخدمها. وعادة تكون هذه الاصنام عبارة عن تجسيم لافكار الإنسان وآرائه التافهه والباطلة. وها انه اليوم وقد وصل إلى ذروة ضلاله يطلي هربه من الله وصنميته المعاصرة بكليشهات متعددة ذات صبغة شبه علمية ومنها هذا الشعار : الإنسان قد بلغ سن الرشد.

حاجة الإنسان المطلقة اليوم كما كانت حاجته الامس ومنذ القديم هي التخلص من صنميته مهما كانت ومهما ظهرت بطلاء علمي وتعني، والرجوع بكل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ندامة وتواضع إلى الله ربه وباريه. وكم علينا أن نفرح ونتهلل لان الله قد بنى بالفعل أساسا جبارا لهذه المصالحة بينه وبين بني آدم التائهين وذلك عندما أو فد المسيح بمهمة خلاصية، فدائية، إنقاذية، وتحريرية. لقد وفد المسيح عالمنا منذ نحو ألفي سنة وعاش في فلسطين : الأرض المقدسة، لكي ينقذ ويحرر كل إنسان مؤمن وتائب. ينقذ المسيح كل من يضع ثقته فيه، انه يحرره من سائر أنواع وأشكال الصنميات القديمة منها والحديثة. وإذ ذاك فأن المؤمن الذي يحيا في مخافة ربه وخالقه يكون قد بلغ نوعا من النضوج الفكري والحياتي نضوجا غير مشوه بكبرياء أو عجرفة أو تسلط على بني البشر. المؤمن المتحرر من صنميات القرن العشرين يشهد أمام الملأ من كبار وصغار بأن رأس الحكمة يكمن في مخافة الرب وانه لا خير ولا فلاح في دنيانا هذه الا في السير في طريق الله المستقيم. الادعاء بالنضوج الفكري بدون الله وبدون العيش في طريق الله هو رأس الحماقة. لينقذنا الله من هذا الداء الوبيل!

عالم من عالمنا؟

من خلال المؤلفات التي تنهمر على عالمنا من كل حدب وصوب وفي جميع اللغات المستعملة من قبل الملايين من الناس يلاحظ القارئ نوعا من الرؤيا الناقصة. فالصورة التي ترتسم في هذه المؤلفات المعاصرة لعالم الإنسان هي صورة ناقصة وغير كاملة وغير واقعية. هذا لا يعني أن الإنسان ذاته يهمل. الإنسان بمشاكله الفردية والاجتماعية والعالمية صار يدرس بكل جد ونشاط. ما أكثر المؤلفات التي برزت إلى الوجود والتي تعالج العديد من المواضيع الحياتية! ولكن النقص لا يزال موجودا في أكثر هذه المؤلفات. وما هو هذا النقص؟ انه ذلك السكوت الهائل عن علاقة عالمنا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا بالله الخالق. نادرا ما يرد اسم الله في البحوث الجدية لمشاكل العالم وكثيراً ما ينكرون وجود أية علاقة بين العالم والله الخالق.

هناك وجهتا نظر بخصوص هذا الموضوع : عالمنا هذا هو اما عالم الله وللإنسان أو هوعالم الإنسان الوحيد!

عندما نقول أن عالمنا هذا هو عالم الله لا نكون جاعلين من الإنسان صفرا. ونحن لم نقل أن عالمنا هذا هو عالم الله وتوقفنا عند ذلك الحد. ما قلناه هو : عالمنا هو عالم الله وللإنسان. هذا يعني أننا اعترفنا بأن هذا العالم هو لله الخالق تمجد اسمه ولكننا أردفنا قائلين توبأنه للإنسان أي أن الله قد أعد هذا العالم من أجل الإنسان.

فالاعتراف بعلاقة الله بعالمنا (أي العالم الذي نحيا فيه نحن ابناء البشرية). لا يعني بأننا نلغي الإنسان أو نقيده بقيود استعبادية. على العكس لا يعيش الإنسان كإنسان أن لم يعتقد بالله وبسلطانه على كل شيء وبعلاقته بكل ما يجرى على هذه الأرض.

ان الذي يثور على الله واتكالية العالم على الله انما يحرم نفسه من أعظم حقيقة في الوجود. ومحاولة بناء عالم بدون الله وكأن العالم هو عالم الإنسان، أن هذه المحاولة الهرقلية نهايتها الفشل الذريع. لماذا نتفوه بهذه الكلمات؟ ألعلنا نود التعامي عن الحقيقة التي يراها الإنسان، إنسان القسم الأخير من القرن العشرين؟ كلا! لسنا بمتشدقين بما لا ندرى ولا نريد أن نتعامى عن الحقيقة مهما كانت هذه صريحة وجارحة! ولكننا ننادى بفشل كل فلسفة وكل وجهة نظر دهرية لأنها جزئية وتبسيطية ولا ترى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكل! أن رؤياها للعالم وللحقيقة هي رؤيا جزئية ولذلك فإنها أن اكتفت بتلك الرؤيا لا تستطيع تكوين فكرة صائبة عن العالم وعن البشرية ومشاكلها وحلولها.

الله وحده يرى الكل ويعرف الكل ويود الخير للكل لأنه تعالى هو بارى الكل والمشرف على الكل. الله لا يريد تعاسة الإنسان، الله لا يريد شقاء الإنسان، الله لا يريد موت الإنسان. حاشا، إذ لو أراد الله تلك الأمور التي أتينا على ذكرها لما خلق الكون ولما أبدع الإنسان.

وان أردنا معرفة مقدار تقدير الله للإنسان ليس علينا الا التأمل في الإنسان. انه لمخلوق بديع ورائع وضعه الله على سطح الكرة الأرضية كنائب عنه تعالى اسمه وأعطاه عطايا ومواهب لم تمنح لأية مخلوقات أخرى. وجميع الأمور العظيمة والباهرة التي نجدها في عالمنا هذا من الآثار القديمة التي تركها لنا بناؤو الحضارات القديمة إلى مآثر إنسان القرن العشرين كتحطيم الذرة وغزو الفضاء الخارجي والنزول على القمر، كل هذه تشير إلى عظمة الإنسان المخلوق وإلى تفوق عظمة الخالق تعالى اسمه.

ولكننا لا نكون متكلمين بالحقيقة بكليتها أن اكتفينا بالكلام عن مآثر الإنسان القديم والحديث. إذ علينا الاقرار ليس فقط بعظمة الإنسان بل بشقاوته أيضاً. الإنسان عظيم وشقي أيضاً. فعظمة الإنسان تعود إلى أنه أعظم مخلوقات الله وشقاء الإنسان يعود إلى رغبة الإنسان الجامحة ومنذ فجر التاريخ في العيش بدون الله أي في عالم الإنسان لا في عالم الله وللإنسان!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهذا التحرر غير المشروع من الله هو رأس شقاوة الإنسان وسائر الأمور المحزنة التي تعم عالمنا منذ القديم انما تنبع من هذا الخلل الجذرى الكامن في شخصية الإنسان.

والمفكرون المعاصرون الذين يودون بناء عالم للإنسان بدون الله قد لا يكونون عارفين الله الذي أنكروه أو نسوه أو تناسوه. انهم قد تصوروا بأن الله متى أعترف به ومتى توج كسيد العالم والبشرية يجعل من الإنسان لا شيء! ولكن هذه الصورة انما هي صورة صنمية وثنية عن الله. الله ليس بعدو الإنسان! حاشا. الله هو بجانب الإنسان. الله هو مع الإنسان بشرط أن يعترف الإنسان بمركز الله وبمكانته العظيمة وكذلك بشرط أن يحافظ الإنسان على مركزه أي أن يعترف بمحدوديته. وان كان الإنسان قد عاش فسادا وطغا وتجبر وتعدى على أقرانه بني البشر واستعبدهم وجعل حياتهم مرة، فهل نقترب من حل مشاكل الإنسان الجذرية بلوم الله تعالى؟ أهذا منطق سليم؟

ويقول البعض : لماذا سمح الله للإنسان بأن يقوم بهذه الأمور المحزنة؟ أن كان الله بالحقيقة سيد الكون ورب العالم فلماذا نرى كل هذه المسأوىء تقض مضجع البشرية؟

الجواب على هكذا أسئلة هو أن الله لا يعامل الإنسان كآلة صماء. الإنسان مخلوق عجيب وفريد ويتمتع بمسؤوليات جمة والله منحه الحرية في التصرف لأنه بدون هذا الامتياز لا يكون الإنسان إنسانا بل جمادا!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن المهم جدا أن نرى أن الله لم يترك عالمنا على شأنه بل قام بواسطة السيد المسيح بعمل إنقاذى حاسم ولصالح البشرية جمعاء. وهو يقوم الآن وسط التاريخ (بما في ذلك تاريخنا المعاصر). بتطبيق عمله الخلاصي هذا بواسطة نشر كلمة الإنجيل التحريرية وبركة روحه القدوس.

عالمنا هذا عالم من هو ؟ انه عالم الله وللإنسان الذي أحبه الله إلى هكذا درجة حتى أنه أرسل مسيحه إلى وسط العالم لإنقاذه من الشر والهلاك. هذا هو أعظم نبأ سمعته دنيانا.

هبات الله ومسؤولية الإنسان

هل تدرى أيها القارئ العزيز بأن هناك أزمة عالمية تتعلق بالموارد الطبيعية؟ ماذا أعني بهذا السؤال؟ هناك أزمة عالمية الأبعاد فيما يتعلق بالماء والهواء. أهذا ممكن أهناك أكثر من الهواء وأرخص من الماء؟! قد يندر الماء في العديد من الاماكن الصحراوية ولكن التقنية المعاصرة تساعدنا على استخراج الماء العذب من البحر، فأين المشكلة المائية التي يكتب عنها صاحب الكتاب؟

لنبدأ أولاً بالهواء. من المعلوم بأن الهواء هو خليط من عدة عناصر غازية أهمها الآزوت أو النيتروجين ومولد الحموضة أو الأوكسجين. الإنسان والحيوان والنبات بحاجة ماسة إلى الأوكسجين إذ بدون هذا الغاز لا حياة على الاطلاق. مثلاً عندما يخرج الإنسان من نطاق الكرة الأرضية (حيث يوجد الأوكسجين). يترتب عليه أن يأخذ معه كمية كافية من هذا الغاز الهام وهذا بالفعل ما يقوم به ملاحوالفضاء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ورواد القمر. لكن هل هناك أكثر من الهواء في دنيانا هذه فلم الكلام عن أزمة في هذا المورد الطبيعي؟

لقد صار جو نا الأرضي ملوثا، نعم ملوثا بغازات عديدة مضرة بالحياة البشرية والحيوانية والنباتية. كلما يبدأ محرك سيارة أو طائرة أو سفينة بالدوران يتلوث الجو الأرضي بغازات متعددة وخاصة بغاز أول أكسيد الفحم السام. ونظرا لكثرة السيارات في العالم ونظرا لتكاثر الطائرات والسفن فأن الجو أصبح ملوثا بالغازات المضرة وان كانت درجة الخطر لم تحدث بعد الا في بعض أماكن قليلة وفي أيام معينة من السنة.

وليست الغازات المتعددة والمنبعثة من المحروقات الملوثة الوحيدة لجو الكرة الأرضية. هناك أيضاً تلوث الجو الأرضي بالإشعاعات المنبعثة من التفجرات الذرية والهيدروجينية. مثلاً كلما حدث انفجار نووى فان الإشعاع يذهب أولاً إلى طبقات الجو العليا ثم يبدأ بالنزول على الأرض متبعا التيارات الهوائية المعينة. وفي النهاية يدخل الإشعاع الذرى سطح الأرض عندما تهطل الامطار وتروى مزروعاتها ليس فقط بالماء المحيي بل أيضاً بالإشعاع الذرى المضر.

لنبحث الان في موضوع تلوث المياه. نسمع من أن إلى آخر عن تلوث مياه البحر بالزيت أو البترول المتدفق من ناقلة بترول محطمة أو من بئر بترولي كائن تحت مياه البحر. وإذ ذاك نرى بصورة مأساوية الاسماك المائتة والطيور المنقرضة والناس الذين حرموا متعة السباحة في الحر ونقول : لماذا لماذا جرى ما جرى؟! ولكن هذه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحوادث هي نادرة جدا أي تلوث مياه البحر والمحيطات بالبترول المتدفق من ناقلة بترولية محطمة أو بئر بترولي تحت سطح البحر. أن مياه العالم تلوث بصورة دائمة من قبل الصناعات الكبيرة وسكان المدن والقرى التي تحيط بالموارد المائية. فالإنسان الذي يحتاج إلى الماء من أجل حياته الصناعية والمنزلية يستعمل كميات هائلة من الماء ولكنه يرجع إلى الموارد المائية مواد غريبة وغير قابلة للتفسخ وهكذا تتلوث موارد العالم المائية. وصار ينظر إلى بعض البحيرات وكأنها بحيرات ميتة لان الحياة المائية فيها أصبحت شبه معدو مة.

وعلى الغالب فأن الناس لا يعبأون بهذه المشكلة لانهم مشغولون جدا بمشاكل أخرى تظهر أكثر أهمية من مشكلة تلوث الموارد الطبيعية بمواد غريبة ومضرة. ولكن ما أن تبدأ الاسماك المائتة تعوم على سطح المياه كما حدث منذ مدة غير بعيدة في نهر أوروبي كبير حتى يبدأ الناس يستفيقون من سباتهم ويرون الاخطار الكامنة في حضارة اليوم. فخطأ بسيط حدث بصورة عفوية فيما يتعلق ببعض المواد الكيماوية الساقطة في ماء النهر جلب الموت للالاف من الاسماك وحرم البعض من مواردهم الطبيعية لماء الشرب لمدة ما! وهكذا يعود الناس ويتكلمون عن الاخطار الكامنة في عالم اليوم – العالم الذي أصبحت موارده الطبيعية ملوثة بشكل محزن!

وقد تبدو هذه المشكلة مشكلة علمية بحتة. ولكننا إذا ما تمعنا في هذا الموضوع لابد لنا من الاقرار بأن الإنسان هو المسؤول الوحيد عن بروز هذه المشكلة. طبعا نحن لا ننكر بأن تلوث مياه العالم وجو العالم بمواد ضارة هذا التلوث له أبعاد وعوامل علمية معروفة. ولكن وراء هذه العوامل العلمية هناك العامل الروحي لهذه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المشكلة. وماذا نعني بذلك؟ نقول أن الإنسان المعاصر الذي لم يعد يحيا في جو الإيمان بالله لم يعد ينظر إلى نفسه كوكيل أؤتمن من الله للاعتناء بشؤون هذا العالم. على العكس، إنسان العصر الحاضر صار ينظر إلى نفسه وكأنه المالك المطلق لهذه الدنيا ولجميع مواردها وطاقاتها. وإذ يتصرف الإنسان ويخطط ويعمل بمقتضى هذا المعتقد الدنيوى الدهرى فإنه لا يعود يهتم بما يحدث لمحيطه الأرضي. أليس هو صاحب الأرض وكنوزها؟

كلا! ليس الإنسان صاحب الأرض وكنوزها. الكون بأسره بما في ذلك أرضنا الصغيرة هذه، الكل هو لله. وكما ذكرنا في حديث سابق هذا هو عالم الله وللإنسان. لذلك يتوجب على الإنسان أن يتصرف كوكيل أمين لله وعليه أن يبدر موارد الطبيعة وألا يلوث جو ها ومياها.

وإذا ما تمادى الإنسان في استغلال موارد الدنيا بدون الاهتمام بنتائج أعماله هذه فإنه سيعرض البشرية بأسرها لاخطار هائلة لم تعرف في الماضي. فلنذكر إذن بأن هذا هو عالم الله وقد وضعنا البارى على سطح الكرة الأرضية لنخدمه ونعبده وذلك في حياة متجانسة كل التجانس مع القوانين الحياتية التي أو جدها تعالى اسمه. أن تصرف الإنسان كالمالك المطلق لكل موارد الأرض وتمادى في نسيانه لله ولقوانين وشرائع الله، أن لم ينظر الإنسان إلى نفسه كوكيل لله على هذه الأرض فان المستقبل سيكون قاتما للغاية وقد تستفيق البشرية في يوم ما وتجد نفسها بأنها قد فرطت بجميع مواهب الله وما أشد ذلك الافلاس العالمي! وقانا الله من هكذا نهاية!

شفاء الارواح البشرية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يمتاز عصرنا هذا بكثرة الادوية التي يستعملها الإنسان لشفاء أمراضه العديدة. ربما لم يحصل تقدم يضاهي هذا التقدم الباهر الذي جرى في مضمار العلوم الطبية والصيدلية!

وعلاوة على تقدمنا في مضمار العلوم الطبية المتعلقة بالجسد فأن عالمنا شهد منذ مطلع القرن الحالي تقدما كبيرا في حقل العلوم الطبية النفسية. هناك الان أطباء يختصون في معالجة الأمراض النفسية والعصبية والعقلية.

والحاجة اليهم بازدياد مستمر وخاصة في البلاد التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم العلمي والتقني. وقد يظن البعض أن ما أتينا على ذكره لمليء بالمتناقضات أي كثرة الأمراض النفسية والعقلية والعصبية تتعلق بصورة مباشرة بالنسبة إلى التقدم العلمي والتقني. ولكن هذه حقيقة مستقاة من الاحصاءات التي أخذت في بلدان عديدة من العالم وهي لذلك واقعية وان صعب علينا فهمها لأول وهلة.

هل يعني ذلك بأن العلم هو عدو الإنسان وأن التقنية لأمر يجب التهرب منه؟ كلا وألف كلا! ليس العلم بعدو الإنسان والتقنية ليست الا تطبيق عملي لاكتشافات العلماء في سائر نواحي الحياة البشرية. ليس العلم بعدو للإنسان ولكن ما حدث في أيامنا هذه أيام النور والإشعاع هو أن الإنسان استسلم فكريا وعقائديا لفلسفات دنيوية دهرية و لم يعد يسلم بسيطرة الله على دنياه ولا بشرائع الله وأحكامه وبرنامجه الإنقاذى/ الخلاصي. وهذا التقدم العلمي والتقني حدث في نفس الوقت الذي طغت فيه هذه الموجة الهائلة من الدنيوية على عالمنا هذه الموجة التي جاءت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بصنمية من طراز جديد. وقد حلت هذه الوثنية الحديثة مكان الجو الفكري والعقائدى الذي كان يعترف بالله وبوحيه وبنظامه الرائع لدنيانا هذه.

ومن جراء فقدان الإيمان بالله على الصعيد الفكري كثرت وتكاثرت الاضطرابات النفسية والعقلية في أيامنا هذه لأن الإنسان عندما يخسر إيمانه بالله يفقد في نفس الوقت المثل العليا والدوافع النبيلة التي تسير الحياة البشرية بطريقة سليمة ومنظمة ومؤاتية للصحة : الجسدية منها والنفسية. ومع أهمية المنتجات العلمية التي وضعها العلم المعاصر في متناول أيدينا الا أنها بمفردها وبمعزل عن الله تعالى لا تنعش الإنسان ولا تحييه ولا تشفي نفسه المريضة. وكما قال السيد المسيح مقتبسا من توراة موسى : " لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيا الإنسان بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ "

قلنا منذ لحظات لقد كثرت وتكاثرت الاضطرابات النفسية.. أي أننا لم نعن بأنها أتت إلى الوجود في عصرنا الحالي. هذا غير صحيح أي أن ادعينا بأن جميع هذه الأمور التي تصيب الإنسان في روحه أو نفسه وحياته الغير جسدية هي وليدة عصرنا الحالي. فالإنسان منذ القديم جابه أمراضا ومشاكل نفسية محضة. ولكن عصرنا كثر منها وجعلها أكثر تعقيدا وتشابكا.

يعالج البعض هذه الاضطرابات النفسية التي يشكومنها الناس بالطلب منهم بأن يصرحوا بكل شيء أمام الطبيب! على المريض أو المضطرب نفسيا أن لا يخفي عن معالجه أي أمر مهما كان سريا : كل شيء يجب أن يدلى به من الشهوات الجامحة التي تنتابه إلى المخأوف المعقولة وغير المعقولة التي تقض مضجعه إلى الشعور بالجرم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المبهم الذي لا يمكن التخلص منه! وفي هذه الطريقة قسط كبير من الصواب إذ أن مشكلة الإنسان الاساسية هي أنه لا يود الاعتراف بالحقيقة المتعلقة بنفسه أو بذاته. الإنسان منذ فجر التاريخ يبني حياته الفكرية والعقلية على محور الذات والانانية والكون بأسره يدور – باطنيا – على محور ذاته وأنانيته ومنافعه الشخصية.

وبما أن الإنسان لم يوجد نفسه بل أتي إلى الوجود نظرا لعمل الله في البدء فإنه يحمل ضمن تكوينه العقلي / النفسي انطباعات قوية للمسؤوليات الملقاة على عاتقه من قبل ربه وباريه. توجد إذن داخل كل إنسان، ضمن مركز وجود كل بشرى، حرب مستعرة نارها بين الميل القوى والدائم لبناء العالم بأسره على محور الذات وصدى الشريعة الإلهية المنقوشة على القلب والتي تأمر الإنسان بأن يحيا حياة التجانس مع قانون الوجود الذي أو جده الله.

من الحسن جدا إذن اظهار جميع العوامل النفسية الشعورية منها وتحت الشعورية واللاشعورية، من المهم جدا اظهارها لمن يشكومن مرض عصبي أو نفسي أو عقلي أولاًي إنسان غير راض عن نفسه وعن صحة حياته الداخلية : النفسية والعاطفية. ولكن هذا الكشف عن العوامل الخفية المكونة للشخصية البشرية هو غير كاف لان مجرد معرفة الداء لا يعني أن المريض يستطيع شفاء نفسه. تشخيص الطبيب مهم ولكن الشفاء هو الاهم والشفاء لا يتم بصورة حقيقية ونهائية عندما يطلب من المريض نسيان كل شيء يتعلق بالله وبأوامره وبوصاياه وبشرائعه!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الشفاء النفسي الذي نبحث عنه، شفاء الإنسان بأسره، شفاء شخصية الإنسان وانتهاء الحرب الداخلية المستعرة نارها في داخله، هذا الشفاء يتم عندما يرى الإنسان نفسه على حالتها الحقيقية : أي كما يراه الله خالقه! وعندما يتم هذا الاختبار الروحي الفريد فأن الله يرسل الإنسان إلى مسيحه الذي هو طبيب الارواح وشافيها. فلقد جاء المسيح إلى دنيانا هذه واختبر جميع اختباراتنا – بدون الوقوع في الخطية ومات عنا وقام من الأموات منتصرا لكي يصبح منقذنا ومحررنا ومخلصنا وفادينا من سائر الأمراض : أمراض النفس والروح. وعندما نأتي اليه مؤمنين تضحى حياتنا سليمة إذ أنها تدور آنئذ على محور محبة الله فوق كل شيء ومحبة الاخرين، أقراننا بني البشر، محبة خالية من الانانية والنفعية.

العلم المعاصر والفلسفة الدهرية

لابد أن القراء الذين تابعوا هذه التأملات قد لاحظوا مرارا بأننا قد ذكرنا تأثر العلم المعاصر بالفلسفة الدهرية وكنا نشير دوما إلى أننا لسنا بأعداء للعلم المعاصر ولا للتقنية المعاصرة (أي تطبيق العلوم في سائر نواحي الحياة). بل نشكر الله ونحمده من أجل جميع المنافع التي حصلنا عليها والتي هي ثمار العلم المعاصر. ولكننا كنا نشدد في كل مناسبة بأنه مع سرورنا وابتهاجنا بنتائج العلوم وثمارها التقنية، الا أننا نرفض بكل قوة وبصورة نهائية الفلسفة الدهرية المصاحبة – في كثير من الاحيان – للعلوم المعاصرة.

ينظر العديدون من العلماء إلى موضوع العلوم الطبيعية من منظار يدعونه باسم الموضوعية. فيقولون لنا : أن الموضوعية تتطلب عدم السماح للمعتقد أو الإيمان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الديني بأن يلعب أي دور في الابحاث والبرامج العلمية – النظرية منها والعملية. وبكلمة أخرى يبني هؤلاء العلماء سورا قويا يضعون على جانب منه العلم وعلى الجانب الاخر الإيمان الديني أو عدم الإيمان. بهذه الوسيلة وبهذه الطريقة تحفظ موضوعية ونزاهة العلوم! هكذا يقول لنا العلماء الذين اعتنقوا الدهرية كفلسفة حياتية.

ومن الناحية العملية والفعلية فان الموضوعية تضيع بل وتتبخر بصورة تامة لأنه من المستحيل للإنسان بأن يترك معتقد، خارج أسوار المختبر أو المصنع أو مركز الابحاث.

فالإنسان اما أن يعتقد بوجود الله الخالق أولاً يعتقد بوجوده. فان كان يؤمن بوجوده فان وجهة نظره من الأمور العلمية تكون مختلفة – فلسفيا وعقائديا – من وجهة نظر ذلك الذي لا يؤمن الا بالإنسان.

وكثيراً ما يحدث أن الذي يؤمن بالله ينسى الله حالما يبدأ بأبحاثه العلمية وذلك لأنه اعتاد القيام بذلك نظرا للازدواجية التي اعتنقها أثناء أيام دراساته العلمية. ونعني بالازدواجية الاعتقاد النظرى بأمرين متناقضين أو مضادين أو مختلفين جذريا والابقاء على كل منهما في ناحية مختلفة من الحياة العقلية والنفسية والعاطفية. فمن سقط فريسة للازدواجية المعاصرة وكان منذ نعومة أظفاره قد عاش في بيئة مؤمنة بالله الخالق والمسيطر على سائر نواحي الحياة يأتي بنفسه إلى نوع من التعايش مع فلسفة دهرية هي مبدئيا معادية لله. هكذا إنسان يؤمن بالله وقد يرفع إلى الله دعاءه وبصورة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

منظمة أو غير منظمة ويعتقد بالحياة بعد الموت وبيوم القيامة وبوجود ملائكة وشياطين الخ. ولكن جميع هذه المعتقدات تترك خارج مكان البحث والتنقيب والتنظيم والتخطيط. فان العلم المعاصر لا يسمح لله بأن يتدخل في شؤونه. العلم هو للإنسان فقط! هذا هو لسان حال الازدواجية المعاصرة التي ليست هي بالحقيقة علمية بل نظرة فلسفية لا أكثر ولا أقل!

ومن المهم أن نلاحظ أن الازدواجية لا تبقى على حالة واحدة لان الإنسان وخاصة إنسان اليوم هو قلق يعيش لا في جو الجمود والتجفصن بل في جو ديناميكي متغير ومتقلب. وهكذا يحدث أن النظرة الفلسفية الدهرية المطلية بطلاء العلم تجبر الكثيرين من الناس على الارتداد عن الإيمان وتعطيهم كبديل عنه صنما من طراز جديد.

مثلاً يشاهد الباحث في عالم الطبيعة والذي اعتنق أيضاً الفلسفة الدهرية التي تحت شعار الموضوعية تكون قد طردت الإيمان بالله من عقل الإنسان، يشاهد وجهاً معينا من الحقيقة فيسحر منه إلى هكذا درجة حتى انه يسبغ عليه صفة المطلق. وهذا نوع من تأليه جانب واحد أو وجه واحد من الحقيقة. فالنظام الرائع الذي نشاهده في هذا الكون يؤله عندما ننسى واضع هذا النظام أي الله تعالى اسمه. وإذ ذاك تفسر سائر الأمور الطبيعية من وجهة نظر فلسفة حتمية. ونحن نقر بأنه لا مفر من الوقوع في الحتمية عندما نعترف فقط بالنظام الرائع الذي يرى في هذا العالم أي عالم الطبيعة أو الخليقة على الاصح.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لا يجرى الافلات والتحرر من الحتمية الا عندما نرى أكثر من النظام أي عندما نعترف بأن الله هو موجد هذا النظام وقد شاء الله تعالى في مناسبات خاصة ومنذ فجر التاريخ بأن قام بأمور خارقة لنظام الطبيعة أو الخليقة والتي ندعوها عادة باسم المعجزات. فالله هو على كل شيء قدير وهو يسير الطبيعة بمقتضى نظامه البديع وأحيانا حسب مشيئته العليا يجري أمورا لا نقدر أن نفسرها بل نقول انها عمل خاص لله. أما الذين لا يؤمنون بسلطة الله على الطبيعة فإنهم ينكرون حتى امكانية المعجزات ويقولون لنا : لا تمزجوا بين الدين والعلم!

وقد تضايق العديدون من المفكرين من الحتمية المسيطرة على النظرية العلمية المعاصرة ونادوا بحرية الإنسان المطلقة وغير المقيدة من قبل أية قيود إلهية المصدر. وهذا يعني أنهم وإذ رأوا وجهاً آخر من الحقيقة ونسوا بقية أو جهها أعطوا ذلك الوجه صفة مطلقة أي جعلوا من الحرية صنما. وهذه الصنمية المعاصرة تنادى بنسبية سائر القيم الروحية والدينية وتجعل من العقل البشرى المرجع الوحيد للمعرفة وللحق.

نحن نريد أن نكون علميين في أيامنا هذه أي أن نأخذ سائر أو جه الحقيقة بعين الاعتبار، فماذا علينا الاختيار؟ هل أمامنا الاختيار بين الحتمية أو الحرية المطلقة؟ هل هناك اختيار ثالث؟ نعم هناك الاعتراف العقلي والقلبي والحياتي بالله الخالق المعطي لكل شيء معناه ومكانه في الوجود. هناك الاعتراف بالخلل الجذرى في الإنسان الخلل الناتج عن ثورة الإنسان على الله في فجر التاريخ. هناك الاعتراف بمسيح الله الذي جاء ليشفينا من كل ازدواجية ونسبية وليوحد شخصيتنا البشرية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويعطينا الحرية الحقيقية تلك الحرية التي تساعدنا على العيش بكل سلام ووئام في عالم الله.

" ١أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ الابن الْحَكِيمُ يَسُرُّ أَبَاهُ وَالابن الْجَاهِلُ حُزْنُ أُمِّهِ. ٢كُنُوزُ الشَّرِّ لاَ تَنْفَعُ أَمَّا الْبِرُّ فَيُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ. ٣اَلرَّبُّ لاَ يُجِيعُ نَفْسَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ يَدْفَعُ هوى الأَشْرَارِ. ٤اَلْعَامِلُ بِيَدٍ رَخْوَةٍ يَفْتَقِرُ أَمَّا يَدُ الْمُجْتَهِدِينَ فَتُغْنِي. ٥مَنْ يَجْمَعُ فِي الصَّيْفِ فهو ابن عَاقِلٌ وَمَنْ يَنَامُ فِي الْحَصَادِ فهو ابن مُخْزٍ. ٦بَرَكَاتٌ عَلَى رَأْسِ الصِّدِّيقِ أَمَّا فَمُ الأَشْرَارِ فَيَغْشَاهُ ظُلْمٌ. ٧ذِكْرُ الصِّدِّيقِ لِلْبَرَكَةِ وَاسم الأَشْرَارِ يَنْخَرُ. ٨حَكِيمُ الْقَلْبِ يَقْبَلُ الْوَصَايا وَغَبِيُّ الشَّفَتَيْنِ يُصْرَعُ. ٩مَنْ يَسْلُكُ بالاِسْتِقَامَةِ يَسْلُكُ بالأَمَانِ وَمَنْ يُعَوِّجُ طُرُقَهُ يُعَرَّفُ. ١٠مَنْ يَغْمِزُ بِالْعَيْنِ يُسَبِّبُ حُزْناً وَالْغَبِيُّ الشَّفَتَيْنِ يُصْرَعُ. ١١فَمُ الصِّدِّيقِ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ وَفَمُ الأَشْرَارِ يَغْشَاهُ ظُلْمٌ "

أمثال سليمان الحكيم ١٠ : ١-١١

رأس المعرفة

" ١أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ داود مَلِكِ إِسْرَائِيلَ : ٢لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ لإِدْرَاكِ أَقْوَالِ الْفَهْمِ. ٣لِقُبُولِ تَأْدِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالاِسْتِقَامَةِ. ٤لِتُعْطِيَ الْجُهَّالَ ذَكَاءً وَالشَّابَّ مَعْرِفَةً وَتَدَبُّراً. ٥يَسْمَعُهَا الْحَكِيمُ فَيَزْدَادُ عِلْماً وَالْفَهِيمُ يَكْتَسِبُ تَدْبِيراً. ٦لِفَهْمِ الْمَثَلِ وَاللُّغْزِ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَغَوَامِضِهِمْ. ٧مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ. أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ "

سفر الامثال ١ : ١-٧

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لابد انك سمعت بسليمان الحكيم. كان هذا ملكا لبني اسرائيل في أيام ما قبل الميلاد واشتهر أكثر من سائر ملوك شعبه نظرا لحكمته العظيمة ولثروته الطائلة. وقد كان هذا الرجل الفذ من الذين اختارهم الله لكتابة بعض أسفار الوحي. وهكذا نجد ثلاثة أسفار من الكتاب كتبها سليمان بن داود ألا وهي الأمثال ونشيد الانشاد وسفر الجامعة. هناك كنوز عظيمة مخبأة لنا أن اخذنا على عاتقنا بأن نقف على ما تركه لنا سليمان بمعونة روح الله القدوس.

إن شعار سفر أمثال سليمان هو " ٧مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ. أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ " ومع أن هذه الكلمات قيلت أولاً منذ نحو ثلاثة آلاف سنة الا أننا بحاجة اليها بصورة خاصة في أيامناهذه. فإذا ما نظرنا إلى الحياة الفكرية المعاصرة لابد لنا من الاقرار بأن أيامنا هذه هي أيام تجاهل الله ووجوده وكلمته وشريعته. هذا التجاهل بل هذا النكران كما هي الحالة في بعض الاماكن / لم يعرف له مثيل في الاعوام السالفة. وكأننا نعيش في عصر قد تأمر فيه الناس على عدم أخذ الله بعين الاعتبار في أمور الحياة الفكرية.

ومن البديهي أن المعارف تزداد بصورة عجيبة وسريعة أي المعارف المتعلقة بالكون وخاصة بالعالم الذي نحيا فيه. من كان من أجدادنا يحلم بوجود ثروة عظيمة مدفونة تحت رمال الصحارى المحرقة؟ من كان يعلم عن البترول والطرق العديدة التي يمكننا الاستفادة من منتوجاته؟ اننا نعلم أكثر بكثير عن كنوز الأرض مما كان يحلم به الاسلاف ولكننا هل نستطيع بأن نقول اننا أكثر حكمة من الاباء والاجداد؟ ازدياد المعارف بحد ذاته غير كاف لأن الإنسان المعاصر يظهر جهله التام في كيفية الاستفادة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من محتويات معارفه. لنرجع إذن إلى حكمة الله التي تفوق كل حكمة بشرية ولنستمع إلى كلمات سليمان الحكيم " ٧مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ. أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ "

١ : المعرفة : ما هي المعرفة التي تكلم عنها سليمان بن داود؟ يمكننا القول بأن هذه المعرفة ليست بمجرد الوقوف على ما يسمى في أيامنا هذه بالأمور العلمية الطبيعية وليس فقط بما يسمى بالأمور الفلسفية. أن سليمان يعني ذلك وأكثر من ذلك : انه يتكلم عن الأمور الحياتية التي تنظم الإنسان أو بالاحري حياة الإنسان ضمن المجتمع البشرى الذي نحيا فيه. وهذا ما نحن بحاجة اليه في يومنا هذا : اننا بحاجة ماسة إلى معرفة الأمور التي تجعل حياة الإنسان، إنسان القرن العشرين حياة خالية من الخوف والعوز والاضطراب والتفكك والتفسخ. فمع كل نموالمعارف العلمية التي سخرت الذرة وأخذت بالإنسان إلى الفضاء الخارجي الا أن الإنسان لا ينعم بحياة هادئة أو هنيئة بل نرى حياته مهددة من كل حدب وصوب. المعرفة التي تكلم عنها سليمان هي معرفة شاملة كاملة، ولكنها فوق كل شيء معرفة حياتية واقعية تعترف بأن الحياة هي دوما أمام الاختيار : الاختيار بين الطريق المستقيم والطريق العوج، بين طريق السلام وطريق الحرب، بين طريق الله وطريق ابليس. ولذلك ابتدأ الحكيم في مقدمة سفر الامثال بهذه الكلمات الرائعة : " لمعرفة حكمة وتأديب (وهذه الكلمات تشير إلى الحياة الاخلاقية/ التطبيقية/ اليومية). لادراك أقوال فهم (وهذه بدورها تشير إلى الحياة الفكرية أو الايديولوجية أو العقائدية). لقبول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تأديب التعقل، الحق والعدل والاستقامة، لتعطي الاغرار فطنة والشاب معرفة وتدبرا "

ان الملك سليمان اهتم بالأمور الحياتية و لم يكن مثل الكثيرين في هذه الأيام والذين يؤمنون بالطلاق بين أمور الدين والعلم؟ كان اهتمام الحكيم قبل كل شيء بالأمور الحياتية ولذلك لم يحجم عن الكلام عن قبول تأديب التعقل و لم ينس مطلقا أهمية الحق والعدل والاستقامة. لنستمر في اقتباسنا من كلمات الحكيم " ٥يَسْمَعُهَا الْحَكِيمُ فَيَزْدَادُ عِلْماً وَالْفَهِيمُ يَكْتَسِبُ تَدْبِيراً. ٦لِفَهْمِ الْمَثَلِ وَاللُّغْزِ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَغَوَامِضِهِمْ "

وان كانت الأمور التي دخلت في نطاق المعارف البشرية كثيرة منذ نحو ثلاثة آلاف سنة فماذا نقول الآن؟ انها تكاثرت إلى هكذا درجة حتى أن بعض العلماء لا يمتنعون عن الكلام عن حالة المعرفة اليوم واصفين اياها بانفجار المعرفة البشرية. انها أشبه بمحيطات أو أوقيانوسات العالم الكبيرة. ولكن هل يمكننا أن نقول بأن الإنسان المعاصر يستطيع بأن يستفيد منها كما يجب؟ ولماذا لا يقدر إنسان القرن العشرين بأن يستعمل جميع معارفه في سبيل الخير والسلام؟

٢. رأس المعرفة : أن أسئلتنا هذه تقودنا إلى الكلام عن رأس المعرفة. ماذا نعني بهاتين الكلمتين : رأس المعرفة؟ رأس المعرفة يعني بداية المعرفة أو أساس المعرفة. للمعرفة رأس أو بداية أو أساس. لا يكفينا أن نعرف الكثير عن أمور الكون والعالم أن لم نكن نعرف غاية الوجود ومعنى الوجود وماهية الأمور التي تكون عالمنا. المعرفة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الوصفية لأمور دنيانا غير كافية، نحن نود بأن نعرف كنه الأمور وسببها وغايتها. هذا يعني أننا نود ارجاع كل معارفنا إلى نقطة مبدئية أو رئيسية. مادام الإنسان إنسانا أي مخلوقا مفكرا فإنه لابد من أن يسأل أسئلة مصيرية ولا يكتفي بالأجوبة الجزئية أو السطحية. بدون رأس للمعرفة، بدون أساس متين للمعرفة تضحي الحياة الفكرية حياة طابعها الفوضوية واليأس والقنوط.

وبهذه المناسبة لابد لنا من القول أن السبب الرئيسي لبزوغ الاضطرابات الطلابية في أماكن عديدة من العالم في المدة الأخيرة أن ذلك يعود إلى أن الثقافة المعاصرة هي ثقافة امتازت بتكديس المعارف العلمية وبعدم الاكتراث بأمور رأس المعرفة وأساسها. أن حضارة النصف الثاني من القرن العشرين لأشبه ببناية عالية أو بناطحة سحاب – بدون أساس متين! اننا بحاجة قصوى إلى أساس متين للمعرفة ولكننا لا نجد الناس يتكلمون عنه بل نراهم تائهين في صحارى حياة فكرية خالية من الأسس السليمة. أين نجد هذا الاساس؟

٣. رأس المعرفة مخافة الرب : لقد تكلم سليمان الحكيم عن هذا الاساس منذ نحو ثلاثة آلاف سنة. رأس العرفة مخافة الرب! مخافة الرب هي أساس المعرفة. نعم مخافة الرب. هذا يعني أن المعرفة تبنى فوق كل شيء على احترام تام وكلي للرب أي لله الواحد القدوس الذي خلق العالم وكل ما في الوجود والذي تكلم مع البشرية بواسطة الأنبياء والرسل. هل يؤخذ الله تعالى بعين الاعتبار في الحياة الفكرية في أيامنا هذه؟ هل يهتم علماء الطبيعة أو العلوم الطبيعية هل يهتمون بأمور الله وبعلاقتها بما يقومون به في مختبراتهم؟ مع الأسف الشديد علينا الاعتراف بأن طابع الثقافة العالمية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المعاصرة هو طابع لاديني في بعض الاحيان وضد الدين في أحيان أخرى. وقد يظن البعض بأنني أقوم بحملة شعواء على العلم المعاصر ولكني لست أقوم بذلك مطلقا، انما أو د بأن ألفت نظر الجميع بأن الجو العالمي الثقافي اليوم هو غير آبه بأمور الله ومنكر لها. وها أسرد لكم الآن ما ورد في رسالة من أحد مستمعينا الاعزاء والذي كان يقوم بجولة في احدى البلاد الأوروبية أثناء العطلة المدرسية. تعرف على فتاة مثقفة ثقافة عالية فسألها مرة قائلاً : أي عقيدة تعتقدين؟ " فكان جو ابها " لا أعتقد أن ما كتب بالحروف يمكن أن يصح في عالم المحسوسات " وبعبارة أخرى أنكرت هذه الفتاة المثقفة أمام أحد مستمعينا الكرام أنكرت إيمانها بالوحي الإلهي وبإمكانية وجود علاقة حيوية بين أمور الله والعالم!

ان موقف هذه الفتاة المعاصرة المثقفة ثقافة عالية والعائشة في بلد أو روبي متمدن ومتقدم أن موقفها هذا يشبه موقف الآلاف من المعاصرين الذين لا يعترفون بمخافة الرب أي انهم لا يعترفون بالله ولا بوحيه ولذلك فإنهم يحيون وكأن الله غير موجود وكأن المعرفة ممكنة بدون أخذ الله بعين الاعتبار.

ولكن بدون مخافة الرب تبقى المعرفة بدون معنى أو هدف المعرفة غير المعترفة بالله وبوحيه هي معرفة بدون حكمة وبدون فائدة للإنسان.

يا ترى كيف وصل الناس إلى هذه الحالة المحزنة؟ حتى في أيام سليمان كان البعض لايهتمون بالله ولذلك فان الحكيم لم يكتف بالقول : مخافة الرب رأس المعرفة بل استمر قائلاً : أما الحمقى فيحتقرون الحكمة والتأديب! ولماذا؟ لأن في الإنسان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ميل إلى الانحراف عن جادة الحق وهذا ما يسمى في الكتاب بالخطية. الإنسان هو في نفسه أسير للشر والخطية ولذلك يفضل السير على طريق الظلام والابتعاد عن طريق الله المستقيم. فتيهانه في الحياة الفكرية في أيامنا هذه ليس بالأمر الحديث بل انه يجرى منذ فجر التاريخ. ولكنه يجدر بنا أن نذكر أن الله لم يقف مكتوف اليدين بل بادر إلى ارسال السيد المسيح إلى عالمنا هذا وقام بعمل إنقاذى حاسم عندما مات المسيح كفاريا على الصليب وقام من الأموات في اليوم الثالث. وهكذا فان المتحرر من الخطية ومن عواقبها الكثيرة – أي ذلك الذي اختبر ضمن حياته قوة المسيح الفدائية – ينظم إلى سائر المؤمنين عبر التاريخ ويقول من قرارة قلبه مع سليمان الحكيم : مخافة الرب رأس المعرفة، آمين.

صوت الحكمة

" ٨اسمعْ يا ابني تَأْدِيبَ أَبِيكَ وَلاَ تَرْفُضْ شَرِيعَةَ أُمِّكَ ٩لأَنَّهُمَا إِكْلِيلُ نِعْمَةٍ لِرَأْسِكَ وَقَلاَئِدُ لِعُنُقِكَ. ١٠يا ابني أن تَمَلَّقَكَ الْخُطَاةُ فَلاَ تَرْضَ. ١١إِنْ قَالُوا : «هَلُمَّ مَعَنَا لِنَكْمُنْ لِلدَّمِ. لِنَخْتَفِ لِلْبَرِيءِ بَاطِلاً. ١٢لِنَبْتَلِعْهُمْ أَحْيَاءً كَالْهَاوِيَةِ وَصِحَاحاً كَالْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ ١٣فَنَجِدَ كُلَّ قِنْيَةٍ فَاخِرَةٍ نَمْلَأَ بُيُوتَنَا غَنِيمَةً. ١٤تُلْقِي قُرْعَتَكَ وَسَطَنَا. يَكُونُ لَنَا جَمِيعاً كِيسٌ وَاحِدٌ». ١٥يا ابني لاَ تَسْلُكْ فِي الطَّرِيقِ مَعَهُمْ. امْنَعْ رِجْلَكَ عَنْ مَسَالِكِهِمْ. ١٦لأَنَّ أَرْجُلَهُمْ تَجْرِي إِلَى الشَّرِّ وَتُسْرِعُ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. ١٧لأَنَّهُ بَاطِلاً تُنْصَبُ الشَّبَكَةُ فِي عَيْنَيْ كُلِّ ذِي جَنَاحٍ. ١٨أَمَّا هُمْ فَيَكْمُنُونَ لِدَمِ أَنْفُسِهِمْ. يَخْتَفُونَ لأَنْفُسِهِمْ. ١٩هَكَذَا طُرُقُ كُلِّ مُولَعٍ بِكَسْبٍ. يَأْخُذُ نَفْسَ مُقْتَنِيهِ! ٢٠اَلْحِكْمَةُ تُنَادِي فِي الْخَارِجِ. فِي الشَّوَارِعِ تُعْطِي صَوْتَهَا. ٢١تَدْعُو فِي رُؤُوسِ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأَسْوَاقِ فِي مَدَاخِلِ الأَبْوَابِ. فِي الْمَدِينَةِ تُبْدِي كَلاَمَهَا ٢٢قَائِلَةً : «إِلَى مَتَى أَيُّهَا الْجُهَّالُ تُحِبُّونَ الْجَهْلَ وَالْمُسْتَهْزِئُونَ يُسَرُّونَ بِالاِسْتِهْزَاءِ وَالْحَمْقَى يُبْغِضُونَ الْعِلْمَ؟ ٢٣ارْجِعُوا عِنْدَ تَوْبِيخِي. هَئَنَذَا أُفِيضُ لَكُمْ رُوحِي. أُعَلِّمُكُمْ كَلِمَاتِي. ٢٤«لأَنِّي دَعَوْتُ فَأَبَيْتُمْ وَمَدَدْتُ يَدِي وَلَيْسَ مَنْ يُبَالِي ٢٥بَلْ رَفَضْتُمْ كُلَّ مَشُورَتِي وَلَمْ تَرْضُوا تَوْبِيخِي. ٢٦فَأَنَا أَيْضاً أَضْحَكُ عِنْدَ بَلِيَّتِكُمْ. أَشْمَتُ عِنْدَ مَجِيءِ خَوْفِكُمْ. ٢٧إِذَا جَاءَ خَوْفُكُمْ كَعَاصِفَةٍ وَأَتَتْ بَلِيَّتُكُمْ كَالزَّوْبَعَةِ إِذَا جَاءَتْ عَلَيْكُمْ شِدَّةٌ وَضِيقٌ ٢٨حِينَئِذٍ يَدْعُونَنِي فَلاَ أَسْتَجِيبُ. يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ فَلاَ يَجِدُونَنِي. ٢٩لأَنَّهُمْ أَبْغَضُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يَخْتَارُوا مَخَافَةَ الرَّبِّ. ٣٠لَمْ يَرْضُوا مَشُورَتِي. رَذَلُوا كُلَّ تَوْبِيخِي. ٣١فَلِذَلِكَ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِ طَرِيقِهِمْ وَيَشْبَعُونَ مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. ٣٢لأَنَّ ارْتِدَادَ الْحَمْقَى يَقْتُلُهُمْ وَرَاحَةَ الْجُهَّالِ تُبِيدُهُمْ. ٣٣أَمَّا الْمُسْتَمِعُ لِي فَيَسْكُنُ آمِناً وَيَسْتَرِيحُ مِنْ خَوْفِ الشَّرِّ "

سفر الامثال ١ : ٨-٣٣

صار من الصعب في أيامنا هذه بأن نكون فكرة عن سائر أنواع المعارف البشرية. هناك هكذا تكاثر في حقول المعرفة البشرية حتى أن البعض لا يتوانون عن وصف أيامنا هذه كأيام انفجار المعرفة. وهذا يعني مثلاً بأنه من الصعب جدا لنا بأن نصدر موسوعات أو دوائر معارف لأننا نحتاج إلى تغيير الأمور الكثيرة الواردة فيها من سنة إلى أخرى. يعلم الإنسان اليوم عن هذا العالم أضعاف ما كان يلم به آباؤه وأجداده وصار من اللازم أن يلجأ الإنسان إلى آلات الكترونية دقيقة تعرف بالأدمغة الالكترونية لتبويب وتخزين سائر المعلومات المعروفة لديه في كل حقل من حقول المعرفة البشرية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويقولون انه باستطاعة هذه الآلات العجيبة بأن تقوم بحسابات دقيقة للغاية وأن تعطينا معلومات تامة وكاملة عن كل ما نود أن نعرفه من أمور علمية وتقنية – كل ذلك في مدة ثواني أو دقائق معدو دة! هذه أمور واقعية نوردها بكل تجرد وبدون أن نضخمها أو نصفها بقالب مجازى. أيامنا هذه هي أيام العلم والمعرفة.

ولكن هل يجوز لنا بأن نستنتج مما سبق أن الإنسان المعاصر هو إنسان حكيم للغاية؟ هل يمكننا أن نسأوى بين تكديس المعارف البشرية والحكمة؟ هل نحيا في عالم اليوم ونشعر من قرارة قلوبنا بأن الناس أكثر حكمة من أناس القرون الماضية؟ أن طرح هذه الأسئلة يعني أننا غير متأكدين بأن مجرد ازدياد المعارف البشرية يؤول بحد ذاته إلى ازدياد في الحكمة البشرية. ونحن بالحقيقة نعتقد بأن الحكمة لا يمكن بأن تعرف مطلقا بأنها عبارة عن جميع وتبويب المعارف. الحكمة هي أكثر من ذلك بكثير.

مثلا، انتهت الحرب العالمية الثانية بعد مدة قليلة من تفجير القنابل الذرية أو النووية وذلك من الناحية العلمية – على مقدرة الإنسان على تفكيك العناصر واستخراج طاقات هائلة منها. ولكننا هل نقدر بأن نقول أن إنسان القرن العشرين قد استفاد كما يجب من هذه المعرفة العلمية؟ كلنا نعلم انه هناك عدد كاف من القنابل الذرية والهيدروجينية لتدمير الكرة الأرضية بأسرها! هل هذا دليل على حكمة إنسان النصف الثاني من القرن العشرين؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومنذ مدة غير يسيرة كان بعض الأطباء يصفون دواء مسكنا للنساء الحوامل وكان هذا الدواء ينظر اليه كمسكن لا أكثر ولا أقل، وقد جاء إلى حيز الوجود بعد أبحاث عديدة.

ولكنه ظهر أن بعض تلك النساء اللواتي استعملن هذا الدواء ولدن أولاًدا مشوهين. طبعا نحن لا نقول أن ذلك حدث بسبب سوء نية من قبل طبيب أو صيدلية أو مصنع للأدوية.

ولكننا ألسنا محقين أن قلنا بأن تلك الحادثة هي دليل من أدلة كثيرة على محدودية المعرفة البشرية وعلى عدم اكتمال الحكمة البشرية؟

وهنا لابد لنا من القول : أن كانت المعارف البشرية لا تعني في حد ذاتها بأن الإنسان الذي حصل عليها هو حكيم وأنه يستعملها دائما في طرق الخير والصلاح، ما هو موقفنا إذ ذاك من هذا الموضوع؟ من البديهي اننا لا نود بأن نكون دعادة للرجعية الفكرية أو العلمية. نحن لا نستطيع أن نرجع عقارب الساعة إلى الوراء. ما نحتاجه ليس بأمر سلبي بل اننا بحاجة إلى امر ايجابي – إذا ما أردنا بأن نستفيد من سائر الأمور التي يكتظ بها عالمنا اليوم. بكلمة مختصرة : نحن بحاجة إلى الحكمة. اننا نحتاج إلى حكمة تساعدنا على الاستفادة من جميع معارفنا فنستعمل كل شيء في سبيل خير الأفراد والمجتمعات.

نحن نقر بحاجتنا إلى الحكمة. فالسؤال الملهب هو : أين نجد الحكمة؟ ما هو منبعها؟ كيف نحصل عليها؟ كيف نستطيع الاستفادة منها؟ هذه أسئلة عملية،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مصيرية، حياتية وواقعية. ونحن نشكر الله انه لم يتركنا في دياجير الظلام بل أعطانا ما نحن بحاجة اليه في كتابه. هناك سفر واحد من أسفار الكتاب يبحث بصورة خاصة في موضوعنا هذا الا وهو سفر الأمثال أو أمثال سليمان الحكيم. وشعار الكتاب بأسره انما لخص في العدد السابع من الفصل الأول وهو " مخافة الرب رأس المعرفة، وأما الحمقى فيحتقرون الحكمة والتأديب "

ابتدأ كاتب الأمثال باعطاء نصيحة خاصة للشبان فحذرهم من مغبة السير مع جماعة السؤ الذين يودون كسب الثروة عن طريق الاجرام. وبعد أن انتهي من الكلام عن ذلك الموضوع ابتدأ سليمان يتكلم عن الحكمة قائلاً : الحكمة تنادى في الشارع. وهذه هي الأمور التي نعلق عليها بخصوص موضوع صوت الحكمة.

١. مصدر صوت الحكمة : أن مصدر صوت الحكمة أو مصدر الحكمة هو الله تعالى اسمه. أن الله حكيم بمعنى انه تعالى يعرف كل شيء معرفة تامة ومطلقة ويستعمل معرفته هذه في سبيل مجد اسمه القدوس وخير البشرية والكون. لمعرفة الإنسان حدود، ولذلك يمكننا القول بأن معرفة الإنسان هي معرفة متزايدة. وحكمة الإنسان محدودة للغاية وكثيراً تكون منعدمة.

فأهم شيء يمكن أن نقوم به اليوم ضمن هذا العالم المنقسم والمعذب والمشوه، أهم اعتراف يمكننا أن نقوم به هو أن نقول من أعماق قلوبنا : مصدر الحكمة الحقيقية هو الله. وحيث تنعدم معرفة الله ليست هناك من حكمة حقيقية. ليس الإنسان في ذاته حكيما.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢. إذاعة صوت الحكمة : أن كان الله مصدر كل حكمة حقيقية، فاننا نأتي أيضاً إلى القول بأن الله قد تكلم بالحكمة أو انه تعالى قد إذاع صوت الحكمة في العالم بأسره. ونسرع هنا إلى القول اننا عندما استعملنا كلمة إذاع لا نعني بأننا نتكلم قبل كل شيء هنا عن الإذاعات والراديو. فكما أن كلمة ذاع وإذاع اقدم بكثير من اختراع القرن العشرين هكذا أيضاً نقول أن الله الذي تكلم مع البشرية بواسطة أنبيائه ورسله إنما كان بالفعل يذيع صوت حكمته الفائقة للعقل البشرى. ومجرد وجود سفر كتابي خاص بهذا الموضوع أي سفر أمثال سليمان الحكيم لدليل على أن الهنا وربنا قد شاء ووهب عالمنا حكمته أو صوت حكمته في كلمته المدونة. ولكن ما هو موقف الناس منها؟ لنصغ إلى سليمان " «لأَنِّي دَعَوْتُ فَأَبَيْتُمْ وَمَدَدْتُ يَدِي وَلَيْسَ مَنْ يُبَالِي ٢٥بَلْ رَفَضْتُمْ كُلَّ مَشُورَتِي وَلَمْ تَرْضُوا تَوْبِيخِي. ٢٦فَأَنَا أيضاً أَضْحَكُ عِنْدَ بَلِيَّتِكُمْ. أَشْمَتُ عِنْدَ مَجِيءِ خَوْفِكُمْ. ٢٧إذا جَاءَ خَوْفُكُمْ كَعَاصِفَةٍ وَأَتَتْ بَلِيَّتُكُمْ كَالزَّوْبَعَةِ إذا جَاءَتْ عَلَيْكُمْ شِدَّةٌ وَضِيقٌ ٢٨حِينَئِذٍ يَدْعُونَنِي فَلاَ أَسْتَجِيبُ. يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ فَلاَ يَجِدُونَنِي. ٢٩لأَنَّهُمْ أَبْغَضُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يَخْتَارُوا مَخَافَةَ الرَّبِّ "

٣. موقف الناس من صوت الحكمة : لاحظنا أن الناس لم يبالوا بصوت الحكمة ولا يبالون إلى أيامنا هذه. لماذا هذا الموقف غير الحميد؟ الجواب : لأنهم أبغضوا المعرفة و لم يختاروا مخافة الرب! الناس أبغضوا المعرفة وأية معرفة؟ المعرفة النازلة من السماء، المعرفة التي مصدرها الله تعالى معطي الوحي! ولماذا لم يختر الناس مخافة الرب؟ أليس من المعقول بأن يهاب الناس ويحترموا الخالق تعالى اسمه؟ لماذا لا يعيش

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الناس كما يجب؟ الجو اب : في كل إنسان، في كل ابن آدم ميل موروث يدفعه إلى عمل الشر والابتعاد عن الخير. كل إنسان (ان ترك وشأنه). يبغض المعرفة الحقيقية ولا يختار مخافة الرب التي هي بداية الحكمة.

والعاقبة هي مخيفة للغاية : " ٣١فَلِذَلِكَ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِ طَرِيقِهِمْ وَيَشْبَعُونَ مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. ٣٢لأَنَّ ارْتِدَادَ الْحَمْقَى يَقْتُلُهُمْ وَرَاحَةَ الْجُهَّالِ تُبِيدُهُمْ. ٣٣أَمَّا الْمُسْتَمِعُ لِي فَيَسْكُنُ آمِناً وَيَسْتَرِيحُ مِنْ خَوْفِ الشَّرِّ "

أنهي سليمان كلماته في هذا الفصل الأول على وتيرة ايجابية، تكلم عن الذين يصغون أو يستمعون للحكمة. كيف ينقلب الناس من مبغضي الحكمة إلى سامعين لها؟ أن الله يأخذ على عاتقه بأن يزيل الحجاب بينه وبين الإنسان انه يغير القلب ويغفر خطية الإنسان ويزيل آثامه ومعاصيه. ولقد أخبرنا عن ذلك في إنجيله أي في خبره المفرح. فقد أرسل الله مسيحه إلى عالمنا ليفدينا من سلطان الخطية والمعصية وذلك بموته الكفاري على الصليب وبقيامته المجيدة من الأموات. كل من يؤمن بالمسيح يصغي إلى الحكمة فيسكن آمنا ويستريح من رعب الشر، آمين.

السعي وراء الحكمة

" ١يا ابني أن قَبِلْتَ كَلاَمِي وَخَبَّأْتَ وَصَايَايَ عِنْدَكَ ٢حَتَّى تُمِيلَ إِذنَكَ إِلى الْحِكْمَةِ وَتُعَطِّفَ قَلْبَكَ عَلَى الْفَهْمِ ٣إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلى الْفَهْمِ ٤إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ ٥فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ. ٦لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ. ٧يَذْخَرُ مَعُونَةً لِلْمُسْتَقِيمِينَ.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هو مِجَنٌّ لِلسَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ ٨لِنَصْرِ مَسَالِكِ الْحَقِّ وَحِفْظِ طَرِيقِ أَتْقِيَائِهِ. ٩حِينَئِذٍ تَفْهَمُ الْعَدْلَ وَالْحَقَّ وَالاِسْتِقَامَةَ : كُلَّ سَبِيلٍ صَالِحٍ. ١٠إذا دَخَلَتِ الْحِكْمَةُ قَلْبَكَ وَلَذَّتِ الْمَعْرِفَةُ لِنَفْسِكَ ١١فَالْعَقْلُ يَحْفَظُكَ وَالْفَهْمُ يَنْصُرُكَ ١٢لإنقاذكَ مِنْ طَرِيقِ الشِّرِّيرِ وَمِنَ الإنسان الْمُتَكَلِّمِ بِالأَكَاذِيبِ ١٣التَّارِكِينَ سُبُلَ الاِسْتِقَامَةِ لِلسُّلُوكِ فِي مَسَالِكِ الظُّلْمَةِ ١٤الْفَرِحِينَ بِفَعْلِ السُّوءِ الْمُبْتَهِجِينَ بِأَكَاذِيبِ الشَّرِّ ١٥الَّذِينَ طُرُقُهُمْ مُعَوَّجَةٌ وَهُمْ مُلْتَوُونَ فِي سُبُلِهِمْ. ١٦لإنقاذكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ مِنَ الْغَرِيبَةِ الْمُتَمَلِّقَةِ بِكَلاَمِهَا ١٧التَّارِكَةِ أَلِيفَ صِبَاهَا وَالنَّاسِيَةِ عَهْدَ إِلَهِهَا. ١٨لأَنَّ بَيْتَهَا يَسُوخُ إِلى الْمَوْتِ وَسُبُلُهَا إِلى الأَخِيلَةِ. ١٩كُلُّ مَنْ دَخَلَ إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُ وَلاَ يَبْلُغُونَ سُبُلَ الْحَيَاةِ. ٢٠حَتَّى تَسْلُكَ فِي طَرِيقِ الصَّالِحِينَ وَتَحْفَظَ سُبُلَ الصِّدِّيقِينَ. ٢١لأَنَّ الْمُسْتَقِيمِينَ يَسْكُنُونَ الأرض وَالْكَامِلِينَ يَبْقُونَ فِيهَا. ٢٢أَمَّا الأَشْرَارُ فَيَنْقَرِضُونَ مِنَ الأرض وَالْغَادِرُونَ يُسْتَأْصَلُونَ مِنْهَا "

سفر الأمثال ٢ : ١-٢٢

يجد كل إنسان نفسه على مفترق طرق في هذه الحياة فهو اما يسير على طريق الله أو على طريق معاد لله تعالى! ومع أن العديدين يظنون بأنهم يستطيعون وقوف موقف الحياد من هذا الموضوع الا أنهم يجدون أنفسهم في النهاية وقد انضموا إلى أولئك الذين يعاندون الله أو يحاربونه. بالنسبة لله تعالى ليس هنالك أي حياد، فنحن اما معه أو عليه!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

علمنا سليمان الحكيم في مقدمة سفر الأمثال الذي نتأمل فيه في هذه السلسلة من عظات ساعة الاصلاح، علمنا بأن رأس أو بداية الحكمة انما هو مخافة الرب. ثم حذرنا بواسطة تعاليم صيغت في قالب سلبي، حذرنا من مغبة السير في الطريق المعاكس للحكمة ووصف لنا مغبة اتباع ذلك الطريق قائلاً " ٣٢لأَنَّ ارْتِدَادَ الْحَمْقَى يَقْتُلُهُمْ وَرَاحَةَ الْجُهَّالِ تُبِيدُهُمْ. ٣٣أَمَّا الْمُسْتَمِعُ لِي فَيَسْكُنُ آمِناً وَيَسْتَرِيحُ مِنْ خَوْفِ الشَّرِّ "

يأتي الحكيم في الفصل الثاني من سفر الأمثال إلى الكلام عن موضوع السعي وراء الحكمة والمنافع العديدة التي نحصل عليها عندما نجد ساعين وراء الحكمة. وهذا يعني أن أسلوبه هو ايجابي في هذا الفصل. وفيما يلي نرى الأقسام الرئيسية لتعليم سليمان بخصوص موضوعنا :

١. السعي وراء الحكمة يجب أن يصحبه رغبة تامة وولاء كامل.

٢. السعي وراء الحكمة يصل بصاحبه إلى هدفه أي إلى نيل الحكمة.

٣. النتيجة العظيمة للسعي وراء الحكمة.

١. السعي وراء الحكمة يجب أن يصحبه رغبة تامة وولاء كامل : من جد طالبا الحكمة ينسى كل شيء آخر. غايته هي سليمة وموحدة لجميع جهوده فهي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تتطلب إذن الإصغاء التام إلى الحكمة وتوجيه القلب إلى الفطنة والتماسهما كما يلتمس الإنسان الفضة والبحث عنهما كما يبحث الإنسان عن الكنوز المدفونة في الأرض. هذه الكلمات المستقاة من القسم الأول من الفصل الثاني لسفر الأمثال إنما تعني بكل صراحة اننا لا نقبل على الحكمة بنصف عزيمة ولا نقبل الرأي القائل بأننا نستطيع أن نرضي الله والأمور العاكسة له في نفس الوقت. يطلب منا الله ولاء تاما وكليا عندما نبدأ بالجد وراء الحكمة. شروط الله قد تظهر صعبة للغاية ولكنه الله لا إنسان! الله يريد كل قلبك لا نصفه! يبغي الله منك أن تجد وراء الحكمة كما يركض الناس وراء الفضة والكنوز! انهم ينسون كل شيء وكذلك يطرحون عن أنفسهم كل عبء ولا يسمحون لأي عائق بأن يعترض سبيلهم. هل أنت مستعد بأن تسعى وراء الحكمة بهذه الطريقة السليمة؟

٢. الوصول إلى الهدف : أن قمت بما يطلبه منك الله أي أن سعيت من كل قلبك وراء الحكمة فأن الوصول إلى الهدف مضمون " ٥فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ. ٦لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ "

علينا هنا أن نلاحظ أن الله هو الذي يعطي الحكمة. هذه حقيقة أساسية ليس فيها أي مجال لتعليم آخر. الرب يعطي حكمة. فالحكمة إذن هي هبة الله لا تحصيل الإنسان. ولكن، قد تقول لي، أن كانت الحكمة هبة إلهية فلماذا يطلب منا الله بواسطة عبده الحكيم بأن نجد ساعين وراء الحكمة؟ لماذا؟ لأن الله يعاملنا كبشر لا كآلات صماء ولا كحيوانات! يطلب منا الله أن نسعى وراء الحكمة ويعدنا في نفس الوقت بأنه يعطينا اياها أن قمنا بذلك من كل قلبنا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا يعني قبل كل شيء أن من نال الحكمة من الله يبقى إنسانا وديعا ومتضعا لأنه لم يكتشف الحكمة اكتشافا بجهوده الخاصة بل نال حكمة إلهية المصدر. ليس هناك مكان أو مجال للكبرياء أو العجرفة أو التصلف لمن كان حكيما! ولكن ما هي الواسطة التي يستعملها الله لاعطائنا الحكمة؟ هذا سؤال هام للغاية. والجواب ليس بعسير أن تذكرنا أن الموضوع ذاته أي موضوع الحكمة انما ورد ذكره في الكتاب. هذا يعني أن الواسطة التي يستعملها الله لاعطائنا الحكمة انما هي كلمته المحررة والخلاصية. من المهم جدا إذن أن نقف على محتويات الكلمة الإلهية لانها المصدر الوحيد للوقوف على الحكمة الإلهية. ونحن عندما نذكر هذا الموضوع لا نكون واضعين حدودا للمقدرة الإلهية إذ أن الله أن شاء جعل الناس حكماء بدون واسطة أي بصورة مباشرة. كلنا نعلم أن الله على كل شيء قدير. نحن نؤمن بإله قادر على كل شيء خالق السماء والأرض وكل ما يرى وما لا يرى. ولكننا نهتم الآن ونحن باحثون في موضوعنا هذا بالطريقة التي يلجأ اليها الله تعالى في اعطاء الحكمة للناس. هذا هو المهم، لا خوض بحوث عميقة فلسفية تتعلق بعلم الكلام.

يعطينا الله الحكمة بواسطة كلمته. هذا يعني اننا ملزمون بأن نقف على محتويات كلمته. لا يكفينا الاقرار نظريا بأهمية الكلمة الإلهية بل علينا الوقوف على محتوياتها – عمليا وفعليا. وهذه الكلمة الإلهية انما هي فدائية في لبها أي انها تشع بنور عظيم على الإنسان فتريه بأنه مخلوق صنع لتمجيد الله وللعيش بمقتضى شريعته ولكنه (أي الإنسان). صار مخلوقا عاقا فثار على ربه والهه وصار يتبع طريقا غير الصراط المستقيم. هذه الكلمة الإلهية هي فدائية لأنها تنبؤنا عن نبأ سار للغاية ألا وهو مجيء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المسيح الذي أخذ على عاتقه موضوع تطهيرنا من أدران الخطية والمعصية. هذه الكلمة فدائية لأنها ترينا طريقة العيش لمجد الله بعد أن نختبر الانعتاق والتحرير. هذه هي الكلمة الإلهية التي نؤتى بواسطتها الحكمة والفطنة.

هل نود أن نضع انفسنا في مدرسة الله الكتابية؟ مدرسة الحكمة ليست مدرسة أرضية بشرية في مصدرها. هل نود حقيقة أن ننخرط في سلك مدرسة الحكمة الإلهية؟ علينا أن نهرع إلى كلمته المقدسة وندرسها ونحفظها ونجعلها تسير معنا في سائر ساعات النهار إلى أن يتغلب علينا النعاس في أو ائل الليل! وكم من المؤسف اننا نحن ابناء القرن العشرين نعيش في وقت كثرت فيه الأمور التي تضارب على الكلمة الإلهية وتسلبنا وقتنا الثمين فلا نطالع كلمة الله كفاية ولا نصغي إلى القدير وهو يتكلم معنا في كلمته المحررة! لنذكر جيدا اننا لا نقدر أن نصل إلى الحكمة أن لم نلتمسها كالفضة أو أن لم نبحث عنها كالكنوز!

٤. نتيجة السعي وراء الحكمة : من حصل على هبة الحكمة من الله تعالى فإنه ينال المعرفة الدينية المميزة لشتى المواضيع الحياتية والعقائدية وكذلك ينال قوة أخلاقية نفسية تبرز إلى الوجود في حياة مبتعدة عن سبل الكذب والبهتان والدعارة والانحلال الأخلاقي. وكما قال سليمان :

" فحينئذ – أي بعد أن تكون قد نلت الحكمة من الله – فحينئذ تفهم الحق والعدل والاستقامة، وكل منهج صالح. فأن الحكمة تدخل قلبك والمعرفة تلذ نفسك، التدبر يحفظك والفطنة تصونك " ! يا لها من أمور عظيمة للغاية!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أهناك كنـــز أعظم من هذا الكنـــز؟ أليس هذا هو الأمر الذي نحتاجه في يومنا هذا؟ أن نفهم الحق والعدل والاستقامة، كل منهج صالح؟ ألا يفتقر عالمنا اليـــوم إلى هذه الأمور بصورة كبيرة، أن كان ذلك على الصعيد الفردى أو الاجتماعي أو الدولي؟ الحق والعدل والاستقامة وكل منهج صالح! يا لها من أمور بـــاهرة! ولكنها لا توجد حيثما يتمرد الناس على الله، انها لا توجد حيثمـــا لا يعتـــرف الناس بأمور الوحي الإلهي! انها ثمار الحكمة الإلهية، انها لا تنبت الا حيثما يؤمن الناس بكلمة الله ويعملون بها.

من نال الحكمة الإلهية وحصل على ثمارها : الحق والعـــدل والاســـتقامة والمنهج الصالح هكذا إنسان قد تسلح ضد طرق الشر " لإنقاذك من طرق الشر، ومن الإنسان المتكلم بالعوج، من الذين يتركون سبل الاســـتقامة، ليـــسيروا في طرق الظلمة، ويفرحون بفعل السوء، ويبتهجون بأكإذيب الشر الذين ســـبلهم معوجة وهم في مناهجهم ملتوون. لإنقاذك من المرأة الغريبة، من الأجنبية عنك، التي تتملق بكلامها، التي تهجر إلف صباها وتنس عهد الهـــا " وهـــذه الآثـــام والمعاصي التي ذكرها الحكيم هنا تتعلق بصورة خاصة بخطايا الكذب والزنى. من تسلح بالحكمة الإلهية المصدر لم يعد إنسانا سإذجا ينخدع من قبـــل صـــيارفة الكذب وتجار البهتان. هكذا إنسان حكيم لن يقع في حبائل الزانية التي تتملـــق بكلامها وتحاول اظهار نفسها وكأنها مثال للفضيلة وللمحبة الحقيقيـــة. وكـــم يحتاج الإنسان المعاصر إلى التسلح في هذين المضمارين لكي لا يصبح فريسة لمن ينشرون الأكإذيب أو للواتي يبعن أجـــسادهن في ســـوق الرذيلـــة والانحـــلال

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأخلاقي! فمع أن العصور الماضية لم تخل مطلقا من مروجي الكذب ومن العاهرات الا أن عصرنا هذا كثرت فيه هذه الخطايا بصورة شديدة للغاية. ويا للأسف نرى انه حيثما ازدهرت الأحوال الاقتصادية كثرت هذه الخطايا! ولا حاجة لنا الآن إلى الكلام عنها بأي تفصيل لأن الجميع يعلمون ماذا نعني.

هل يتأثر قلبك من حكمة سليمان التي بحثنا فيها؟ إذكر جيدا أن الله قادك اليوم لقراءة كلمته هذه لكي تتوب عن غيك وتؤمن بمسيحه إيماناً قلبيا خلاصيا فتنال الغفران والحكمة وثمار الحكمة، آمين.

إطاعة الحكمة

" ١يا ابني لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. ٢فإنها تَزِيدُكَ طُولَ أيام وَسِنِي حَيَاةٍ وَسَلاَمَةً. ٣لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. اكْتُبْهُمَا عَلَى لوحِ قَلْبِكَ ٤فَتَجِدَ نِعْمَةً وَفِطْنَةً صَالِحَةً فِي أَعْيُنِ اللَّهِ وَالنَّاسِ. ٥تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. ٦فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ وهو يُقَوِّمُ سُبُلَكَ. ٧لاَ تَكُنْ حَكِيماً فِي عَيْنَيْ نَفْسِكَ. اتَّقِ الرَّبَّ وَابْعُدْ عَنِ الشَّرِّ ٨فَيَكُونَ شِفَاءً لِسُرَّتِكَ وَسَقَاءً لِعِظَامِكَ. ٩أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ ١٠فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبَعاً وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَاراً. ١١يا ابني لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلاَ تَكْرَهْ تَوْبِيخَهُ ١٢لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ وَكَأَبٍ بِابن يُسَرُّ بِهِ. ١٣طُوبَى لِلإنسان الَّذِي يَجِدُ الْحِكْمَةَ وَلِلرَّجُلِ الَّذِي يَنَالُ الْفَهْمَ ١٤لأَنَّ تِجَارَتَهَا خَيْرٌ مِنْ تِجَارَةِ الْفِضَّةِ وَرِبْحَهَا خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ. ١٥هِيَ أَثْمَنُ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ جواهِرِكَ لاَ تُسَاوِيهَا. ١٦فِي يَمِينِهَا طُولُ أيام

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وَفِي يَسَارِهَا الْغِنَى وَالْمَجْدُ. ١٧طُرُقُهَا طُرُقُ نعَمٍ وَكُلُّ مَسَالِكِهَا سَلاَمٌ. ١٨هِيَ شَجَرَةُ حَيَاةٍ لِمُمْسِكِيهَا وَالْمُتَمَسِّكُ بِهَا مَغْبُوطٌ. ١٩الـرَّبُّ بِالْحِكْمَـةِ أَسَّـسَ الأرض. أَثْبَتَ السماوات بِالْفَهْمِ. ٢٠بِعِلْمِهِ انْشَقَّتِ اللُّجَجُ وَتَقْطُـرُ الـسَّحَابُ نَدًى. ٢١يا ابني لاَ تَبْرَحْ هَذِهِ مِنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظِ الرَّأْيَ وَالتَّدْبِيرَ ٢٢فَيَكُونَا حَيَاةً لِنَفْسِكَ وَنعْمَةً لِعُنُقِكَ. ٢٣حِينَئِذٍ تَسْلُكُ فِي طَرِيقِكَ آمِناً وَلاَ تَعْثُـرُ رِجْلُـكَ. ٢٤إذا اضْطَجَعْتَ فَلاَ تَخَافُ بَلْ تَضْطَجِعُ وَيَلُذُّ نَوْمُكَ. ٢٥لاَ تَخْشَى مِنْ خَوْفٍ بَاغِتٍ وَلاَ مِنْ خَرَابِ الأَشْرَارِ إذا جَاءَ. ٢٦لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ مُعْتَمَدَكَ وَيَـصُونُ رِجْلَكَ مِنْ أن تُؤْخَذَ. ٢٧لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَـدِكَ أن تَفْعَلَهُ. ٢٨لاَ تَقُلْ لِصَاحِبِكَ : «إذهَبْ وَعُدْ فَأُعْطِيَكَ غَداً» وَمَوْجُـودٌ عِنْـدَكَ. ٢٩لاَ تَخْتَرِعْ شَرّاً عَلَى صَاحِبِكَ وهو سَاكِنٌ لَدَيْكَ آمِناً. ٣٠لاَ تُخَاصِمْ إنـساناً بِدُونِ سَبَبٍ أن لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ مَعَكَ شَرّاً. ٣١لاَ تَحْسِدِ الظَّالِمَ وَلاَ تَخْتَرْ شيئاً مِنْ طُرُقِهِ ٣٢لأَنَّ الْمُلْتَوِيَ رِجْسٌ عِنْدَ الرَّبِّ. أَمَّا سِرُّهُ فَعِنْدَ الْمُسْتَقِيمِينَ. ٣٣لَعْنَةُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ الشِّرِّيرِ لَكِنَّهُ يُبَارِكُ مَسْكَنَ الصِّدِّيقِينَ. ٣٤كَمَـا أَنَّـهُ يَـسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ هَكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ. ٣٥الْحُكَمَاءُ يَرِثُونَ مَجْداً وَالْحَمْقَى يَحْمِلُونَ هو انا "

سفر الأمثال ٣ : ١-٣٥

نعيش في أيام جوها مشبع بأزمة الطاعة أو الاطاعة. عالمنا اليوم لا يرغـب في سماع هذه الكلمة لأن الناس ولا سيما الجيل الناشيء يودون بأن يكونوا لأنفـسهم عالما جديدا بدون قوانين معينة ولا اطاعة للقوانين. نجد هذه الأزمة قبل كل شـيء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ضمن صرح العائلة. الأولاد لا يطيعون والديهم بل يودون بأن يأكلوا وينـاموا في بيوتهم وكأنها عبارة عن فنادق أو أوتيلات! والطلاب لا يرغبون في اطاعة أساتذتهم بل ينقلبون عليهم وينتقدونهم وكأن الطلاب بغنى عن الثقافة التي جاؤوا لتحصيلها في المدرسة أو الكلية أو الجامعة. وبعض المواطنين لا يحترمون أولئك الذين في يدهم أمور الدولة فنراهم ينتقدون بشكل قوى أمور البلاد بدون أن يقدموا أية خدمة حقيقية لأوطانهم! ولكن الطاعة ضرورية وضرورية بصورة تامة لأن عالمنا مهدد بالفوضى والانحلال أن لم تصبح فيه الطاعة عنصرا أساسيا من حياتنا المعاصرة.

وان كنا نؤكد أهمية الطاعة في الحياة العائلية والمدرسية والوطنية فإنه من واجبنا أن نشدد على هذا الموضوع بصورة خاصة فيما يتعلق بالحكمة. فنحن عندما نتكلم عن الحكمة لا نقوم بذلك من ناحية نظرية أو مجردة. موضوع الحكمة هو موضوع حياتي وعملي. ولذلك من العبث الكلام عن الحكمة ووصفها والبحث في المواضيع المتعلقة بها أن لم نكن مصممين على العمل بتعاليمها. فالحكمة ليست مجرد معرفة شاملة لمواضيع العالم الثقافية والعلمية وغير ذلك من المعارف. الحكمة هي وضع المعرفة وضع التنفيذ لخير الإنسانية جمعاء ولمجد الله تعالى. وهذا يعني اننا ملزمون بأن نطيع الحكمة وألا نكتفي بالكلام عنها. وهذا هو موضوعنا الذي سنبحث فيه متكلين على الوحي الإلهي المعطى لنا في الفصل الثالث من كتاب الأمثال لسليمان الحكيم.

يبدأ الحكيم بالكلام قائلاً " ١يا ابني لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. ٢فإنها تَزِيدُكَ طُولَ أيام وَسِنِي حَيَاةٍ وَسَلاَمَةً. ٣لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. اكْتُبْهُمَا عَلَى لوحِ قَلْبِكَ ٤فَتَجِدَ نِعْمَةً وَفِطْنَةً صَالِحَةً فِي أَعْيُنِ اللَّهِ وَالنَّاسِ " هذه كلمات صريحة للغاية : لابد من الطاعة عندما نود بأن نستفيد من الحكمة لأنه بدون الطاعة ليس هناك حكمة، لأن الحكمة انما هي وضع المعرفة الصحيحة موضع التنفيذ!

وعندما نذكر موضوع الطاعة لابد لنا من أن نعرف ماذا علينا أن نطيع. انه لا يكفينا القول بأن الطاعة واجب. من أطيع وماذا أطيع وإلى أي مدى أطيع؟ هذه أسئلة مصيرية وهامة للغاية. واجابة عليها قال الحكيم " ٥تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. ٦فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ وهو يُقَوِّمُ سُبُلَكَ. ٧لاَ تَكُنْ حَكِيماً فِي عَيْنَيْ نَفْسِكَ. اتَّقِ الرَّبَّ وَابْعُدْ عَنِ الشَّرِّ " قال سليمان " بِكُلِّ قَلْبِكَ وفِي كُلِّ طُرُقِكَ " اطاعة الحكمة تعني اطاعة تامة ومطلقة وكلية لله تعالى. وهذه الطاعة ليست بطاعة عمياء لأن الله انما أعطانا أن نعرف مشيئته وارادته في كلمته المقدسة. لقد تكلم الله معنا بواسطة أنبيائه ورسله وسهر تعالى على أن تدون هذه الكلمة المقدسة وان تترجم إلى سائر لغات البشر لكي لا يبقى إنسان بدون واسطة للتعرف على الحكمة. ولكن الله لم يتكلم عبثا، انه تكلم وكلمته يجب أن تطاع. ولاطاعة الله جانب ايجابي وآخر سلبي. اطاعة الله تعني الاعتراف به في سائر نواحي الحياة والسير على طريقه المستقيم، واطاعة الله تعني أيضاً عدم الاعتماد التام والمطلق على فهمنا نحن بني البشر.

وكم نحن بحاجة إلى التحذير الإلهي في يومنا هذا؟! وعلى فهمك لا تعتمد! الإنسان المعاصر يعتمد على فهمه وينبذ الحكمة الإلهية. الإنسان المعاصر يقول لنا في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كتاباته الروائية منها والعقائدية وغيرها أن الله غير موجود أو غير مهم أو أنه ترك العالم لشأنه. ولكن الإنسان المعاصر يتفوه بهكذا كلمات يأس وقنوط والحاد لأنه انما ارتكب خطيئة عظمى ألا وهي الاكتفاء الذاتي بالحكمة الذاتية أو بالفهم المنبعث من عقل الإنسان المحدود ذى الميل الدائم نحو الشر. لا تكن حكيما في عيني نفسك لأنك أن ظننت بأنك أنت منبع الحكمة وان الإنسان هو كائن مكتف بطاقاته الخاصة وأن حكمته تكفيه فأنك ستجد أن عاجلا أو أجلا أن ما فكرت به كحكمة انما كان ضلالا مبينا. الحكمة الحقيقية هي من صفات الله وهي هبة من الله يمنحها لبني البشر بمقتضى شروطه وطرقه المقدسة. منبع الحكمة ليس الإنسان بل الله، لذلك كل من صار حكيما في عيني نفسه انما هو بالحقيقة جاهل وأحمق. وبكلمة مختصرة اعلم جيدا أيها الإنسان بأن الحكمة تتطلب منك الطاعة وهذه الطاعة تتطلب منك الاتكال التام على الله وعدم الاعتماد على حكمتك الذاتية.

وموضوعنا هو عملي بدرجة عظمى ونرى ذلك في كلمات الحكيم الذي لم يكتف بالكلام عن الاتكال التام على الله بل قال أيضاً " أكرم الرب من مالك ومن أوائل غلاتك، فتمتليء وفرة وتفيض معاصرك خمرا جديدة! " ولكن لماذا يتكلم الله بواسطة عبده سليمان عن موضوع المال وما علاقة ذلك بالحكمة؟ قد يظن البعض أن الله غير آبه بموضوع المال ولكنهم مخطئون. فمع أن الله لا يحتاج إلى أموالنا الا انه يمتحنا في موضوع حكمتنا وذلك في الموقف الذي نتخذه من المال. هل ننظر إلى أموالنا وكأنها لنا بصورة مطلقة؟ هل نتعلق بأموالنا بصورة كبيرة؟ أن كنا على تلك الشاكلة فأننا نظهر عدم تفهما لجانب كبير من موضوع الحكمة. الله هو المالك

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المطلق لكل ما في الوجود بما في ذلك الاموال والمقتنيات التي ندعوها بأموالنا ومقتنياتنا. نحن وكلاء على أموالنا وأرزاقنا ولذلك علينا أن نظهر ذلك بصورة عملية عندما نكرم الرب من مالنا.

وبصورة عملية هكذا أموال لا تذهب إلى الله بل إلى الفقراء والمحتاجين أو إلى المشاريع الخيرية والإنسانية والمتعلقة بنشر وإذاعة حكمته في عالمنا.

والشيء العظيم الذي يعدنا به الله هو اننا كلما ازددنا كرما وسخاء أي كلما ازداد كرمنا وسخاؤنا في سبيل الله كلما تكاثرت الخيرات والبركات التي يغدقها الله علينا. طبعا هذا لا يعني اننا نضحي أسخياء طمعا بأموال أكثر، ليست هكذا أفكار بأفكار حكمة إلهية المصدر! كلمة الله صريحة : " أكرم الرب من مالك.. فتمتلىء مخازنك وفرة! بركة الرب هي بركة نعمة لا نستحقها مطلقا وليست عبارة عن بركة نشتريها بجهودنا أو مآثرنا العظيمة.

والحياة البشرية التي نحياها ليست بحياة خالية من الآلام والمشقات والمصاعب بل كثيراً ما تنهمر علينا الأتراح وتظلم سماء حياتنا بصورة شديدة. الفهم البشرى المحدود يقول لنا في هكذا حالات بأننا قد خسرنا عطف الله ومودته وليس علينا سوى الاستسلام لقضاء أعمى! لكن حكمة الله تقول لا وألف لا؟ انصت إلى كلمات الحكمة : يا بني لا ترفض تأديب الرب ولا تمل توبيخه فان الذي يحبه الرب يؤدبه كما يؤدب أب ابنا يسر به " الآلام والأحزان والأتراح التي تنهال على المؤمن ليست عبارة عن غضب الله عليه، على العكس انها علامات محبة له. ألم يؤدبنا والدنا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهل كان تأديبه علامة أو رمزا لعدم محبته لنا؟ كلا أن آباءنا وأمهاتنا يحبوننا ولكنهم لا يمتنعون عن تأديبنا. وهكذا الله أيضاً انه يؤدب خائفيه والمؤمنين به.

" ١٣طُوبَى لِلإنسان الَّذِي يَجِدُ الْحِكْمَةَ وَلِلرَّجُلِ الَّذِي يَنَالُ الْفَهْمَ ١٤لأَنَّ تِجَارَتَهَا خَيْرٌ مِنْ تِجَارَةِ الْفِضَّةِ وَرِبْحَهَا خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ. ١٥هِيَ أَثْمَنُ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ جو اهِرِكَ لاَ تُسَاوِيهَا "

يا لها من أمور عظيمة أمور الحكمة! لنصغي إلى تعليق الحكيم عليها

أيها القارئ العزيز! قد تقول : انني لا أشعر بجاذبية الحكمة، انني أعيش في عصر المادية وما يجذبني هو المال من ذهب وفضة وغير ذلك من مقتنيات القرن العشرين! حسن أن تكون صريحا مع نفسك وأن تعترف بأن الحكمة – كما وصفها سليمان بن داود – لم تجذبك. انك بحاجة إلى قوة تحريرية إنقاذية فدائية لكي تنقذك من شهوة المادة وهذه هي قوة المسيح المخلص. أرجوك لا تقسي قلبك بل تعال الآن إلى الله واعترف بأنك بحاجة ماسة إلى الخلاص من جاذبية الشر والمعصية واقبل منه تعالى هبة المسيح. كل من آمن بالمسيح إيماناً قلبيا وجد نفسه سائرا على طريق الحكمة الحقيقية. فمع أن سليمان كان عظيما الا أن المسيح أعظم من سليمان لأنه لا يتكلم عن الحكمة فقط بل هو حكمتنا وخلاصنا لأنه جاء إلى عالمنا وعاش بيننا ومات عنا وقام من الأموات لكي نتمكن من السير على طريق الحكمة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كلمة إلى الجيل الناشيء

" ١اسمعُوا أيها الْبَنُونَ تَأْدِيبَ الأَبِ وَاصْغُوا لأجل مَعْرِفَةِ الْفَهْمِ ٢لأَنِّي أُعْطِيكُمْ تَعْلِيماً صَالِحاً فَلاَ تَتْرُكُوا شَرِيعَتِي. ٣فَإِنِّي كُنْتُ ابناً لأَبِي غَضّاً وَوَحِيداً عِنْدَ أُمِّي ٤وَكَانَ يُرِينِي وَيَقُولُ لِي : «لِيَضْبِطْ قَلْبُكَ كَلاَمِي. احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا. ٥اِقْتَنِ الْحِكْمَةَ. اقْتَنِ الْفَهْمَ. لاَ تَنْسَ وَلاَ تُعْرِضْ عَنْ كَلِمَاتِ فَمِي. ٦لاَ تَتْرُكْهَا فَتَحْفَظَكَ. أَحْبِبْهَا فَتَصُونَكَ. ٧الْحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ فَاقْتَنِ الْحِكْمَةَ وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الْفَهْمَ. ٨ارْفَعْهَا فَتُعَلِّيَكَ. تُمَجِّدُكَ إذا اعْتَنَقْتَهَا. ٩تُعْطِي رَأْسَكَ إِكْلِيلَ نِعْمَةٍ. تَاجَ جَمَالٍ تَمْنَحُكَ». ١٠اسمعْ يا ابني وَاقْبَلْ أَقْوَالِي فَتَكْثُرَ سِنُوحَيَاتِكَ. ١١أَرَيْتُكَ طَرِيقَ الْحِكْمَةِ. هَدَيْتُكَ سُبُلَ الاِسْتِقَامَةِ. ١٢إذا سِرْتَ فَلاَ تَضِيقُ خَطَوَاتُكَ وَإِذا سَعَيْتَ فَلاَ تَعْثُرُ. ١٣تَمَسَّكْ بِالأَدَبِ. لاَ تَرْخِهِ. احْفَظْهُ فإنه هو حَيَاتُكَ. ١٤لاَ تَدْخُلْ فِي سَبِيلِ الأَشْرَارِ وَلاَ تَسِرْ فِي طَرِيقِ الأَثَمَةِ. ١٥تَنَكَّبْ عَنْهُ. لاَ تَمُرَّ بِهِ. حِدْ عَنْهُ وَاعْبُرْ ١٦لأَنَّهُمْ لاَ يَنَامُونَ أن لَمْ يَفْعَلُوا سُوءاً وَيُنْزَعُ نَوْمُهُمْ أن لَمْ يُسْقِطُوا أَحَداً. ١٧لأَنَّهُمْ يَطْعَمُونَ خُبْزَ الشَّرِّ وَيَشْرَبُونَ خَمْرَ الظُّلْمِ. ١٨أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إلى النَّهَارِ الْكَامِلِ. ١٩أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَكَالظَّلاَمِ. لاَ يَعْلَمُونَ مَا يَعْثُرُونَ بِهِ. ٢٠يا ابني أَصْغِ إلى كَلاَمِي. أَمِلْ إذنَكَ إلى أَقْوَالِي. ٢١لاَ تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظْهَا فِي وَسَطِ قَلْبِكَ. ٢٢لأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ. ٢٣فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ. ٢٤انْزَعْ عَنْكَ الْتِوَاءَ الْفَمِ وَأَبْعِدْ عَنْكَ انْحِرَافَ الشَّفَتَيْنِ. ٢٥لِتَنْظُرْ عَيْنَاكَ إلى قُدَّامِكَ وَأَجْفَانُكَ إلى أَمَامِكَ مُسْتَقِيماً. ٢٦مَهِّدْ سَبِيلَ رِجْلِكَ فَتَثْبُتَ كُلُّ طُرُقِكَ. ٢٧لاَ تَمِلْ يَمْنَةً وَلاَ يَسْرَةً. بَاعِدْ رِجْلَكَ عَنِ الشَّرِّ "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سفر الأمثال ٤ : ١-٢٧

عالمنا اليوم هو مكتظ بالسكان. وخبراء علم السكان يقولون لنا أن عدد الناس في العالم في العام ألفين سيكون ضعف ما هو عليه الآن. هذا موضوع يهم إذن كل شخص وكل بلاد لأننا ما أن نتأمل في موضوعنا هذا حتى تبرز مشاكل فرعية تتطلب حلا سريعا. فهناك موضوع الغذاء الذي ستحتاجه البشرية لإطعام الملايين من السكان لأن معدل ازدياد الناس هو أكبر الآن من ازدياد الطاقات الزراعية في العالم.

وعلاوة على مشكلة الطعام هناك موضوع الاسكان. أين سيعيش الناس في السنين التالية أن كان عددهم سيتضاعف في مدة تقارب من ثلاثين سنة؟ هل توجد أماكن كافية لهم وهل سيكون الدخل السنوى جيدا لدرجة يسهل فيها بناء وحدات سكنية جديدة؟ وهناك أيضاً موضوع الثقافة والتربية في عالم الغد. هل سيتمكن كل ولد من الذهاب إلى مدرسة ليتلقن العلوم وللحصول على المعارف اللازمة للعيش في حضارة القرن العشرين التقنية؟ علينا ألا نتمادى في طرح هكذا أسئلة لأنها مع أهميتها خارجة عن نطاق عملنا وقد ألمحنا اليها لكي نقف على حقيقة هامة تهم جميع بني البشر في يومنا هذا ألا وهي بروز مشاكل عديدة ذات الأبعاد العالمية.

غايتنا هي الكلام عن التربية غير الرسمية أي التربية البيتية أو العائلية وأهميتها في أيامنا هذه. وما أن نأتي على ذكر هذا الموضوع حتى نفكر حالا بأنه هناك أزمة واقعية حقيقية ظهرت في أيامنا وهي أزمة العلاقة بين الوالدين والجيل الجديد. نلاحظ وجود جو عدم ثقة بين الأولاًد وآبائهم وأمهاتهم. الأولاًد لا يثقون بوالديهم ولا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يميلون إلى اطاعتهم والآباء والأمهات لا يفهمون أولادهم ولا القوى الخفية التي تدفعهم إلى الانتفاض على سلطة الوالدين. ولابد لنا من أن نقول بأن الوالدين ليسوا دائما بلا لو م لأنهم كثيراً ما يهملون أولادهم أو يعاملونهم معاملة قاسية وخالية من المحبة والمنطق السليم. الا أن اعترافنا بهذا الأمر لا يعني أنه يجوز للأولاد أن يثوروا على والديهم. اطاعة الآباء والأمهات واحترامهم هو من صلب نظام الخليقة الذي أو جده الله تعالى ومن لم يتعلم الاحترام والطاعة ضمن حياة العائلة لا يعرف معنى الطاعة في بقية نواحي الحياة.

في جو عالمي كالذي نعيش فيه اليوم جو مليء بالتغييرات وبالآراء الحديثة والمستحدثة يجدر بنا أن ننصت بكل خشوع إلى تعاليم الكلمة الإلهية. فقد شاء الله وأعطانا كتابا من الكتب المقدسة يبحث في موضوع الحكمة وهذا هو سفر أمثال سليمان الحكيم. وها اننا نتطرق الآن للبحث في موضوع ندعوه : كلمة إلى الجيل الناشيء.

١. موقف احترام وثقة : يوجه سليمان كلماته إلى الشبان قائلاً " " ١اسمعُوا أيها الْبَنُونَ تَأْدِيبَ الأَبِ... لِيَضْبِطْ قَلْبُكَ كَلاَمِي. احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا " نقول في أنفسنا (وذلك فيما إذا كنا بعد في أوائل سنينا). لماذا كل هذه الوصايا والنصائح؟ لما التشديد على الطاعة ولماذا يطلب منا بأن ننشد الحكمة؟ هل ينتظر منا أن نعيش وكأننا مسنين؟ هل تجهل اننا ابناء القرن العشرين عصر الانطلاق والتحرر والاكتشاف والابداع؟ هذه الكلمات تظهر وكأنها آتية من الماضي السحيق!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مهلا أيها الشبان والشابات، مهلا لا تتسرعوا في انتقاداتكم! أن وصايا ونصائح الوالدين هي لمنفعتكم ولخيركم لأن الله انما يظهر سلطته في حياتكم بواسطة سلطة الآباء والأمهات. احذروا وتحفظوا لأنكم أن احتقرتم الوالدين فأنكم تكونون محتقرين لسلطة الله تمجد اسمه. انكم بحاجة ماسة إلى اتخاذ موقف احترام وثقة. نعم عليكم أن تحترموا الوالدين وتثقوا بهم.

وهذه كانت كلمات والد محب لابنه الحبيب " ٥اِقْتَنِ الْحِكْمَةَ. اقْتَنِ الْفَهْمَ. لاَ تَنْسَ وَلاَ تُعْرِضْ عَنْ كَلِمَاتِ فَمِي. ٦لاَ تَتْرُكْهَا فَتَحْفَظَكَ. أَحْبِبْهَا فَتَصُونَكَ. ٧اَلْحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ فَاقْتَنِ الْحِكْمَةَ وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الْفَهْمَ. ٨ارْفَعْهَا فَتُعَلِّيَكَ. تُمَجِّدُكَ إذا اعْتَنَقْتَهَا. ٩تُعْطِي رَأْسَكَ إِكْلِيلَ نِعْمَةٍ. تَاجَ جَمَالٍ تَمْنَحُكَ " ما أعظم وأنفس هذه النصائح! هل منطقها غير صحيح؟ هل تجعل من أفق حياتك أفقا ضيقة؟ أن الذي ينشد الحكمة الحقيقية لا يقوم بذلك فقط من أجل إنماء قواه الفكرية أو العقلية. من يسعى وراء الحكمة يكون ساعيا وراء منافع عديدة هي عبارة عن ثمار الحكمة ضمن الحياة اليومية التي يحياها الإنسان – أن كان عائشا في أيام سليمان أو في يومنا هذا.

" ١٠اسمعْ يا ابني وَاقْبَلْ أَقْوَالِي فَتَكْثُرَ سِنُوحَيَاتِكَ. ١١أَرَيْتُكَ طَرِيقَ الْحِكْمَةِ. هَدَيْتُكَ سُبُلَ الاِسْتِقَامَةِ... ١٤لاَ تَدْخُلْ فِي سَبِيلِ الأَشْرَارِ وَلاَ تَسِرْ فِي طَرِيقِ الأَثَمَةِ " هل هناك كلمات أكثر واقعية أو عملية من هذه الكلمات؟ ألسنا جميعا ولا سيما أولئك الذين لا يزالون في ربيع الحياة، ألسنا جميعا بحاجة إلى تحذير من مغبة السير على طريق الأشرار؟ لننبذ عنا إذن ذلك الموقف غير الحميد موقف عدم الثقة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالوالدين ولنبدأ بأن نحترمهم أكثر من أي وقت مضى وأن نقبل كل نصيحة ووصية تعكس فيها الحكمة الإلهية.

و لم يكتف الحكيم بالكلام عن وجوب الإصغاء إلى الوالدين والنتائج الجيدة التي تتأتى عن ذلك بل انه ذهب إلى لب المضوع عندما ناشد ابنه قائلاً " فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاة "

ماذا تعني هذه الكلمات " فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ " ؟ من المعلوم أن القلب اللحمي الكائن في جسد الإنسان هو عضوذوأهمية عظمى وبدون القلب السليم ليست هناك حياة جسدية سليمة أو هنيئة. وعلاوة عن القلب اللحمي أو الجسدى الكائن في كل واحد منا هناك قلب معنوى أو نفسي حسب تعاليم الكتاب وهذا هو القلب الذي أتي الحكيم على ذكره عندما قال احفظ قلبك لأن منه منابع الحياة. ينظر الكتاب إلى مركز سائر القوى والطاقات الفكرية والحياتية في الإنسان كمركز ذى أهمية قصوى ويدعوه أيضاً باسم القلب. فكما أن حياتنا الجسدية تدور على محور القلب هكذا أيضاً حياتنا النفسية والعقلية، حياتنا التي تميزنا عن سائر المخلوقات الأخرى حياتنا كبشر حياة متمركزة في مركز حيوى هام هو القلب المعنوى.

احفظ قلبك لأن منه منابع الحياة! ماذا تعني هذه الكلمات؟ احفظ قلبك! كلمات الحكيم انما تعني بأنه من واجبنا كبشر وخاصة نحن الذين نعد أنفسنا من الجيل الطالع أو الناشيء أن نكون ذوى هدف سليم واحد وهذا هو تمجيد الله في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جميع وشتى وسائر مناطق حياتنا. قلبنا أن كان قلبا سليما وموحدا هو الذي يدفعنا للسير على طريق الله. القلب السليم يجعل من الحياة حياة سائرة على محور محبة الله وخدمته بصورة متفانية. أن كنا نحيا ليس من أجل أنفسنا بل لله ولخدمته في هذه الدنيا المعذبة والمتألمة، فان حياتنا لن تعرف الا سبيلا واحدا ومستقيما وهو سبيل الخير والصلاح. وقد عرف الحكيم حفظ القلب وسلامته بهذه الكلمات " ٢٤انزعْ عَنْكَ الْتِوَاءَ الْفَمِ وَأَبْعِدْ عَنْكَ انْحِرَافَ الشَّفَتَيْنِ. ٢٥لِتَنْظُرْ عَيْنَاكَ إلى قُدَّامِكَ وَأَجْفَانُكَ إلى أَمَامِكَ مُسْتَقِيماً. ٢٦مَهِّدْ سَبِيلَ رِجْلِكَ فَتَثْبُتَ كُلُّ طُرُقِكَ. ٢٧لاَ تَمِلْ يَمْنَةً وَلاَ يَسْرَةً. بَاعِدْ رِجْلَكَ عَنِ الشَّرِّ "

ما أعظم هذا الشيء الذي تكلم عنه الحكيم! كل إنسان مفكر ورزين يود بأن يحصل على سلامة القلب نعم ولكن كيف نحصل علىهذا الكنز العظيم؟ كيف نحفظ قلبنا بهكذا صورة حتى اننا نستفيد من سائر النصائح والارشادات والوصايا التي ترد في الحكمة الإلهية؟ كل إنسان لابد له من أن يقر بأن قوى الشر انما تعبث بحياته وان قلبه عوضا عن أن يكون مركزا سليما وموحدا لنشاطات وأهداف حياته انما هو مسرح لمعارك روحية ونفسية حامية. من ينقذنا من هذا التفتت أو التفسخ القلبي؟

كتاب الله يخبرنا عن نبأ سار للغاية ولاسيما أن كنا قد سألنا السؤال الأخير بصورة جدية. لقد أرسل الله مسيحه إلى عالمنا بمهمة خاصة وفريدة. لقد جاء السيد المسيح لينقذنا من عبودية الشر والمعصية وليهبنا القلب السليم ولكي يشفينا من جميع الأمراض الروحية العالقة بمركز حياتنا النفسية. لقد كفر المسيح عن خطايا الذين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يؤمنون به وهو يطلب منهم اليوم بل الآن بأن يحيوا حياة ملؤها الشكر والحمد، حياة رائدها خدمة الله وبني البشر عن قلب سليم ونـــزيه. ما هو موقفكم من هذا النبـــأ السار أيها الشبان والشابات؟ هل اكتفيتم بالوقوف عليه بصورة سطحية وآنيـــة؟ أم هل أنتم راغبون في اختياره حياتيا ضمن قلوبكم؟ ضعوا ثقتكم الكلية بالمسيح الفادى وعيشوا حياة الحكمة والظفر والفرح الحقيقي.

لموئيل يمدح المرأة الفاضلة

" ١كَلاَمُ لَمُوئِيلَ مَلِكِ مَسَّا. عَلَّمَتْهُ إِيَّاهُ أُمُّهُ : ٢ماذا يا ابني ثُمَّ ماذا يـــا ابـــن رَحِمِي ثُمَّ ماذا يا ابن نُذُوري؟ ٣لاَ تُعْطِ حَيْلَكَ لِلنِّـــسَاءِ وَلاَ طُرُقَـــكَ لِمُهْلِكَـــاتِ الْمُلُوكِ. ٤لَيْسَ لِلْمُلُوكِ يا لَمُوئِيلُ لَيْسَ لِلْمُلُوكِ أن يَـــشْرَبُوا خَمْـــراً وَلاَ لِلْعُظَمَـــاءِ الْمُسْكِرُ. ٥لِئَلاَّ يَشْرَبُوا وَيَنْسُوا الْمَفْرُوضَ وَيُغَيِّرُوا حُجَّةَ كُلِّ بَنِي الْمَذَلَّةِ. ٦أَعْطُـــوا مُسْكِراً لِهَالِكٍ وَخَمْراً لِمُرِّي النَّفْسِ. ٧يَشْرَبُ وَيَنْسَى فَقْرَهُ وَلاَ يَذْكُرُ تَعَبَهُ بَعْدســـؤُ. ٨اِفْتَحْ فَمَكَ لأجل الأَخْرَسِ فِي دَعْوَى كُلِّ يَتِيمٍ. ٩اِفْتَحْ فَمَكَ. اقْضِ بِالْعَدْلِ وَحَـــامِ عَنِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ. ١٠اِمْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. ١١بِهَـــا يَثِقُ قَلْبُ زَوجِهاً فَلاَ يَحْتَاجُ إِلى غَنِيمَةٍ. ١٢تَصْنَعُ لَهُ خَيْراً لاَ شَرّاً كُلَّ أيام حَيَاتِهَـــا. ١٣تَطْلُبُ صُوفاً وَكَتَّاناً وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ. ١٤هِيَ كَسُفُنِ التَّـــاجِرِ. تَجْلِـــبُ طَعَامَهَا مِنْ بَعِيدٍ. ١٥وَتَقُومُ إِذ اللَّيْلُ بَعْدُ وَتُعْطِي أَكْلاً لأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَةً لِفَتَيَاتِهَـــا. ١٦تَتَأَمَّلُ حَقْلاً فَتَأْخُذُهُ وَبِثَمَرِ يَدَيْهَا تَغْرِسُ كَرْماً. ١٧تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَتُـــشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. ١٨تَشْعُرُ أن تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ. ١٩تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلى الْمِغْزَلِ وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ. ٢٠تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلى الْمِـــسْكِينِ.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢١لاَ تَخْشَى عَلَى بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ لأَنَّ كُلَّ أَهْلِ بَيْتِهَا لاَبِسُونَ حُلَلاً. ٢٢تَعْمَلُ لِنَفْسِهَا مُوَشَّيَاتٍ. لِبْسُهَا بُوصٌ وَأُرْجُوانٌ. ٢٣زَوجهاً مَعْرُوفٌ فِي الأَبْوَابِ حِينَ يَجْلِسُ بَيْنَ مَشَايِخِ الأرض. ٢٤تَصْنَعُ قُمْصَاناً وَتَبِيعُهَا وَتَعْرِضُ مَنَاطِقَ عَلَى الْكَنْعَانِيِّ. ٢٥اَلْعِزُّ وَالْبَهَاءُ لِبَاسُهَا وَتَضْحَكُ عَلَى الزَّمَنِ الآتِي. ٢٦تَفْتَحُ فَمَهَا بِالْحِكْمَةِ وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ. ٢٧تُرَاقِبُ طُرُقَ أَهْلِ بَيْتِهَا وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الْكَسَلِ. ٢٨يَقُومُ أولاَدهَا وَيُطَوِّبُونَهَا. زَوجهاً أيضاً فَيَمْدَحُهَا. ٢٩بَنَاتٌ كثيراتٌ عَمِلْنَ فَضْلاً أَمَّا أَنْتِ فَفُقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً. ٣٠اَلْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَةُ الرَّبَّ فَهِيَ تُمْدَحُ. ٣١أَعْطُوهَا مِنْ ثَمَرِ يَدَيْهَا وَلْتَمْدَحْهَا أعمالهَا فِي الأَبْوَابِ "

سفر الأمثال ٣١

تـأمـلات في الحيـاة المـعـاصرة

الجزء ٤

فهرس التأملات

مأساة الإنسان المعاصر

العالم من منظار السينما المعاصرة

إنقاذ العالم

أومن بالله القدير

إيمان العصاة ١

العزلة المعاصرة

إيمان العصاة ٢

الصنمية المعاصرة في عالمنا الفكري

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حاجة الإنسان المعاصر الاستسلام لصنمية القرن العشرين

أخلاق بدون معتقدات دينية بعض أصنام القرن العشرين

الإنهيار الأخلاقي رسالة النبي هوشع

مأساة الإنسان المعاصر

مسكين هو إنسان اليوم! فمن جهة انه أغنى إنسان عرفه التاريخ. فهو يعيش ضمن عالم ألكتروني كثرت فيه وسائط المخابرات والاتصالات، فهو يستطيع أن يتكلم مع غزاة القمر وكأنهم على سطح الأرض. صار يطير بسرعة الصوت وينتقل من قارة إلى قارة وكأنه على بساط الريح.

ان برد جو ه فهو يقدر أن يدفىء محيطه ليعيش بكل راحة، وان ارتفعت درجة الحرارة فإنه يلجأ إلى مكيفات الهواء التي تحول الجو المحيط به إلى مناخ الجبال المنعش. من يستطيع أن يعدد في برهة من الزمن جميع امكانات الإنسان المعاصر؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مسكين هو إنسان اليوم! فمن جهة انه أغنى إنسان عرفه التاريخ، ولكن من جهة أخرى انه إنسان حائر، تائه، لا يعرف من هو ولا إلى أين يسير. صار الإنسان يعد نفسه مغتربا ولو لم يترك مسقط رأسه وما أكثر المفردات التي يلجأ اليها في وصف هجرته الروحية! انه لا يعرف السلام مع محيطه وهو يحلم بخلق كل شيء من جديد لعله ينجح في اكتشاف السعادة المنشودة.

لم أقدر الامتناع عن التفكير بما تقدم بعد انتهائي من مطالعة مقال كتب منذ مدة غير بعيدة بخصوص وفاة أحد الكتاب الروائيين العالميين. فقد ذكر صاحب المقال (الذي ظهر في مجلة أسبوعية عربية). بأن أحد الفلاسفة المعاصرين أنكر على الكاتب الروائي الراحل مقدرته الفنية وذلك لأن الكاتب المذكور كان حتى يوم وفاته من المؤمنين بالله ومن الذين لم يستحوا بإيمانهم هذا بل جاهروا به وسمحوا له بأن يكون قائدهم ودليلهم في جميع منتجاتهم الأدبية والفنية. وقد علق صاحب المقال على الفيلسوف المعاصر الذي كان قد صرح بأن الراحل لم يكن فنانا، كتب صاحب المقال ما يلي :

" ربما، إذا كان الفن هو تلك المهارة في افراغ الكون من الحياة حتى تحويله إلى صحراء واعادة خلق الكائنات عليه وايهامنا بتحريرها من كل استعباد مسبق وتركها تصنع صيرورتها بحرية مطلقة. (من الدستور ملحق النهار ٦ ايلول ١٩٧٠)..

تظهر مأساة الإنسان المعاصر – الإنسان الذي ترك جذوره القديمة والذي يحاول بعزم شديد بناء عالم جديد بدون الله – تظهر مأساة إنسان اليوم في الغاء معنى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحياة وتحطيم القيم الروحية، الأخلاقية ومن ثم اعادة بناء كل شيء من جديد على أساس الحرية المطلقة، وكأن الحرية المطلقة قابلة للازدهار في كون صحرأوى محض!

وقد انجذب العديدون من الناس ولاسيما من ابناء الجيل الطالع، لقد انجذبوا إلى هذه الفلسفة البراقة التي امتازت ببيع منتجاتها الفكرية بطرق جذابة نظرا لتجسيم فلسفتها في مؤلفات عديدة. ومن المعلوم بأن الجيل الطالع يعيش اليوم تحت ضغط فكري قوى وهو أيضاً سريع الانتقاد فيما يتعلق بمبادىء وتناقضات الماضي وأهل الجيل القديم. ولابد من الاعتراف بأن الماضي لم يكن خاليا من المسأوىء والأمور المحزنة والمرء لا يحتاج إلى ذكاء حاد ليستطيع الاشارة إلى عدة نواحي من الحياة التي كانت بعيدة كل البعد عن العدالة والحرية الحقيقية. ومع اقرارنا بعدم كمال الماضي والعهود السالفة الا اننا لا نكون سائرين على الطريق المستقيم أن مشينا وراء دعاة " إفراغ الكون من الحياة " وتحويله إلى صحراء واعادة خلق الكائنات عليه وايهامنا بتحريرها من كل استعباد مسبق وتركها تصنع صيرورتها بحرية مطلقة"

ولماذا نقول ذلك؟ ألعلنا نجعل من أنفسنا أنداد الطليعيين من فلاسفة وأنبياء العصر الحاضر؟ ألعلنا نقوم بذلك بدون مسبب؟ ألعلنا نود أن نكون سلبيين أو رجعيين أو متحجرين؟ كلا! ليست رغبتنا مدفوعه من قبل أية عوامل سلبية رجعية متحجرة، بل أننا نتخذ موقفنا الانتقادى هذا – أي تجاه سائر الفسلفات الدهرية – لاننا نود أن نبقى أمناء على إيماننا بالله، لا أكثر ولا أقل. نحن نؤمن بالله. وهذا يعني أننا لا نردد هذه العبارة : نحن نؤمن بالله – ككليشه فارغة ولا كتعويذة سحرية، بل نعي ما نقوله ونعلم بأن لذلك علاقة ارتباطية بسائر نواحي وآفاق وحقول المعارف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

البشرية. نحن نؤمن بالله الخالق المسيطر على كل ما في الوجود والمشرع المطلق لكل المخلوقات بشرية كانت أم لا.

ولابد لنا من القول بناء على إيماننا بالله وبوحيه المقدس أن تشدق الإنسان المعاصر بأنه يرغب في خلق كل شيء من جديد ومنح الإنسان الصلاحية لصنع صيرورته بحرية مطلقة، أن ذلك لدليل كبير على وجود خلل جذرى في حياة الإنسان. فكل إنكار لله انما يشير إلى وجود ثورة على الله وهذه الثورة ابتدأت منذ فجر التاريخ ولا تزال نيرانها مستعرة حتى يومنا هذا. وقد ظهرت ثورة الإنسان القديم على أبشعها في عبادة أصنام متعددة الأشكال والألوان، وصنمية العالم القديم كانت صنمية ظاهرية صريحة. لكن الإنسان المعاصر الذي يظن انه تحرر من كل شيء بفضل فلسفاته الدهرية المتعددة الاشكال والالوان، هذا الإنسان المعاصر هو أيضاً ضمن صنمية من طراز جديد ليست أقل ضلالا من صنميات الماضي. صنمية القرن العشرين قد تكون بدون معابد وكهنة وثنيين وطقوس شهوانية لا أخلاقية، الا انها ليست أقل خطرا من صنميات الماضي! ومن اعتنقها لم يصبح حرا ولا متحررا لأنه لا حرية خارج الإيمان بالله والحياة التي حررها الله.

ما أسهل الكلام، ما أرخص كلام فلاسفة الصنميات الحديثة! أيظن هؤلاء أنهم آلهة عندما يحلمون باعادة خلق الكائنات؟ أيظنوا انهم سيعدو ن بصاف الأبطال الحقيقيين الذين اشتهروا في الماضي وفي الحاضر والذين حرروا أو طانهم من الطغاة والمستعمرين؟ ما أرخص الكلام عن اعطاء كل شخصية بشرية المقدرة على صنع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صيرورتها بحرية مطلقة! يا لها من يوتوبية براقة تلك السماء البشرية التي سيخلقها أنبياء آخر زمان!

ولا يجوز لنا أن ننهي تأملاتنا هذه على هذا المنوال لأننا قلنا بأننا نتكلم من وجهة نظر إيماننا بالله.

الله، الهنا المحب الشفوق، اله الآباء والأجداد واله الابناء والأجيال الآتية، لم يكتف الله بخلق العالم والبشرية وباعطاء شريعته وبكتابتها في صلب الوجود وفي قلب الإنسان! فما أن ثار الإنسان واظهر عصيانه على الخالق عز وجل حتى وضع الله خطته الخلاصية والتحريرية موضع التنفيذ. لقد أرسل الله مسيحه إلى دنيانا هذه ليفدينا من سطوة الشر ومن ظلام الخطية. والله يعطينا بواسطة المسيح المخلص أن نختبر حياة جديدة وحرية حقيقية ضمن اطار قانون الحياة والوجود الذي أو جده. ومتى اختبرنا حياتيا وقلبيا هذا الانعتاق وهذا التحرير فأننا ننقذ تماماً وبصورة نهائية من سائر أحلام وكوابيس أنبياء الدهرية والدنيوية.

إنقاذ العالم

" فهناك شعور عام بأن التاريخ كله، لم يعرف في أية مرحلة من مراحله هذه الرغبة الجنونية التي تتآكلنا هذه الأيام، في عصيان كل شيء ورفض كل شيء من أجل : إنقاذ عالمنا "

هذه كلمات طالعتها منذ مدة في احدى المجلات والتي حاول بواسطتها الكاتب أن يصف عالمنا هذا من الناحية الفكرية أو الايديولوجية. ورغبتي اليوم هي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التأمل في معاني هذه الكلمات ومحاولة فهم الدوافع العديدة التي تحدو بالعديدين من معاصرينا للوقوف بذلك الموقف ثم رؤية علاقة ذلك بموضوع : إنقاذ عالمنا. قبل كل شيء نلاحظ أن التاريخ المعاصر مع ارتباطه بالماضي من عدة نواحي الا انه يشكل طورا جديدا أو حقبة جديدة من التاريخ البشرى. وهذا يعود إلى أن عالمنا اليوم هو وريث اختراعات لم تعرف من قبل والتي يمكننا بواسطتها انهاء الحياة على الأرض. ثم أضف إلى ذلك أن عدد سكان الأرض صار ثلاثة ونصف مليارات وأنه سيتضاعف في مدة تقارب من الثلاثين سنة، وإذ ذاك تكتشف حدة المشكلة البشرية التي يواجهها المفكرون في أيامنا هذه. فالبشرية بأسرها تعيش تحت ضغط فكري ومعنوى لم يعرفا في الماضى!

أما فيما يتعلق بالدوافع التي تحدو بالعديدين من الناس اليوم إلى الرفض والعصيان فاننا نقول بأن ذلك يعود إلى ملاحظة وجود تناقض كبير وهائل بين امكانات الإنسان الكبيرة للخير وإلى عدم تطبيقها في ذلك الاتجاه. فمن ناحية : يعلم كل إنسان أن الاختراعات التي وصلنا اليها اليوم والتي تمكننا من الصعود إلى القمر والهبوط إلى أعماق البحار واكتشاف الكنوز البترولية في الصحري والبحار ومحاربة الأوبئة والأمراض المستعصية — أن هذه الأمور وما يشابهها تصبح كالصفر، كلا شيء عندما نلاحظ أن الإنسان المعاصر يبذر أمواله في حقول الدماء والهلاك. أضف إلى ذلك أن قرننا هذا، قرن النور والإشعاع، اختبر حدوث مظالم واضطهادات قلما عرفت في الماضي، لا بمعنى أن الماضي لم يشتهر بالمظالم والاضطهادات، الا أن حدوث هذه المظالم وهضم حقوق الناس المشروعة — كل هذه الأمور المؤلمة تجرى في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عالم يتشدق فيه العديدون عن وجود الحرية والعدل والاستقامة أكثر من أي جيل مضى! وإذ يرى الكثيرون من ابناء الجيل الطالع – هذا الجيل الذي يكره الرياء والنفاق بصورة هائلة – هذه التناقضات المجسمة في مظالم وعدوانات بشعة للغاية، تعتريهم موجة هائلة من النقمة وتجتاحهم رغبة جنونية في رفض كل شيء والانتقاض على كل شيء، ولسان حالهم هو : الوقت قصير وأرضنا سائرة نحو الخراب والدمار وصبرنا قد نفذ! نرفض كل شيء، من أجل إنقاذ عالمنا!

من أجل إنقاذ عالمنا! يا لها من غاية نبيلة، إنقاذ عالمنا من المساوىء والتناقضات والأوضاع الغير سليمة! من يجرأ على الوقوف في وجه من كرس نفسه وحياته في سبيل إنقاذ عالمنا المائت؟!

ولئلا يخال قراءنا وقارئاتنا بأننا نقف موقف السلبية تجاه ما ذكرناه آنفا نسرع إلى القول بأن الكثير من التحليل المعاصر لمسأوىء الحياة وتناقضاتها لهو جدير بكل فحص وتمحيص. وكذلك نحن نشعر بقصر الوقت وبأنه قد حان الوقت لمواجهة الحقائق كما هي وعدم التهرب منها. فعالمنا الذي يشكو من مشاكل جذرية لهو بحاجة ماسة إلى علاج جذري وحاسم. نصرح بهذه الأمور لئلا يساء فهم عدم ارتياحنا لهذه الرغبة الجنونية التي – حسب كاتب المقال – تتآكلنا في هذه الأيام، في عصيان كل شيء ورفض كل شيء من أجل إنقاذ عالمنا "

نعم، اننا لسنا مرتاحين لذلك ولماذا؟ لأننا عندما نشاهد كل هذه الأمور التي تقض مضجع الناس وعندما تتوق أنفسنا لايجاد حلول لمشاكلنا المستعصية ذات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الابعاد العالمية، علينا ألا نرتكب الخطأ الفادح فننظر إلى أنفسنا وكأننا من جبلة بشرية تختلف جذريا ومبدئيا عن الجبلة البشرية التي عاشت قبلنا على سطح هذه الكرة الأرضية. مشاكل الحياة كبيرة وهائلة : طبعا، الوقت قصير جدا : هذا صحيح. ولكن الإنسان أن كان إنسان الماضي أو إنسان اليوم – لم يتغير داخليا أو باطنيا، ولذلك نطرح هذا السؤال المصيرى : ما هو الضمان الذي يعطينا اياه العصاة والرافضون – بأنهم بعدما رفضوا كل شيء وعصوا على كل شيء – بأنهم سيتمكنون بالفعل من إنقاذ عالمنا؟

هذا لا يعني اننا ننكر وجود العزيمة الصادقة لدى هؤلاء الرافضين، اننا لا نقول بأن هدفهم هو غير نبيل! ما ننكره هو امكانية إنقاذ العالم – وخاصة عالم اليوم المكتظ بالشرور والمظالم والمسأوىء والمتناقضات – ننكر امكانية إنقاذ عالم اليوم بوسائل بشرية محضة.

ولابد لنا من الملاحظة بهذا الصدد أن الرفض المعاصر والعصيان المعاصر يصحبهما في أغلب الاحيان إنكار تام وجذرى لله أولاًية علاقة إلهية بعالمنا هذا.

وبكلمة أخرى تجرى محاولة إنقاذ عالمنا اليوم ليس فقط بدون اللجوء إلى الله تعالى بل من وجهة نظر لا دينية أو ضد دينية.

ونحن لا نقلل مطلقا من أهمية موضوع إنقاذ عالمنا ولكننا نقول للرافضين وللعاصاة ولسائر الذين سئموا من تفاهة الإنسان المعاصر ومن سطحيته وقشريته وتناقضاته، نقول : أن محاولتكم لإنقاذ العالم بدون الله ستنتهي بالفشل الذريع. لا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تنسوا أن عالمنا اليوم يتخبط في أزمة روحية شديدة لأن الإنسان لا يعبأ بالله ولا بأمور الله. وإذكروا جيدا بأن الله قد عمل لنا خلاصا جبارا وإنقاذا حاسما عندما أرسل مسيحه إلى دنيانا هذه. فمهمة المسيح الخاصة كانت مهمة إنقاذية وخلاصية وتحريرية وفدائية وقد أتمها له المجد بكل شجاعة واخلاص عندما مات عنا على صليب خشبي خارج مدينة القدس في فلسطين. وقد أظهر المسيح المخلص انتصاره الباهر على سائر قوى الشر والظلام بقيامته المجيدة من الأموات وها انه يدعونا اليوم للكف عن محاولة إنقاذ عالمنا بجهودنا الخاصة ولقبول برنامجه الفعال لإنقاذ البشرية ولبناء عالم جديد حيث يعم فيه السلام والوئام!

إيمان العصاة -١-

يقول البعض أن هذه الأيام ليست بأيام الإيمان، انها أيام العلم والعمل والجهاد في سبيل بناء عالم جديد. ماذا يعنون عندما يقولون بأن هذه الأيام ليست بأيام الإيمان؟ عندما يقولون بأن هذه الأيام ليست بأيام الإيمان فان الناس يعنون الإيمان الديني أي الإيمان بالله عز وجل وبوحيه وبعالم ما فوق الطبيعة. ولكن عندما يخسر أناس إيمانهم الديني فأن ذلك لا يعني انهم يعيشون بدون إيمان، هذا مستحيل لأن الإنسان هو كائن يحيا بالإيمان ولكن موضوع إيمانه قد يكون مختلفا عن موضوع إيمان غير من البشر. ولكنه من المستحيل أن يحيا الإنسان بدون إيمان بشيء أعلى منه أو أهم منه. ليس هناك من بشرى الا ويحيا بمقتضى إيمان سمه ما شئت!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فإيمان العصاة أي أولئك الذين يرفضون كل شيء ويثورون على كل شيء في سبيل إنقاذ العالم إيمان هؤلاء هو إيمان لا ديني. ماذا نعني بالإيمان اللا ديني؟ انه ذلك المعتقد بعالم مغلق أو بعالم ذى بعد واحد هو البعد الزمني / المادى ورفض كل معتقد باله سام ومتفوق وخالق ومبدع لكل ما في الوجود. أن ما يثور عليه الرافضون في هذه الأيام انما هو الإيمان بالله وعلاقة ذلك بحياة الإنسان، أو بكلمة اخرى يثور الرافضون على الدين ولكنهم لا يرفضون الشعور الديني. انهم يفرقون بين الدين والشعور الديني إذ يرفضون الأول ويبقون علىالثاني أو على الاقل يسمحون بوجوده.

وإذ ما سألنا رافضي اليوم – أي الرافضين لأمور الله والدين – على أي أساس تبنون موقفكم هذا وما هي القناعات التي توصلتم اليها حتى انكم رفضتم التراث الديني فان جو ابهم يكون : أن وجهة نظرنا (أي وجهة نظر أصحاب الإيمان اللا ديني). هي : موضوعية – علمية وموحدة للشخصية البشرية.

أما القول بأن وجهة نظر أصحاب الإيمان اللا ديني هي وجهة نظر موضوعية فان ذلك امر لا يمكن برهانه. وبالمناسبة أن معنى كلمة موضوعية انما هو : حقيقية أو ذات أساس خارج عن نطاق الإنسان المفكر أو وجود لا مناص من الاقرار به. نعود إلى القول بأن الادعاء بأن النظرة اللا دينية للحياة هي نظرة موضوعية بينما النظرة الدينية هي غير موضوعية، أن ذلك الادعاء لا يمكن برهانه. كل ما في الأمر انما هو اقتناع باطني لصاحب الإيمان اللا ديني بأن محتويات إيمانه هي موضوعية بينما محتويات إيمان المؤمن بالله تبقى باطنية محضة!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وكذلك القول بأن وجهة نظر صاحب الإيمان اللا ديني انما هي وجهة نظر علمية لأمر لا يمكن برهانه. وماذا نعني بالعلم هنا؟ أنعني العلوم الرياضية أو الفيزيائية أو الطبيعية؟ هذه العلوم لا يمكن تجاهلها ولكنها ليست بكل العلوم التي توجد ضمن حقل المعارف البشرية. فلماذا تطلى وجهة نظر المؤمن اللا ديني بصبغة علمية بينما ينظر إلى وجهة نظر المؤمن بالله وكأنه يلتصق بعقيدة لا علمية بدائية خرافية؟ على أي أساس يجرى هذا التفريق؟ وهل يمكن وضع معتقد ما في أنبوبة المختبر وفحصه مثلما نفحص مادة كيميائية؟ هل هناك أسلوب علمي واحد ضمن دائرة المعارف البشرية؟

أما القول بأن وجهة نظر الإيمان اللا ديني انما هي وجهة نظر موحدة للشخصية البشرية فان ذلك يكون صحيحا إلى حد ما. فالإنسان يعيش اليوم ضمن حضارة عالمية طغت عليها صبغة لا دينية ملحدة ومن كان قد عاش وتربى ضمن بيئة دينية مؤمنة بالله وبوحيه المقدس يجد نفسه عائشا ضمن حرب روحية نفسية حامية الوطيس.

فإنه من جهة يؤمن بالله وبعالم هو خليقة لله ومن جهة أخرى تردد في إذنه حضارة القسم الأخير من القرن العشرين بنود إيمانها الإلحادى. حياة هكذا إنسان انما هي حياة ذات صبغة ازدواجية مقلقة وهي مزعجة للغاية. ولكن أن تخلص هذا الإنسان من معتقده الديني واستسلم استسلاما تاما لصنمية القرن العشرين فان شخصيته تكون قد توحدت، نعم توحدت لكن على حساب الحق والحقيقة!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فلابد لنا إذن من وصف موقف الرافضين في هذه الأيام انهم انما يبدأون من وجهات نظر غير قابلة للبرهان أو الفحص وهي تدعى بالافتراضات السابقة.

وكل افتراضات سابقة هي غير علمية وهي باطنية بمعنى انها تنبع من قلب الإنسان أو من صلب وجوده. وإذا كانت هذه الافتراضات السابقة ذات صبغة لادينية أو بالاحري ضد دينية أو ضد الله فإنها تكون صنمية ولوكانت معبوداتها غير ظاهرة كصنميات العصور السالفة. والبناء الفكري أو الايديولوجي الذي تبنيه هذه الصنمية ابتداء من افتراضاتها السابقة، هذا البناء قد يظهر جميلا ومنسقا وعلميا وموضوعيا ولكنه في الحقيقة مبني على أساس واه!

وهكذا علينا أن نضع النقاط على الحروف وان نقول لعصاة اليوم وللرافضين الذين اعتنقوا الدهرية والإلحادية بان إيمانهم هو لاعلمي وهو من الناحية النفسية (السيكولوجية). يتطلب استسلاما مساويا للاستسلام الذي يتطلبه الإيمان بالله الخالق. والمؤمن بالله لا يصبح أقل تعلقا بالموضوعية بسبب إيمانه أو معتقده، والملحد المعاصر ليس أكثر موضوعية نظرا لإيمانه أو معتقده بالمادة المجردة الخلاقة والازلية.

ونحن إذ نصرح بما سبق لا نود أن نظهر بمظهر التصلف والكبرياء والعجرفة، بل على العكس انما نتوسل إلى الله خالقنا بأن يساعدنا على التسلح بالتواضع والمحبة والتسامح وان يرشدنا لكي نساعد اقرباءنا بني البشر الذين يجدون انفسهم عائشين في عالم اللا معنى والقنوط، للوصول إلى النور الوضاح ذلك النور الذي بزغ بصورة ساطعة عندما وفد دنيانا هذه مسيح الله. نعم لقد جاء كلمة الله بمهمة سماوية فريدة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ألا وهي إنقاذ وفداء الإنسان من سائر أنواع الصنميات التي تؤله أبعادا معينة من الحقيقة وتنسى أن العبادة الوحيدة المقبولة انما هي عبادة الله الواحد القدوس صانع كل ما في الوجود. ولقد أتم السيد المسيح مهمته الخلاصية هذه بخوض معركة شديدة ضد سائر قوى الشر والهلاك وقد كلفته حياته النقية إذ مات عنا على خشبة الصليب بالقرب من مدينة القدس في فلسطين. ولكنه لم يبق تحت سلطة الموت بل قام من الأموات وطلب من سائر المؤمنين به بأن ينادوا بيوم الخلاص والحرية. الإيمان بالمسيح المخلص هو الدواء الوحيد لشفائنا اليوم من أسقام حضارة القسم الأخير من القرن العشرين.

إيمان العصاة -٢-

ذكرنا في بحثنا السابق بأن البعض يقولون أن هذه الأيام ليست بأيام الإيمان بل انها أيام العلم والعمل والجهاد في سبيل بناء عالم جديد. وقلنا بأن الذين اعتنقوا هذه الفكرة أو هذه الايديولوجية يقولون بأن نظرتهم هي علمية وموضوعية وموحدة للشخصية البشرية. وهكذا فإنهم يحكمون على الإيمان الديني أو على ما يحتويه الإيمان الديني بأنه غير موضوعي وغير علمي وغير موحد للشخصية البشرية.

قبل كل شيء نود أن نذكر اليوم في بحثنا هذا بأن إيمان أو معتقد العصاة أو الرافضين لا يمكن أن يكون علميا بحسب مفهومنا العصرى والحديث لماهية العلم. أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إيمان العصاة هو لا علمي بمعنى انه يتطلب الاستسلام التام لمبادئه الأولية وكأنها بديهيات منزهة عن الخطأ. إيمان عصاة اليوم هو إيمان يبدأ من افتراضات سابقة : غير قابلة للبرهان في مخبر علمي على حسب الطريقة المتبعة في العلوم الطبيعية. ولذلك يمكننا الاستنتاج بأن الإيمان اللا ديني هو إيمان وان تستر بلباس العلم والموضوعية والعصرية.

ولابد لنا من الاشارة هنا إلى أن هذا المظهر المؤسف الذي نشاهده اليوم في عالمنا أي تلك الموجة العارمة من الرفض والانتقاض على الماضي وعلى التراث الديني يمكن تفسيره كما يلي :

١. لقد مال الإنسان منذ القديم نحو الصنمية أي أن الإنسان حاول منذ العصور القديمة بأن يفسر كل ما في الوجود باللجوء إلى تأليه بعض أبعاد الوجود فاله قوى الطبيعة أو الأجرام السماوية أو الحيوانات أو الإنسان ناسبا إلى هذه صفات المطلق. وهكذا فان ثورة الإنسان المعاصر على الوحي الإلهي وعلى الله الخالق، هذه الثورة ليست بأمر لم يحدث مثله في الماضي. ومع تشدق الرافضين والعصاة بأنهم لم يأتوا الا بأمور موضوعية أو علمية الا أنهم بالفعل قد جاؤوا بصنمية جديدة نسبت اليها صفات المطلق أي أن أفكارهم ونظرياتهم قد ألهت ولذلك ندعوها بصنمية القرن العشرين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢. لابد لنا من الاعتراف أن العديدين من الذين يقولون عن انفسهم بأنهم يؤمنون بالله الخالق السرمدي لم يطبقوا إيمانهم في الحياة اليومية التي يحياها الإنسان بل نظروا إلى إيمانهم الديني وكأنه عبارة عن جو از سفر أو تأشيرة دخول إلى السماء أو النعيم. وبعبارة أخرى حدث طلاق فكري وحياتي بين المعتقد الديني والحياة اليومية التي يحياها الإنسان. وما أشرنا اليه حدث بصورة خاصة منذ الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر فهذه الثورة الصناعية فاجأت الإنسان المتدين والذي كان لا يحيا بمقتضى مطاليب إيمانه الديني فاجأته وسط حياته الازدواجية التي كان يحياها وهكذا أتت إلى الوجود أمور عديدة مؤسفة ومحزنة وبشعة للغاية مثل التناقضات والمسأوىء والاحتكارات والاستغلال والاستعمار للشعوب التي كانت قد ضعفت بسبب عدة عوامل تاريخية لا نستطيع الاشارة اليها اليوم نظرا لضيق الوقت. وبكلمة أخرى نقول أن صاحب الإيمان بالله الخالق وبالوحي الذي أعطانا اياه الله لهوتحت مسؤولية ضخمة وهائلة في أيامنا هذه : عليه الا يكتفي بالكلام عن معتقده وإيمانه، عليه أن يطبق إيمانه في معترك الحياة اليومية. وهو أن لم يحيا إيمانه يكون جزءا من المعضلة العالمية التي نراها اليوم عوضا عن أن يكون من المساهمين على حل المعضلة العالمية.

٣. والسبب الثالث لما نشاهده اليوم من موجة هائلة من الرفض والعصيان يعود إلى تفوق أنبياء الصنميات المعاصرة في نشر " دينهم الجديد " أو ايديولوجيتهم الجديدة ولمهارتهم في تسخير سائر وسائل النشر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التي لم تكن معروفة في الماضي. فبينما كانت الافكار تأخذ عدة سنين للانتشار في أيام الماضي الا انها صارت تنتشر بسرعة هائلة في أيامنا هذه أيام الكتب والمنشورات والإذاعة والسفر من قارة إلى أخرى والذهاب إلى أقصى الأرض في طلب العلم وفي الحصول على المهارات التقنية اللازمة لحضارة اليوم.

ماذا يقدر أن يقوم به المؤمن بالله في يومنا هذا؟ هل يستطيع أن يتجاهل الجو الفكري المحيط به؟ هل يستطيع أن يعيش في صومعة روحية؟ هل عليه الاستقالة من مسؤوليته كمواطن القرن العشرين؟

الجواب على هذه الأسئلة وما يشابهها هو كلا! من المستحيل أن يكون المؤمن أمينا على إيمانه بالله وأن يستقيل من مسؤولياته تجاه عالم اليوم. عندما يلم المؤمن بحقيقة الأزمة العالمية الفكرية التي يمر بها مواطنوا القسم الأخير من القرن العشرين لابد له من القول لنفسه ولغيره من الذين يقولون بأنهم مؤمنون : على عدم الاكتفاء بإيمان وراثي محض، علي أن أسأل نفسي فيما إذا كان إيماني حيا! هل أنا بالحقيقة أؤمن بمحتويات إيماني؟ هل أعد حياتي بأنها تحت سيطرة الله وانني مسؤول عن الطريقة التي أحيا بها وعن معاملتي لأقراني بني البشر.

وهذا الإيمان الحي وتأثيره الفعال في حياة الإنسان ممكن اختباره اليوم عندما ننظر إلى السيد المسيح المخلص ممكن اختباره اليوم ونتوجه كسيد حياتنا المطلق. فبإيماننا بالله كما كشف لنا ذاته في السيد المسيح يدخل إلى حياتنا قوة فدائية تحريرية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

خلاصية. وإذ ذاك فاننا نبدأ بالعيش على اساس منطق ذلك الإيمان الحي والديناميكي، الإيمان الذي يساعدنا على العمل بكل جدية بمطاليب كلمة الله ومهما كانت كلفة ذلك كبيرة. وكلمة الله هذه تخبرنا بأننا لا نستطيع الكلام عن أمور الله والآخرة وحياة النعيم وعذابات الجحيم وغير ذلك من أمور ما فوق الطبيعة بدون أن نعير اهتماماً مماثلا وجديا لأمور دنيانا هذه والحياة التي نحياها وسط أيام القسم الأخير من القرن العشرين. هذه الحياة مهمة للغاية ومشاكلها مشاكلنا ونحن لا يجوز لنا التهرب منها مطلقا. ومع اننا لا نستطيع أن نقبل حلول العصاة والرافضين تلك الحلول التي ترفض كل شيء وتثور على كل شيء من أجل إنقاذ عالمنا، الا اننا لا نود أن نكون كمؤمنين أقل التزاما أو اهتماماً منهم. أزمة اليوم تتطلب منا العمل والجهاد في سبيل الله ومن أجل خير سائر أفراد البشرية!

حاجة الإنسان المعاصر

الإنسان المعاصر مريض. لقد أضحت حياته عبارة عن مشكلة صعبة الحل وما أكثر الأطباء الذين انبروا لمعالجة الإنسان المعاصر المريض!

وقد كتب أحدهم منذ مدة قصيرة " ان الإنسان المعاصر في حاجة ماسة إلى نظرة جديدة في الإنسان وفي التاريخ، تتخطى آفاق التاريخ القديم " وهذا يعني أن نظرة الإنسان القديمة في الإنسان وفي التاريخ لم تعد صالحة لعالم اليوم، لعالم الثلث الأخير من قرن النور والإشعاع.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولابد لنا من الاشارة في بادىء الأمر إلى بروز عدة ظروف جديدة تحيط بحياة الإنسان المعاصر وان هذه الظروف تزيد من حدة أزمته أو مرضه أو مشكلته. وها اننا نورد ذكرها بصورة سريعة قبل الشروع في الكلام عن حاجة الإنسان المعاصر أو النظرة التي يجب عليه أن يتخذها تجاه ذاته وتاريخه.

عالمنا اليوم مكتظ بالسكان أكثر من أي عصر مضى. يقدر البعض بأن سكان العالم كان في أيام السيد المسيح نحو مئتين وخمسين مليون نسمة. أما اليوم فان عدد سكان الأرض قد قارب الثلاثة مليارات ونصف أي ما يعادل أربعة عشر ضعف ما كان عليه منذ ألفي سنة. كثرة السكان هي إذن عامل جديد من عوامل الحياة المعاصرة.

عالمنا اليوم قد اختبر سرعة المواصلات بشكل لم يعرف في الماضي. حتى في مطلع هذا القرن لم يكن الإنسان يسافر بسرعة تكثر أو تزيد على الخمسين كيلومتر في الساعة. أما اليوم فان طائرات الركاب النفاثة تسير بسرعة ألف كيلومتر في الساعة وهناك طائرات تطير فوق سرعة الصوت! في مطلع هذا القرن لم يكن عالمنا متقاربا بواسطة محطات إذاعية ولم يكن بالامكان إذاعة أحاديث أو أخبار أو موسيقى من مكان واحد إلى ألوف من الناس.

عالمنا اليوم عمت فيه الثقافة أكثر من أي عصر مضى. ما أكثر الذين صار بوسعهم القراءة والكتابة ليس فقط في لغتهم الأصلية بل أيضاً بلغة أو لغات أجنبية! هذا عامل جديد وهام للغاية في عالم اليوم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونورد أخيرا ذكر تعدد النظريات الحياتية والايديولوجيات التي تعد الناس بإمكانيتها على حل مشاكلهم وعلى تقريب موعد نشؤ نعيم أرضي يعم فيه السلام والوئام. ونظرا لسرعة المواصلات ولانتشار الثقافة فان هذه النظريات انتشرت بسرعة لم تكن معروفة في أيام الماضي.

وهنا لابد لنا من القول بعد سردنا للظروف الجديدة المحيطة بإنسان اليوم أو بالأحري لبعض هذه الظروف المشكلة لعوامل جديدة في حياة إنسان اليوم، أن الإنسان لا يزال كائنا يشابه جذريا وأساسيا إنسان الماضي، وأوجه الشبه هذه هي قوية وملازمة لأي إنسان أينما كان ومهما كانت ظروفه الحياتية. ولذلك يجب علينا ألا نتجاهل هذه العوامل الدائمة والمصاحبة لحياة الإنسان أو لتكوينه، لئلا نعطي أهمية أكثر من اللا زم للعوامل الجديدة المؤثرة على حياة الإنسان في أيامنا هذه.

وهنا نأتي على سرد بعض الأمور الهامة الملازمة دائما للشخصية البشرية والتي لا تتغير من جيل إلى آخر.

أولاً : الإنسان مخلوق أو كائن يبحث عن معنى لحياته خارج ذاته أو نفسه. مهما كان الإنسان أو مهما تنوعت ظروفه الحياتية، يبقى كائنا أو مخلوقا دينيا بمعنى انه يتوق إلى سكب حياته في سبيل هدف أعلى ذى صفة مطلقة. فهو يؤمن بالله الواحد الحقيقي أو بآلهة متعددة من طراز قديم أو بآلهة أو صنميات عصرية. من المستحيل للإنسان أن يحيا في عالم لا يزيد عن حجم ذاتيته الصغيرة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ثانيا : يتمتع الإنسان، أن كان إنسان التاريخ القديم أو التاريخ المعاصر بصفات ومزايا نبيلة وخلاقة وها أن التراث الحضارى الضخم الذي يشاهد في جميع أنحاء المعمورة وكذلك منجزات إنسان القرن العشرين، جميع هذه تدل على أن الإنسان كائن مدهش وبديع.

ثالثاً : في الإنسان نزعة شريرة مخيفة وعالم التاريخ القديم وعالم اليوم يشهدان على ذلك فالإنسان ليس إذن بمخلوق أو كائن نبيل وخلاق وحسب بل انه شرير ومخيف للغاية! وامكانية الإنسان في حقل الشر هي هائلة في أيامنا هذه حتى انه من الصعب تصورها. ما أكثر المؤلفات والروايات والأفلام السنمائية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية والتي جعلت مواضيعها الشر الكامن في قلب الإنسان!

نعود الآن إلىالتأمل في ما اقتبسناه في بادىء هذا البحث : أن الإنسان المعاصر في حاجة ماسة إلى نظرة جديدة في الإنسان والتاريخ تتخطى آفاق التاريخ القديم! أن كنا نعني انه علينا أخذ العوامل الجديدة المكونة لحضارة اليوم بعين الاعتبار كازدياد عدد سكان الأرض وسرعة المواصلات وشمول الثقافة وتعدد النظريات الحياتية المتنافسة، وانه من واجبنا تعريف حاجة الإنسان اليوم وهو الإنسان المريض والمعذب، فإنه بالامكان القول آنئذ بأننا في حاجة إلى نظرة جديدة في الإنسان وفي التاريخ.

ولكن أن كنا قد أتينا على ذكر الحاجة إلى نظرة جديدة في الإنسان والتاريخ نظرة تتجاهل تكوين الإنسان الأساسي أي كونه مخلوقا دينيا ومتمتعا في نفس الوقت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بصفات حميدة وبميول شريرة للغاية فاننا لا نكون قد اقتربنا بطلقا من ايجاد حل نافع لحالة الإنسان المعاصر المحزنة والتعيسة. عالمنا اليوم ليس بحاجة إلى أية نظرية رومانطيفية للإنسان، نحن لا نستطيع أن نقبل أية نظرة تفاؤلية في الإنسان لأننا قد شاهدنا في عصرنا هذا أبشع أنواع الظلم والطغيان والقتل الجماعي. مجرى التاريخ لا يخلص لا الإنسان ولا الحياة البشرية بل انه يظهر في كثير من الأحيان وكأنه سيل عارم يطغوعلى كل شيء ويجر كل شيء إلى محيط اليأس واللا معنى.

نعم هناك عدة عوامل جديدة يجب عدم التعامي عنها ونحن نبحث عن حاجة الإنسان المعاصر ولكننا لن نكون من الناجحين ولا من العاملين على شفاء الإنسان من أمراضه المعاصرة أن نسينا الله وبرنامجه الفعال لإنقاذ الإنسان. وهذا البرنامج الخلاصي أتمه المسيح ضمن عالمنا هذا عندما حل مشكلة الإنسان الجذرية أي مشكلة الشر العالق بصميم الحياة البشرية وذلك بموته الكفاري على الصليب وبقيامته الجبارة من الأموات. حاجة الإنسان المعاصر كما كانت حاجة الإنسان القديم هي قبول دواء الله الفعال المقدم مجانا في المسيح المخلص.

أخلاق بدون معتقدات دينية

عالم اليوم هو مخيف ولا حاجتنا إلى برهان ذلك لأننا نسمع كل يوم عن مظاهر مقلقة ومخيفة للغاية. الفوضى منتشرة وكذلك الرفض والابتعاد عن التراث الديني. وقد كتب أحدهم في مجلة أسبوعية " هناك موجة الردة على الماضي التي تغزوالعالم المتمثلة في الجنس والمخدرات والتظاهرات والثورات الطالبية وشيوع مذاهب اللاانتماء وغيرها والنزوع إلى الحياة البدائية " تجاه هكذا ظاهرة مخيفة في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عالم اليوم، ما العمل؟ كيف يمكننا أن نحافظ على قدر ضروري من النظام والوئام لكي تستطيع البشرية أن تيحا بدون خوف؟

هناك عدة حلول تعرض علينا في أيامنا هذه. فقوم يقولون لنا : ليس هناك حل لجميع مشاكلنا سوى الحل العلمي. وماذا يعنون بالحل العلمي؟ مفهومهم للحل العلمي انما هو في تطبيق العلوم الطبيعية في الحياة أو اللجوء إلى ما يسمى بالتقنية أو التكنولوجيا لحل جميع ما نجابهه من مشاكل فردية كانت أم اجتماعية أم عالمية. ولابد لنا من الاقرار بأن التقنية قد أتت بمكاسب عديدة لدنيانا هذه. أفلسنا جميعا مستفيدين من الاختراعات التي تتلاشى بواسطتها المسافات بين القارات؟ أين هو الإنسان الذي لم يستعمل علاجا أو دواء أتت به مخترعاتنا المعاصرة؟ نعم ما أكثر وأهم المكاسب التي أتت بها التقنية المعاصرة؟ ولكنها لم تحل و لم تساعدنا على حل المشكلة الإنسانية أو المعضلة البشرية. على العكس صارت المشكلة البشرية أكثر حدة من الماضي. ولماذا؟ لأن الشخصية البشرية لا يمكن أن تعامل وكأنها جزءا من الطبيعة الصماء التي تحيط بنا. التقنية هامة ومفيدة ولازمة وضرورية لحضارة اليوم ولكنها لا تحل مشاكل اليوم لأن الشخصية البشرية لا تستطيع بأن تتغذى على أساس مادى فقط. ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان!

ولقد لاحظ البعض من معاصرينا بأن المشكلة الإنسانية التي تزداد خطورتها من يوم إلى آخر لا يمكن معالجتها بالطريقة العلمية المحضة ولذلك فإنهم نادوا بضرورة اللجوء إلى الأخلاق " على شرط ألا تكون هذه مرتبطة بأية اعتقادات دينية أو فلسفية!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

طبعا الأخلاق هامة جدا أي تلك المبادىء الأساسية التي تنظم حياة الإنسان وعلاقته بجاره. مثلاً : ما معنى الحرية وهل لها حدود؟ ما هي مسؤولية الإنسان في هذه الأيام؟ وعلى أي أساس يقال أن هذا هو حسن وجيد وصالح؟ ولكنه هل من الممكن الكلام عن هكذا أمور حياتية وهامة بمعزل عن مواضيع ذات أهمية مماثلة وذات علاقة حميمة بموضوع " الأخلاق " ؟ أهناك " أخلاق " بدون أساس؟ وهل يمكن أن يكون الأساس في الأخلاق أو في خارج الأخلاق؟ وما أن نبدأ بطرح هكذا أسئلة حتى ندخل في حقل المعتقدات أو الإيمان أو الدين أو الايديولوجيا. وبكلمة أخرى مع رغبة البعض في ايجاد أخلاق بدون معتقدات دينية أو ايديولوجية الا أنه من المستحيل ايجادها أو المجيء بها وكأنها قابلة للنشوء والنمو في الفراغ!

طبيعة الإنسان وتاريخ الإنسان وكل شيء يحيط به، كل هذه الأمور تقول لنا بأن كل محاولة لايجاد أخلاق بدون دين أو معتقد ما هي الا محاولة عقيمة ومستحيلة!

فعندما نتكلم قائلين بأن هذا الشيء هو صالح أو انه جيد أو منطبق على الحق نكون مستعملين لمقياس أو أساس أخلاقي خارج عن عقل أو تفكير الإنسان. وبكلمة أخرى هناك أساس خارجي أو موضوعي للأخلاق. للاخلاق علاقة حميمة بالشريعة والشريعة لا توجد من تلقاء نفسها بل انما أتت إلى الوجود نظرا لو جود مشرع أي معط للشريعة. بدون مشرع لا يمكن أن توجد شريعة وبدون شريعة لا يمكن أن توجد أخلاق وبدون هذه تصبح الحياة البشرية مستحيلة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولا يجوز لنا أن نسترسل في الكلام على هذا المنوال لأنه من الواجب الكلام عن المشرع لا بطريقة مبهمة بل بكل صراحة ولذلك نقول : أن الله هو واضع النظام والشريعة والقانون المختص بحياة الإنسان. ونحن لا نقول ذلك من تلقاء أنفسنا وكأننا اكتشفنا هذه الحقيقة بواسطة جهودنا الخاصة بل لأن الله ذاته لم يبق محجوبا عن الناس بل كشف ذاته في كلامه مع الناس أي في وحيه المقدس.

والوحي الإلهي يعلمنا بأن الله قد أعطانا نحن بني البشر أمرين هامين :

١. نظم الله الأمور المتعلقة بواجبات الإنسان تجاه الله أي أمور العبادة.

٢. نظم الله الأمور المتعلقة بواجبات الإنسان تجاه قرينه الإنسان أي أمور الأخلاق وبكلمة أخرى ليست واجبات الإنسان ذات بعد واحد بل لها بعدين : البعد العمودى أي علاقة الإنسان بخالقه والهه والبعد الأفقي أي علاقة الإنسان بقرينه الإنسان. الاخلاق لا توجد إذن في الفراغ بل لها علاقة حيوية منطقية حميمة بمعتقدات هامة لا يمكن تجاهلها.

ولا بد لقائل من أن يعترض قائلاً : ولكن أن كان الله قد كشف ذاته وأعطى الإنسان شريعته فلماذا لا يعيش الإنسان كما ينتظر منه كمخلوق عاقل ينشد مجد ربه وباريه وخير أقربائه بني البشر؟ لماذا تظهر حياة الإنسان ولا سيما إنسان الثلث الأخير من القرن العشرين وكأنها حياة لا أخلاقية وحتى في بعض الأحيان اباحية؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجواب على هكذا أسئلة يكمن في وجود ميل هائل ضمن الإنسان يدفعه لعدم التقيد بمتطلبات الشريعة الإلهية ببعديها الهامين، فالإنسان لا يعبد الله كما يجب ولا يهتم بجاره الإنسان. هذا الميل نحو عدم التقيد بالشريعة يدعى بالخطية ولا خلاص منه الا بواسطة قوة المسيح الخلاصية والفدائية. فمتى اعترف الإنسان بشره وبفشله الذريع في الحياة كما ينتظر منه ووضع ثقته التامة والكلية في مسيح الله، فإذ ذاك يختبر أن الله قد قام ضمن حياته بتغيير جذرى شامل ذلك التغيير الذي ليس أقل من ولادة ثانية.

فالإنسان الجديد لا يعود ينظر إلى موضوع العبادة والأخلاق من الناحية النفعية بل نظرا لأن حياته بأسرها صارت مغمورة بالمحبة الإلهية يندفع هو بدوره إلى عالم اليأس والقنوط والعذابات ويحيا حياة المحبة، المحبة المستنيرة بالحق الإلهي والتي هي الأساس الوحيد للأخلاق التي يفتقر اليها علام اليوم. وإذ ذاك يضحي هذا الإنسان الجديد سفيرا للمصالحة الحقيقية المصالحة مع الله والمصالحة مع بني البشر.

الانهيار الخلقي

أخذ أحد المفكرين المعاصرين بوصف عالم اليوم قائلاً : " نشهد اليوم في العالم كله انهيارا خلقيا مريعا. ولا يستطيع احد منا أن يرمي غيره بحجر في هذا الأمر، لأن جميعا مخطئون، لأننا جميعا ساهمنا في احداث هذا الانهيار، أن لم يكن بالاشتراك به بالفعل، فبالتفرج عليه والارتخاء أمامه وعدم رفع الصوت المدوى "

واستطرد المفكر قائلاً في وصف الانهيار الخلقي الملم بعالمنا قائلاً :

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

" فقد التمييز القاطع بين الخير والشر، الخير والشر سيان في ذهن الآبـــاء وفي ذهن البنين، ولعل في ذهن الآباء قبل ذهن البنين – فقد الاعتبار والاحترام للممتحن والمجرب المتوارث المعطى القديم. القيم، المعايير، المثل، كل هذه أصحبت نـــسبية – نسبية إلى الظروف والأحوال، إلى الآزمنة والأمكنة، إلى تعدد الثقفات والـــشعوب، إلى المزجة والفيزيولوجيات، إلى مقدار ما تستطيع أن تفعل شيئاً وتنجوبه مـــن دون حساب. الزمان تغير، بهذه العبارة السحرية يحلل البعض كل شيء – الـــبعض ممـــن يفترض فيهم العمق والحصانة، البعض من قادة الرأي وارادة القدوة. الـــزمن تغـــير، وبهذا يقصدون أن لاقيم بعد ولا معايير ولا مثل "

(الدكتور شارك مالك – الدستور – النهار – ٢٨ حزيران ١٩٧٠)..

وإذ كنا قد تأملنا في بحثنا السابق عن امكانية ايجاد أخلاق بـــدون معتقـــدات دينية فأننا نجد أنفسنا مسرعين إلى القول من جديد بأن الانهيار الخلقي نتج عن نسيان الله وشريعته. فالأخلاق لا توجد في فراغ روحي أو عقائدى بل انما تتطلب وجـــود شريعة معروفة وذات سلطة نهائية. والشريعة لها مشرع والمشرع هو الله. ولا نعـــني بذلك اننا نود الوصول إلى نظرية اثبات وجود الله لكي نستطيع أن نجد مبرراً لشريعة تنبعث منها الأخلاق. فنقطة انطلاقنا المبدئية والأولية هـــي الله الموجـــود الكـــائن السرمدي الذي هو هوأمس واليوم وإلى الأبد. نشهد بذلك لأن الله تكلـــم ودخـــل معترك التاريخ البشرى في شخص وحياة السيد المسيح المخلص. فالانهيـــار الخلقـــي الذي يعم عالمنا اليوم له علاقة وثيقة بانهيار الإيمان الحـــي بـــالله وبكلمتـــه المحـــررة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والمنعشة. الله لم يفشل بل نحن بني البشر نحن الذين انقلبنا عليه و لم نعد نأبه لو حية وبشريعته المقدسة ولذلك نجني اليوم ثمار عصياننا ورفضنا!

الله الذي كشف ذاته – ولذلك ليس هو الها محجوبا أو مجهولا – أعطى الإنسان المقاييس الخلقية التي هي لا تتغير مهما تغيرت الأيام ومهما طرأ على حياة الإنسان من عوامل جديدة. القتل هو جريمة لأن الله قال : لا تقتل! الزنى جريمة لأن الله قال : لا تزني! السرقة جريمة لأن الله قال : لا تسرق!

نعم يشاهد عالمنا اليوم انهيارا خلقيا مريعا. ولكن هذا الانهيار لم يحدث بمعزل عن هذه الأمور الجو هرية الآتية :

١. فقدان الإيمان الحي بالله الواحد الحقيقي الخالق والمشرع والمسيطر على كل شيء. عصرنا هذا شهد ليس فقط تطورا هائلا وكبيرا في مضمار العلوم الطبيعية وفي تطبيقها في الحياة اليومية بل أن ذلك صاحبه فقدان للإيمان بالله الواحد الحقيقي. وكأن الإنسان الذي صار يعرف الكثير عن أسرار الطبيعة وعن كيفية تسخير القوى الكامنة في الطبيعة قد انسحر بمآثره العديدة فصار يظن بأنه يستطيع أن ينظم حياته بدون اللجوء إلى الاعتراف بالله وبشريعته. وبكلمة أخرى هذا العصر ليس بعصر التقدم العلمي فقط بل انه عصر تكبر الإنسان وتشامخه على الله تعالى اسمه.

٢. فقدان الإيمان بكلمة الله المعبرة عن مشيئة الله للإنسان. لم يعد إنسان اليوم يؤمن بأن الله قد تكلم وان كلمته محفوظة لنا في اسفار أو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكتب المقدسة. لقد تجاهل الإنسان أعظم حقيقة بعد حقيقة الله ذاته : تجاهل الإنسان حقيقة كلام الله مع الإنسان ولصالح الإنسان وإذ ذاك مهد السبيل لبروز الصنمية المعاصرة ذات الألوان المتعددة.

٣. السقوط في حبائل صنمية أو صنميات القرن العشرين : نذكر على سبيل المثال النسبية والمادية. فالنسبية تقول لنا أن كل شيء نسبي فيما يتعلق بحياة الإنسان، ولذلك فان ما كان حراما في الماضي لا يعني انه حرام اليوم. على كل إنسان أن يقرر نوعية حياته الأخلاقية لأنه كائن حر له مطلق الصلاحية في تقرير مصيره. ليس هناك من شريعة ثابتة لا متغيرة. أما المادية فإنها تحصر أفق نظر الإنسان في البعد المادى من حياته وترفض قبول البعد الآخر أي البعد الروحاني وتجعل من الإنسان كائنا يزيد على الحيوان قليلاً في صفاته ومقدراته.

٤. وبما أن الإنسان لا ينسى تراثه بصورة تامة فاننا نشاهد في أيامنا هذه تظاهرا خارجيا أو سطحيا بقبول الإيمان بالله وبالأخلاق المبنية على ذلك الإيمان وإنكارا حياتيا لذلك المعتقد. ندعو هكذا حالة بالازدواجية الحياتية أو المحاولة للعيش على أساسين عقائديين مختلفين ومتضادين! ولكن الازدواجية لا تنفع الإنسان لأنها ليست الا نظرة حياتية مرحلية لابد لمعتقدها من الذهاب إلى أحد الطرفين. من المستحيل لإنسان اليوم أن يحيا على صعيد الإيمان بالله وفي نفس الوقت بأن يكيف حياته بمقتضى أسس النسبية والمادية. والانهيار الخلقي اليوم واقع مؤلم : فالثورة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجنسية التي تعم عالمنا اليوم ستؤدى بالبشرية إلى النـــزول إلى مرتبة شـــبه حيوانية والثورة إلهيبية كما تدعى في اللغات الأجنبية ليست الا الهرب مـــن المجتمع البشرى ومن المسؤوليات الملقاة على عاتق كل إنسان. الخلاص غير ممكن أن انتظرناه من الإنسان!

ليس هناك خلاص في الإنسان أو من الإنسان! الخلاص هو من الله وبالمـــسيح لأنه وفد دنيانا هذه لإنقاذنا ولتحريرنا من سائر الصنميات التي تخلب عقولنا وقلوبنا. لم يأت المسيح ليعظنا فقط أو ليقول لنا : كونوا طيبين واصلحوا أنفسكم بأنفسكم! جاء المسيح ليخلص وينقذ ما قد هلك.

وهذا الخلاص الذي أتمه المسيح انما هو للجميع : انه للآباء والأمهات، للابناء وللبنات هذا الخلاص انما يمنح الإنسان الحرية الحقيقية لأنه خلاص من كل نوع ولون من العبودية : المسيح يمنحنا الانعتاق التام من الصنميات بـــشتى أنواعهـــا ومنـــها صنميات النسبية والمادية والازدواجية. لكن هذا الخلاص ليس بموضوع كلام وكلام وكلام. الخلاص الذي يمنحه السيد المسيح لكل من يؤمن به انما هو عبارة عن إيمـــان حي وديناميكي، إيمان له — كما قلنا في أكثر من مناسبة واحدة بعـــدان هامـــان لا بديل لهما أو عنهما : البعد العمودى الذي ينظم حياة الإنسان تجاه ربه وباريه والبعد الأفقي الذي ينظم حياة الإنسان في المجتمع البشرى. والدافع الواحد في كلا البعـــدين انما هو المحبة، المحبة الحقيقية الخالية من كل رياء ومن كل منفعة ذاتية ومن كل حـــب بالظهور ومن كل كبرياء تشامخ : المحبة التي تنشد مجد الله فوق كل شيء وخير سائر وجميع أفراد البشرية!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعم التحليل الواقعي لحالة عالم اليوم هو مؤسف نشهد اليوم في العالم كله انهيارا خلقيا مريعا.... ولكن واقع اليوم لا يعني انه لا دواء ولا شفاء! واقع اليوم يجب أن يدفعنا نحو الله وشريعته ومسيحه. فنحن لن نتغلب على المخاطر الكامنة في الانهيار الخلقي الا إذا رجعنا تماماً وكليا وحياتيا إلى درب الله حيث الخلاص والحرية الحقيقية.

العالم من منظار السينما المعاصرة

عرفت البشرية منذ القديم وفي عدة نواحي من العالم أهمية الروايات واشتهرت المسارح في أماكن كثيرة من الأرض. وفي آداب الشعوب تدرس إلى يومنا هذا المؤلفات الروائية الكلاسيكية وتمثل أحيانا هذه المسرحيات بنجاح باهر.

وقرننا هذا امتاز عن القرون السالفة في موضوع المسرح بأنه جعله مسرحا مصورا ومتحركا ومتنقلا، وأعني بذلك أن فن الصور المتحركة أو السينما قد جعل من فن التمثيل أكثر تأثيرا على الناس نظرا لسهولة تنقله وذهابه إلى سائر أنحاء العالم اما في قالبه المحلي أو بواسطة ترجمات مكتوبة على الفيلم أو أحيانا ترجمة الكلام.

وسوف نحصر ملاحظتنا اليوم في بعض المظاهر المؤسفة التي برزت إلى الوجود بعد الحرب العالمية الثانية وفي حقل السينما. وقبل كل شيء لا نود أن نقول بأن كل ما ظهر على الشاشة العالمية منذ نحو خمسة وعشرين سنة هو غير جيد وغير بناء. هناك بعض الأفلام الرائعة التي أتت إلى الوجود والتي عالجت مواضيع روائية أو تاريخية على أحسن مستوى وبصورة بناءة. ما نود أن نلفت الأنظار اليه في بحثنا اليوم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هو أن السينما المعاصرة التي تود معالجة أمور الحياة المعاصرة قد فرطت جدا في وصف وتصوير المشاكل الحياتية التي تقض مضجع الإنسان وقد كتب احدهم عن بعض الأفلام التي كانت معروضة حديثا بأنها " كلها خيال للمجتمع.. في قيمه الزائفة وتدهوره نحو الهلاك. كلها تقدم شخصيات معذبة تفتش عن معنى لو جودها، تتساءل عن مدى مسؤوليتها في ضياع حياتها "

لاشك أن القرن العشرين الذي وقع فريسة لصنميات من أشكال وأنواع مختلفة قد جاء بفراغ هائل مما أدى بدوره إلى ضياع الحياة وبروز قيم حياتية زائفة! ليس من إنسان واقعي يمكنه إنكار هذه المظاهر المؤسفة. ولكن وجودنا في أزمة روحية عالمية الأبعاد لا يعني أننا نستطيع أن نعمل كل شيء يخطر ببالنا وخاصة في حقل السينما والفن. مثلاً نلاحظ في المقالات التي تصف لنا بعض الأفلام المعاصرة رغبة المخرجين في انتهاك حرمة قدسية الحياة البشرية. لم يعد شيء في حياة الإنسان الا وصار عرضة بأن يصور للناس. لا الحياة الزوجية ولا مشاكلها المتعددة ولا المواضيع المتعلقة بحياة الإنسان الجنسية هي اليوم في أمان من تصويرها بكل واقعية وعرضها على الشاشة البيضاء! طبعا الفنان يود أن يكون واقعيا لا كذابا أو مرائيا أو منافقا في وصفه للواقع البشرى المؤلم ولكنه كيف يستطيع أن يضرب بأمور الحشمة عرض الحائط فيصور أمورا لا يجوز أن تظهر على الشاشة السينمائية؟ كيف يعطي لنفسه الصلاحية بأن ينسى كل التراث القديم الذي مع انه لم يكن كاملا الا انه لم يكن خاليا من الحكمة والدراية؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الجواب الذي نحصل عليه اليوم من الطليعيين في فن السينما هو أن عرض كل شيء (حتى الأمور الحساسة للغاية). انما له قيمة فدائية. يقولون لنا أن اظهار كل شيء على شاشة السينما لا يعني طغيان الاباحية على الفن بشرط أن يكون في الفيلم المعين قيمة فدائية. يا ترى من اخترع هذا المحك للتفريق بين مشهد اباحي ومشهد مقبول؟ ومتى صار عرض كل شيء يجرى في حياة الإنسان – حتى الأمور غير الطبيعية – في فيلم سينمائي يمتاز بقيمة فدائية؟ ما هي هذه الفلسفة الغريبة التي تجتاح عالمنا اليوم وهل علينا الرضوخ لها وكأنها وحي من السماء؟

وعلاوة على انتهاك حرمة قدسية الحياة البشرية ولاسيما الحياة الزوجية والمشاكل المتعلقة بحياة الإنسان الجنسية فاننا نرى فكرة أو نظرة حياتية خاطئة للغاية قد تبنيت في الكثير من المنتوجات السينمائية المعروضة في مدن العالم اليوم. نعني أن الفلسفة التي تكمن وراء هذه الأفلام انما تعطينا تفسيرا خاطئا لمعنى الحياة ولنوعية ضياع حياة الكثيرين من مواطني القسم الأخير من القرن العشرين. من ينكر أن المجتمع المعاصر الذي نسى الله وأمور شريعته وبرنامجه الفدائي، صار يعاني من أمراض روحية عديدة وان قيمه في أكثرها تافهة وزائفة وانها تؤدى إلى الهلاك؟ ولكن هذا لا يعني أن الفرد أو الإنسان هو غير مسؤول. كل إنسان هو مسؤول عن موقفه من الحياة وعن تصرفاته وعن أعماله وعن كل ما يصدر منه ككائن عاقل. لا يمكننا أن نلوم الآخرين، كل إنسان مسؤول عن ذاته. لا تلم النجوم ولا تلم القدر ولا تلم غيرك بل اعلم انك انت مسؤول عن كل شيء.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

طبعا الحياة لا معنى لها في ذاتها، الوجود هو وجود قاس وفارغ من المعنى أن تصورناه وجودا باردا مستقلا عن الله. الحياة بأسرها هي عبارة عن علاقة، علاقة الإنسان مع ربه وباريه وعلاقة الإنسان مع أقرانه بني البشر. فان جد الإنسان باحثا ومفتشا عن معنى الوجود وان تساءل عن مدى مسؤوليته في ضياع حياته – فإنه لن يجد لا حلا ولا جوابا أن كان قد قرر مسبقا بأن الله غير موجود أو انه تعالى غير آبه بأمور دنيانا.

من المهم جدا لنا في هذه الأيام العصيبة أن نسعى وراء معنى الحياة ولكنه لا يجوز لنا مطلقا بأن نقوم بذلك وكأن الله لم يتكلم أو كأنه لم يقم بأي شيء من أجل إنقاذ البشرية. لا حل لمشاكلنا المتكاثرة بدون الله القادر على كل شيء. وهو تعالى قد قام بتنفيذ خطته الخلاصية والإنقاذية عندما أرسل المسيح إلى عالمنا منذ نحو ألفي سنة. ولقد أظهر المسيح له المجد بواسطة تعاليمه وأعماله بأن الإنسان هو عدو الإنسان أي انه من واجب الإنسان أن يقر بأنه لا يحيا بمقتضى قانون الحياة والوجود. حياة الإنسان تسير بشكل جذري على طريق الأنانية ومحبة الذات والنفعية والإنسان ذاته يعمل دوما على تأليه أو جه معينة من الحقيقة ناسبا اليها صفة المطلق. وبكلمة أخرى : لا يحب الإنسان الله خالقه بصورة تامة ولا يحب قريبه الإنسان كذاته. الإنسان خاطي بمعنى انه يحيد عن جادة الحق والصواب.

طبعا لابد لنا من الاقرار بأن العديدين من الذين خسروا إيمانهم الحي وعاشوا حياة قشرية وسطحية وتافهة مسؤولون عن اعطاء فكرة خاطئة عن أهمية الإيمان بالله. ولكن سوء تصرف البعض من المدعين لا يعني أن الإنسان المعاصر له الصلاحية بأن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يبحث عن خلاص وعن تحرير من الأمور التي تعبث بحياتـــه في مجاهـــل الفلـــسفات البشرية الواهية. ضياع الإنسان يجب أن يدفعنا إلى ذرف الدموع والنوح والبكاء لا إلى تصويره في كل أبعاده على شاشة بيضاء. حتى ولوعرفنا كـــل اســـباب شـــقائنا وتعاستنا فان تلك المعرفة بحد ذاتها لن تنجينا! ليس هناك سوى قوة الله الخلاصـــية في المسيح المخلص قادرة على أن تهبنا الخلاص والمعنى والهدف السليم لحياتنا في الثلـــث الأخير من القرن العشرين!

أومن بالله القدير

لابد أننا قد اختبرنا – ولومرة في حياتنا – معنى اليأس. لقد اختبرنـــا معـــنى اليأس والقنوط عندما تحطمت آمالنا على صخر الفشل في مشروع هام، أو عندما ألم بنا مرض عضال أو عندما خاننا أحد أصدقائنا الأوفياء. ويا له من عدو رهيب هـــذا اليأس الذي ينقض علينا كالضباب الكثيف! انه أشبه بحفرة مظلمة وعميقة نهبط فيها بمفردنا – حفرة مظلمة لا قعر لها ولا منفذ للخلاص منها!

وما أن يدب اليأس في قلوبنا حتى نبدأ بالتفكير بالموت، إذ يظهر الموت آنئـــذ وكأنه المنفذ الوحيد للخلاص لمن قد حطمه اليأس والقنوط. لكن الموت ليس بخلاص حقيقي لأنه ليس بنهاية ولا بسلام مضمون. بل قد يؤدى الموت إلى اليأس الأبدي في الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان.

كيف يمكنني أنا الإنسان الذي أعذب من قبل اليأس، كيف يمكنني أنا الشقي أن احصل على لنصر؟ النصر على اليأس والخوف واللا معنى؟ ليس هناك من نـــصر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سوى بالإيمان، لا بواسطة الإيمان المبهم بالإنسان أو بايديولوجية معينة، لا بواسطة الإيمان بالإنسان أو الإيمان بالإيمان، كلا بل بواسطة الإيمان بالله. أنا أنتصر، أنا أفوز، عندما أقول من أعماق قلبي وبعد اختبارى لعمل الله المنعش في حياتي، عندما أشهد هذه الشهادة الحسنة : أو من بالله القدير! عندما أشهد وسط عالم اليوم الذي سقط فريسة للخوف واليأس، عندما أشهد وسط عالم اليوم قائلاً : أو من بالله القادر على كل شيء، إيماني بالله القدير يعني غلبتي على العالم بأسره!

الشهادة بالإيمان بالله القدير هي نقيض شهادة الإيمان بالإنسان! أصغ معي إلى شهادة ملحد معاصرة " بعد ملايين السنين سيكون الجنس البشرى قد انقرض من وجه المعمورة! هذا بعد أن يكون الإنسان قد تغلب على جميع العراقيل التي اعترضت سبيله وبعد أن سافر إلى الأجرام السماوية البعيدة وبعد أن أبدع المادة وجاء بالسوبرمان (أي الإنسان المتفوق)..... وبالرغم من جميع مآثره هذه لن يكون الإنسان قد وصل إلى فهم نفسه ولا إلى حل معضلة حياته التي كان هو بطلها. وهكذا سيذهب الإنسان إلى العدم بدون أن يكون قد عرف نفسه، وغيابه عن مسرح الكون أشبه بأولئك الناس الذين يصابون بفقدان الذاكرة " هذه هي شهادة إيمان ملحد معاصر!

ولكن هذا الإيمان الدهرى، هذا الإيمان الإلحادى هذا العدم إيمان لا يشبع نفسي ولا يحييني أنا الإنسان الشقي المعذب. هناك إيمان آخر، إيمان بكل معنى الكلمة : أو من بالله القدير وليس فقط أو من... أو من بالله القدير... هذه هي شهادة كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إنسان قد تغلب بفضل الله على اليأس والقنوط واللا معنى وصار يعيش حياة الرجاء والإيمان والمحبة.

أؤمن بالله القدير أي انني أو من بمحبة الله تلك المحبة اللامحدودة التي اختبرتها أنا واختبرها قبلي الملايين من الناس. أو من بالله القدير : ليست هذه عبارة عن شهادة فردية محضة لأني لست الوحيد المؤمن بالله القدير إذ هناك الملايين من معاصرى والذين يؤمنون بالله القدير والذين يشكلون معي أخوية منتصرة وعاملة من أجل الخير والصلاح. ولذلك يمكنني القول وأنا أنضم إلى رفاقي المؤمنين ورفيقاتي المؤمنات فنقول سوية : نؤمن بالله القدير المحب الشفوق ونرفض في نفس الوقت كل شيء معاكس لله ولمشيئته المقدسة.

من المستحيل لي بأن أقول لنفس : أؤمن بالله. هذه شهادة على أن أشهد بها، علي أن أتفوه بها أمام الملأ في كل فرصة مناسبة كانت أم لا. علي أن أنطق بكل شجاعة وتواضع بشهادتي هذه في عالم اليأس والهجرة الروحية والضياع واللا معنى، في عالم هجمت عليه صنميات معاصرة قوية. شهادتي للملأ هي : أو من بالله القدير.

أنا لا أستطيع إذن أن أقبل أية نظرة حياتية إلحادية، أنا لا أستطيع نظرا لإيماني بالله القدير قبول اية فكرة حتمية آلية تسود عالمنا ولن أرضى بلا أدرية مطلية بصبغة علمية. إذ أشهد بإيماني بالله أشهد بنفس الوقت بأن الله قد كشف ذاته (فأنا لم أجده بعد بحث مضني). بل هو تعالى اسمه وجدني وأعطاني الشهادة لأشهد بها. الشهادة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالإيمان هي شهادة كل من اختبر اختراق الوحي الإلهي لصميم حياته فأصبح صاحب هذا الاختبار غير قادر الا وان يتكلم بالحق والحق الكامل.

أنا أؤمن بالله القدير : هذه الشهادة القلبية تعني أني أنا أحيا حياة الطاعة. الإيمان بدون طاعة هو إيمان زائف والطاعة بدون إيمان بالله هي طاعة عمياء. ماذا يطلب مني ربي وإلهي؟

يطلب مني الله أن اقبل تفسيره هو لمعنى الحياة البشرية. يطلب مني الله أن اعترف بأن الإنسان هو ثائر على الله وانه يرغب في العيش بمقتضى نواميسه وشرائعه. ولكن الله لا يخبرني انه بمقدوري وبفضل جهودي الخاصة أقدر أن أمنح نفسي الحرية. يطلب مني الله أن أقبل طريقته الفعالة للانعتاق والتحرير. وبالحقيقة ينقذني الله من شري وضياعي ويأسي وقنوطي، ينقذني الله بواسطة عمل المسيح الفدائي الذي تم منذ نحو ألفي سنة والذي يطبق الآن ضمن صميم حياتي. ينقذني الله من شري ومن يأسي ومن أنانيتي ثم يطلب مني أن أطيعه، لا اطاعة العبيد لأسيادهم بل اطاعة الابن المحب لأبيه الرحيم.

في عالم هبطت عليه موجة عارمة من اليأس يطلب منك الله اليوم بل الآن في هذه اللحظة بأن تلقي بأسلحتك البشرية جانبا وأن تستسلم اليه استسلاما تاما. وهو يساعدك للقيام بذلك لأن مشيئته هي أن يقبل الناس إلى معرفة الحق وإلى اختبار الخلاص. وعندما تقوم بذلك – بفضل معونة الله فأنك تبدأ بالشهادة الجميلة قائلاً : أؤمن بالله القدير.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العزلة المعاصرة

هل هنالك أمر من العزلة؟ الإنسان المنعزل الوحيد الذي يشعر بنوع غريب من الوحدة هو إنسان متألم ومعذب، هذا هو إنسان القرن العشرين! ولكن كيف نقول بأن الإنسان يعيش حياة العزلة والعالم مكتظ اليوم بالناس؟ طبعا أن دنيانا مكتظة بالناس ولكن ما أكثر الناس الذين يعيشون حياة العزلة والانفراد والوحدة!

أصغ معي إلى وصف دقيق للعزلة المعاصرة كما ورد في احدى المطبوعات الأجنبية : لقد مات إنسان و لم يدر أحد باسمه،

لقد مات وكأنه ورقة شجرة خضراء في الربيع ولكنها لم تلبث بأن اصفرت فسقطت في الخريف! الإنسان كالورقة، مات و لم يأبه به أحد!

لقد كان يصرخ ويستغيث بالمارة، كان يصرخ وينادى ولكن لم يصغ اليه أحد!

رآه أحدهم وهو يهوى إلى الأرض.. ولكن من يبالي بورقة تسقط على الأرض؟

لقد سقطت الورقة و لم يذرف أحد دمعة من أجلها، ما قيمتها تلك الورقة؟!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وكتب احدهم واصفا العزلة المعاصرة التي يشكومنها إنسان اليوم قائلاً : أن أصعب شيء في الشقاء والحزن والمرض واليأس هو أن يحتمل الإنسان هذه الأمور بمفرده وهو في حالة العزلة التامة!

ولكن لم العزلة؟ لماذا العزلة والانفراد، لماذا هذا الشعور القاتل في حياتنا نحن بني البشر؟ الجو اب هو أن الإنسان قد اختار هذا الطريق طريق العزلة منذ البدء. كان الله قد طلب من الإنسان وهو تاج المخلوقات بأن يسير على سبيله المستقيم ولكن الإنسان تنحى عن ذلك الصراط وسعى بأن يحيا حياة منكمشة ومغلقة ضمن الكبرياء والكذب والبهتان. هذا هو سبب العزلة الأولي في عالمنا.

ولكنه يجدر بنا حالا أن نقول أن العزلة المعاصرة ليست ناتجة دوما عن اختيار الفرد الشخصي لهكذا حياة. هناك عدة عوامل خارجية تكون قد وضعت الإنسان في حالة الانعزال أو العزلة مثل المرض أو حادثة اصطدام أو كارثة. وكذلك يجدر بنا أن نقول عن تعليل العزلة وكأنها دوما عبارة عن حالة نفسية عاطفية علينا أن نقول أن هكذا تعليل هو تبسيطي للغاية ولا يمكننا قبوله.

وكذلك لا يجوز لنا القول بأن حالة العزلة هي دائما عبارة عن قصاص من قبل الله الذي قد استحقه الإنسان نظرا لشر معين قام به أو ارتكبه.

وعلينا الملاحظة بهذا الصدد أن الفلسفة الوجودية المعاصرة قد عالجت هذا الموضوع بشكل خاص. حسب هذه الفلسفة التي تغلغلت إلى أفكار العديدين من الناس ولاسيما بواسطة المؤلفات القصصية والفلسفية، العزلة ليست الا ذلك العبء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الشديد للوجود ذلك العبء الذي لا يمكن تحمله! والفلسفة الوجودية لا يمكن أن تخلص الإنسان ولا تعرف كيف تنقذ الإنسان المعاصر من هذا الفراغ المطلق الذي يحيق به. ومع أن العزلة ليست بشر معاصر – إذ أن الأجيال السالفة كانت قد اختبرتها – الا انها تحيق بنا اليوم كطوق شديد لأن الإنسان المعاصر قد خسر اليقين والإيمان الذي كان يتمتع به الآباء والأجداد. لقد فقد الإنسان المعاصر الذي انتهل من مياه الوجودية، لقد فقد الإيمان بإمكانية بناء حياة يجد فيها شركة اجتماعية أو مجتمعية سليمة. ليس هناك إذن سوى العزلة!

نعم ما أشد وطأة العزلة المعاصرة! فمع أن التقنية المعاصرة قد قربت الناس من بعضهم البعض الا انها قد بقيت عاجزة عن ايجاد اللقاء الأخوى بين الناس. حتى ضمن الجموع المعاصرة يبقى الإنسان شاعرا بالعزلة لأن الناس قد يحتكون سطحيا مع بعضهم البعض ولكنهم يبقون غرباء وأجانب فلا يعيشون حياة الشركة الإنسانية الصحيحة. وكأن عالمنا صار تحت رحمة قوى لا شخصية تعصف به وتدفعه نحو اللا معنى والعدم والفناء. ولم يمتنع البعض عن وصف حالة الإنسان اليوم وكأنها العزلة الكونية.

كفانا وصف الإنسان في حالة الشقاء هذه فنحن لسنا بتشاؤميين ولا بزارعي بزور القنوط. ليست العزلة غاية الحياة البشرية فطبيعة الإنسان تميل دوما نحو الحياة الاجتماعية والشركة البشرية الحيوية. هذا هو اختيار الله لحياة الإنسان وهو تعالى لا يرغب مطلقا بأن يكون طابع حياة الإنسان الانعزالية أو الفردية المطلقة. كل إنسان – حسب القصد الإلهي – هو عضوحي في مجتمع بشرى حي. حياة الإنسان لا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تنموولا تترعرع كما يجب الا ضمن مجتمع إنساني سليم وفي هكذا مجتمع لا مكـــان للعزلة.

ليست رغبة الله للإنسان الحياة في العزلة، ولكن الإنسان وخاصة إنسان اليوم، يحيا ضمن عزلة لا تطاق لماذا؟ كما ألمحنا سابقا، لقد ثار الإنسان علـــى الله وأعلـــن عصيانه على النظام الإلهي للوجود. وهكذا فسدت علاقة الإنسان مع باريه بـــسبب ثورته وهذه بدورها قد أدت إلى هدم صرح العلاقة السليمة بين الإنـــسان وقرينـــه الإنسان. بإعلانه استقلاله التام والمطلق عن الله تعالى صار الإنـــسان أســـير العزلـــة وأضحى يعيش حياة الهجرة الروحية والغربة الروحية.

لكن الله لا يرضى بدمار عمل يديه. لا يقبل الله برفض الإنسان لقانون الحياة. قال الإنسان لله : لا، لن أسير في طريقك ولن أحيا في نطاق ارادتـــك. ولكـــن الله العليم كان قد أعد برنامجا خلاصيا إنقاذيا جبارا. وقد وضعه موضع التنفيذ عنـــدما أرسل كلمته إلى دنيانا هذه أي عندما جاء المسيح منذ نحو ألفي سنة. جاء كلمة الله أي مسيح الله إلى أرضنا هذه وعاش حياة كاملة وخالية من محبة الـــذات والكبريـــاء وكرس أيامه لخدمة الله والناس. وأثناء حياته القصيرة التي أمضاها على أرضنا هـــذه وضمن البلاد المقدسة كان رفيقا للضعفاء والمساكين والمرضى والحـــزانى والأرامـــل والمضطهدين وقد أظهر له المجد تضامنه وتكاتفه التام معهم وأخرجهم مـــن ظـــلام وبؤس عزلتهم الشديدة. وفوق كل شيء ذهب المسيح إلى أكمة الجمجمة بـــالقرب من القدس وهناك مات على الصليب الخشبي مكفرا عن خطايا العالم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا المسيح الذي قام من الأموات هو المخلص من سائر الشرور ولاسيما من شر العزلة. انه يقدم اليك اليوم حياة الانتصار والشركة الحقيقية ضمن أخوية الإيمان فلماذا لا تضع مقاليد حياتك بين يديه؟ آمن ولا تعد إلى حياة العزلة القاسية!

الصنمية المعاصرة في عالمنا الفكري

في أكثر من مناسبة واحدة كنت قد ذكرت موضوع نهاية عزلتنا نحن ابناء الشرق، تلك العزلة التي عشناها لبضعة قرون والتي أخذت بأن تتلاشى تدريجيا منذ بدء القرن التاسع عشر. أما الآن ونحن نعيش في الثلث الأخير من القرن العشرين وقد كثرت وسائل المواصلات والاعلام والثقافة العامة من صحف ومجلات وإذاعات وتلفزة، أصبحنا اليوم جميعا نعيش وسط عالم صغير. طبعا هناك شعوب وأجناس عديدة، الا اننا لا نكون مغالين إذا قلنا اننا نشاهد بزوغ أو بروز ثقافة عالمية أو حضارة عالمية واحدة. وها أن الألوف من ابنائنا قد ذهبوا إلى مشارق الأرض ومغاربها طلبا للعلم في الجامعات والمدارس التقنية. وكم نشكر الله لأنه وهبنا وسائط عديدة في هذه الأيام لكي نتمكن – من الناحية العلمية والتقنية – من اللحاق بسير قافلة الحياة المعاصرة، ونحن نتضرع اليه تعالى اسمه لكي يبارك سائر أقطار الأمة العربية من الخليج إلى المحيط.

وكذلك كنت قد ألمحت في أكثر من مناسبة بأنه مع أهمية الالمام بسائر العلوم والمعارف التي تملأ عالمنا اليوم، الا اننا – نحن ابناء الشرق – لسنا بحاجة إلى صنميات من طراز جديد صنميات تبعدنا عن الإيمان بالله الواحد الخالق والمبدع لكل ما في الوجود. إذ اننا أن وقعنا فكريا وايديولوجيا، فريسة لهكذا صنميات، لا نكون في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

النهاية قد انتفعنا من احتكاكنا بالثقافة والحضارة العالمية المعاصرة. فان كنا قد تعلمنا الكثير من علوم وفنون الغير على حساب إيماننا بالله الواحد السرمدي، نكون قد خسرنا أعز شيء في الوجود! ويا لبئس تلك الحياة في ظلال الصنمية من طراز جديد، صنمية القسم الأخير من القرن العشرين!

وما يقودني إلى الكلام بهذه الطريقة في تأملاتنا هذه هو ما وقعت عليه عينأي وأنا أطالع مجلة أسبوعية حيث وردت فيها مقالة جدية بشكل رسالة من رجل إلى حبيبته. وأرجوألا أظهر بمظهر المنتقد الذي ليست له حساسية أو ذوالقلب القاسي الذي ليس بمقدوره أن يشعر مع الجيل الناشيء! ولكني أرى نفسي مرغما – نظرا لإيماني بالله ولتعلقي بوحيه المقدس الذي بزغ نوره الفدائي في حياتي – بأن أعارض بكل صراحة عدة آراء ونظريات وردت في هذه الرسالة أو المقالة.

مما صرح به الكاتب ما يلي " لم تكن بدايتي يوم ولدت. فلطالما عشت في رحم الكون قبل أن أو لد.. أؤمن بأزلية الحياة عبر المادة. أؤمن بتطور كل مادة. الروح نتيجة حتمية لكل تفاعل مادى، منظم، متناغم، مكتمل. ليس هناك روح بلا مادة... لا أعتقد بأن الحق شيء ثابت مع انه يتراءى للناس كذلك... أما عن الله فيكفي أن يكون عندك شعور بأن هناك قوة لا يمكن تحديدها... انظرى وجه الله في حياة الكون، وديمومته، ولا تزعجي نفسك في الأمور الأخرى، فما هو خارج الكون هو في الكون، وليس ثمة وجود وراء الوجود لأن كل ما وراء الوجود هو موجود "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أرجومن صميم قلبي أن تلاحظ معي بأن هذه الشهادة التي نطق بها أو بالأحري التي كتبها صاحب الرسالة، لا يمكن لها بأن تتجانس مع أي معتقد سليم بالله القدوس. كيف أجرؤ وأقول هكذا كلمات عن إنسان مثلي كتب بكل اخلاص وقناعة عن إيمانه ومعتقده؟ أنا لا أشك مطلقا لا في اخلاص ولا في قناعة الكاتب، لأنه من المستحيل لأي شخص بأن يكتب كما كتب بدون قناعة واخلاص وأمانة لمبادئه الأولية. ولكن اعترافي بما سبق لا يعني انه لا يجوز لي أنا المؤمن بالله السرمدي الخالق، أن أشهد عن إيماني. إذ ما فائدة إيماني وقناعتي ومعتقدى أن بقيت هذه ضمن قلبي و لم يدر بها إنسان؟ أنا أيضاً أشهد عن اخلاص وقناعة وأقول : انه لا يوجد تجانس بين آراء كالتي أتينا على اقتباسها والمعتقد السليم بالله. فمن آمن بالله وبوحيه المقدس آمن في الوقت نفسه بمحدودية الإنسان وبعدم مقدرة العقل البشرى على تفهم أمور هذا الكون بدون مساعدة الله الخالق.

هذا يعني قبل كل شيء اني كمؤمن بالله أرفض مبدئيا أية نظرية تجعل مني أنا الإنسان المخلوق والمحدود، أرفض أية نظرية أو فلسفة تجعل مني جزءا من كون كنت اعيش فيه قبل يوم ولادتي. كمؤمن بالله السرمدي القدوس أرفض بكل عناد عقيدة أزلية الحياة عبر المادة... اني لا أقبل الادعاء بأن الروح هي نتيجة حتمية لكل تفاعل مادى، إذ اني فيما إذا قبلت ذلك التعريف للروح جعلت الله نتيجة للكون المادى الأزلي منكرا بذلك أزلية الله واستقلاله عن الكون الذي خلقه. أنا كمؤمن بالله الذي خلقني على صورته وشبهه – كما ورد في توارة موسى – أي أنا المؤمن بأقنومية الله لا أقدر ولا أستطيع أن أرتاح أو أن أكتفي بأن يكون عندى شعور بأن هناك قوة لا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يمكنني تحديدها! طبعا أن الله قادر على كل شيء، انه الاله القدير ولكنه ليس عبارة عن مجرد قوة هائلة لا يمكنني تحديدها! أنا كمؤمن بالله أرفض القول بأن الحق غير ثابت لأني أعتقد بأن الله وهو منبع الحق هو هولا يتغير، أمس واليوم وإلى الأبد. وشريعة الله الأخلاقية التي تنير لي السبيل فيما يتعلق بأمور الحق والباطل هذه الشريعة لا تتغير مهما تغيرت الأيام! أنا كمؤمن بالله السرمدي الخالق القدوس لا أستطيع قبول أي رأي أو فلسفة تسأوى بين الوجود الكوني والله. الله موجد الوجود ولكنه يبقى قبل الوجود الكوني وفوقه. اني أرفض رفضا باتا ونهائيا وكليا أي مس بعقيدة استقلال الله عن الكون الذي صنعه إذ أن تسأوى الله بالكون أكون قد خسرت ربي وإلهي وكذلك نفسي في النهاية!

يا ترى ماذا حدث لنا حتى اننا لم نعد نميز بين العقائد المتجانسة مع العقيدة الأساسية المتعلقة بالله وتلك التي ليست في صلبها الا عقائد الصنميات المعاصرة التي غزت عالمنا؟ لماذا صرنا متأثرين بكل ما يقال أو يكتب في دنيانا المتصاغرة؟ كيف لم نعد نرفض بديهيا وتلقائيا كل ما يعأرض قداسة اسم الله بارينا وفادينا؟

الدواء الوحيد الواقي والشافي لنا في هذه الأيام العصيبة التي نمر فيها هو الإيمان الحي والعامل ذلك الإيمان المركز على الله الذي كشف عن ذاته عبر التاريخ بواسطة الأنبياء والرسل ولاسيما بواسطة يسوع المسيح المخلص. كانت مهمة المسيح الرئيسية هي إنقاذنا من سطوة واستعمار سائر الصنميات – القديمة منها والحديثة. ليساعدنا الله لكي نأتي اليه مؤمنين بوحيه الفدائي الخلاصي ولنعمل بكل جد ونشاط

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في سبيل بناء حياتنا المعاصرة على أسس سليمة غير متقلبة أي على أسس الحق الإلهي المنـــزه عن الخطأ!

الاستسلام لصنمية القرن العشرين؟

في بحث سابق تكلمننا عن غزوعالمنا الفكري من قبل صنمية القرن العشرين. وقد أتينا على اقتباس ما قد ورد في مجلة أسبوعية ورأينا كيف أن الكاتب قـــد أو رد عدة آراء لا تتجانس مطلقا مع إيماننا بالله الواحد السرمدي الخـــالق لكـــل مـــا في الوجود. فمن آمن بالله لا يستطيع أن يقبل عقيدة أزلية المادة، ولا يقـــدر أن يؤلـــه الوجود ولا أن يدين بعقيدة تغير الحق من جيل إلى آخر. وهذه الآراء، بـــل وهـــذه المعتقدات التي صارت تظهر في المجلات الأسبوعية والتي صارت تؤثر على العديـــدين من الناس، لا يمكن النظر اليها وكأنها صادرة فقط عن بعض الأفراد المتطرفين. هـــذه المعتقدات هي جزء لا يتجزأ من المناخ الفكري العالمي الذي يحيط بحضارتنا في الثلث الأخير من القرن العشرين. ونحن لسنا بمظهرين لأي تعصب أعمى أو لرجعية بغيضة أن قلنا مرارا وتكرارا بأن هكذا معتقدات ليست الا مظاهر متعددة للصنمية المعاصرة والتي أطلقنا عليها اسم صنمية القرن العشرين.

نحن نصرح بهذا لا لأننا مدفوعون من قبل دوافع سلبية، بل لأننا نمارس حقنا في الدفاع عن إيماننا بالله العظيم الذي خلقنا وأعطانا الحياة والذي يمنحنا الغلبة على سائر قوى الشر والعدم التي تعبث بحياة إنسان القرن العشرين. وبكلمة أخرى نحـــن نمارس حقنا في الشهادة عن إيماننا بالله ولا نود أن نبقـــى صـــامتين لنـــسمع فقـــط

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شهادات أولئك الذين صاروا من دعاة صنمية القرن العشرين، تلك الصنمية المطلية بطلاء العلم والتقنية.

سنبحث الآن في بعض الأسباب التي تدفع بالناس لنبذ الإيمان القويم بالله وبوحيه المقدس وبعمله الفدائي / الخلاصي ولقبول صنمية فلسفية منبعثة من أعماق العقل البشرى. وإذ نورد بعض هذه الأسباب لا نكون بذلك قد قبلناها كأسباب معقولة لرفض الله بل انما نوردها كتفاسير جزئية لهذه الحالة المحزنة التي تعم عالمنا اليوم – ولاسيما عالمنا الفكري.

أولاً : نظرا لازدياد معارفنا العلمية لأمور الكون والأرض صار عند إنسان اليوم ثقة كبيرة ونزعة قوية تخيلان له بأنه يستطيع تفسير كل شيء – بما في ذلك الأمور الدينية – على أساس الطريقة العلمية. وبعبارة أخرى أصبحت الطريقة العلمية ليست فقط آلة نافعة لحقل أو لحقول معينة من المعارف البشرية، بل أضحت الطريقة العلمية تسود تفكير الإنسان المعاصر في جميع حقول معارفه، بما في ذلك أمور الله والوحي.

ثانيا : والسبب الذي دفع بالإنسان المعاصر ليقبل الطريقة المدعوة بالطريقة العلمية كالأسلوب الوحيد للوقوف على المعرفة – بما في ذلك المعرفة الدينية – يعود إلى أن الإنسان المعاصر قد قبل الفلسفة العقلية التي تجعل من الإنسان كائنا مكتفيا بطاقاته العقلية والفكرية. وهكذا أضحى إنسان اليوم – بمقتضى مبادىء الفلسفة المعاصرة – قادرا على تنظيم سائر نواحي حياته الفكرية بمفرده، وصار يرفض مبدئيا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كل الأنظمة والمعتقدات التي لا تتفق مع أسسه الأولية هذه. لقد أعلن إنسان اليوم – الذي استسلم للفلسفة المعاصرة – استقلاله التام والمطلق عن كل معتقد ديني فوطبيعي وأخذ يردد العبارة المشهورة أو الكليشة القائلة بأن الإنسان قد بلغ أخيرا سن الرشد! لم يعد الإنسان بحاجة إلى دين سماوي المصدر ولا إلى وحي يخبره عن طبيعته أو عن أمور الله خالقه. كلا، إنسان اليوم – حسب تعليم الفلسفة المعاصرة – هو كائن مستقل، حر بشكل تام ومطلق ونهائي!

ثالثاً : من المؤسف جدا أن العديين من الذين يدينون مبدئيا بعقيدة الإيمان بالله لا يعيشون بطريقة متجانسة مع معتقدهم هذا. من المهم جدا أن يدين الإنسان بالإيمان بالله الواحد السرمدي الخالق والمعتني بكل ما في الوجود والمستقل عن والمتعالي على الكون – ولكن، هذا الإيمان يجب أن يوضع موضع التنفيذ.

فالإيمان هو أكثر بكثير من التسليم النظرى بصحة عدد معين من العقائد، الإيمان أمر حياتي يعم سائر نواحي الحياة البشرية. انه لمن المؤسف أن نوعا من الازدواجية قد دخلت حياة العديدين من الناس. تظهر هذه الازدواجية في قول الناس بأنهم يؤمنون بالله الحي العظيم وفي عيشهم وكأن الله غير موجود! هذا الرياء، هذا النفاق قد مهد الطريق – لبروز صنمية القرن العشرين!

ويجدر بنا الاشارة إلى بعض الأمور الهامة التي علينا ألا ننساها لئلا نجذب جميعا في تيار الإلحاد المعاصر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من المستحيل إنكار منجزات إنسان اليوم ومن التعصب الأعمى والقول بأن الطريقة العلمية هي غير سليمة – وذلك عندما تطبق في حقولها المشروعة. ولكنه من واجبنا الشهادة بأن منجزات إنسان اليوم والطريقة العلمية التي لجأ اليها للوصول إلى اكتشافاته الباهرة – هذه الأمور لم تحدث بدون بركة ومعونة روح الله القدوس. هذا العالم المبني على النظام الرائع والبديع والدقيق – هذا العالم لا يمكن أن يكافىء الإنسان على أبحاثه وأتعابه – فيما لو لم يكن تحت سيطرة واسراف الله الحكيم والعليم.

وتجاهلنا لله سيؤدى بعالمنا إلى الدمار. لقد شاهد قرننا همجية إنسان القرن العشرين في الحرب العالمية الأولى والثانية وما تلاها من حروب صغيرة، وهكذا فاننا لسنا بتشاؤميين عندما نقول اننا لم نعد نثق بالإنسان الثائر على الله، بالإنسان المستقل عن الله. ولا يجوز لنا – أن كنا موضوعيين وواقعيين – النظر فقط إلى منجزات إنسان اليوم في الحقول التقنية والعلمية، بل علينا أن نظهر اتزانا كاملا وإذ ذاك نصرح ونقول لقد أظهر إنسان القرن العشرين افلاسه المدقع في الحقول الإنسانية. لم تخل أيام الماضي من فظائع ومآس ذات أبعاد كبيرة، ولكن قرننا الذي يسمى بقرن النور والإشعاع، عرف مآس وفظائع هائلة!

وإذ نقر بذلك نرفض تماماً ونهائيا صنمية القرن العشرين ونشهد بأننا لا نجد بديلاً عن الإيمان الحي المحرر، الإيمان بالله وبوحيه الخلاصي. لقد افتقدنا الله عندما جاء الينا بواسطة كلمته السيد المسيح وعمل لنا خلاصا عظيما وفداء جبارا وهو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يقول لنا في إنجيله الطاهر " ٢٨تَعَالَوْا إِلَيَّ يا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ "

أللهم، نجنا من صنمية القرن العشرين وقد خطواتنا في سبيلك المستقيم، باسم المسيح، آمين.

بعض أصنام القرن العشرين

عندما نتكلم عن الأصنام لابد أننا نذكر قبل كل شيء الأصنام التي عبدها الناس في الأيام القديمة والتي كانت تمثل الآلهة التي اعتقد بها عابدوها. ولا تزال هكذا أصنام موجودة في بعض أنحاء العالم حيث تسيطر الوثنية.

ولكنه يجدر بنا ألا نظن أن ذكر الصنمية يعني دوما الصنمية حسب مظاهرها القديمة. في كثير من الأحيان توجد الصنمية حيث لا أصنام مادية معينة. وسوف نتأمل الآن في صنم مهم جدا آثر على عقول العديدين من الناس في أيامنا ألا وهو صنم الحرية المطلقة الذي هو عنصر هام في الفلسفة الوجودية الإلحادية.

قبل كل شيء نحن لا نود أن نظهر مطلقا وكأننا نعادى الحرية حسب مفهومها الاعتيادى، هذه الحرية ليست بصنم، كلا وألف كلا! الحرية المعرفة بمقتضى النواميس الإلهية والتي نأتي إلى معرفتها بواسطة الوحي الإلهي – هذه الحرية هي لأمر حيوى جدا في حياة الإنسان، أن كان ذلك على الصعيد الفردى أو الاجتماعي أو الدولي. الحرية هي لأمر عظيم جدا بالنسبة لجميعنا نحن ابناء الشرق! كم تعدبنا وكم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شقينا في سبيل تحرير بلادنا وأوطاننا وكم كان طعم الحرية لذيذا عندما أصبحنا أسيادا في بلادنا وجلا عنا آخر جندى أجنبي!

ماذا نعني إذن عندما نقول بأن أحد أصنام القرن العشرين هو الحرية المطلقة؟ ما هي هذه الحرية المطلقة وما هو المفهوم المتزن للحرية التي هي عنصر اساسي من الحياة وكيف نميز الحرية الحقيقية من الحرية المزيفة؟

الحرية التي أصبحت صنما في أيامنا هذه والتي دعوناها بالحرية المطلقة ولتمييزها عن الحرية الحقيقية، الحرية المطلقة هي جزء لا يتجزأ من الفلسفة الوجودية الإلحادية المعاصرة. وماذا تعلمنا هذه الفلسفة؟ تقول لنا : أولاً : لا اله – ليس هناك اله سرمدي خالق الكون ومبدع الإنسان ومسيطر على جميع مقدرات التاريخ. وبكلمة مختصرة تقول لنا : الله غير موجود!

ثانيا : تقول لنا هذه الفلسفة انه ليس هناك من قوانين ونواميس وشرائع سارية المفعول في كل مكان وزمان وغير قابلة للتغيير! وهذا النفي الثاني ينبثق عن النفي الأول : فان كان الله غير موجود فمن العبث الكلام عن شرائع ونواميس غير متقلبة أو متغيرة، لأنه حيث لا مشرع لا شريعة!

ثالثاً : تعلمنا هذه الفسفة بأن الإنسان كائن وحيد وهو يبرز وجوده أو يظهر وجوده عندما يعمل بمقتضى رغباته وارادته الشخصية المتحررة من كل إيمان بما فوق الطبيعة! حسب تعليم هذه الصنمية المعاصرة يصبح الإنسان بالحقيقة إنسانا عندما يختار بكل حرية أو بحرية مطلقة أن يعيش كما يشاء. الإنسان هو سيد حياته المطلق

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليس من شيء أو من كائن يقول له افعل هذا أو ذاك. حرية الإنسان هي حرية مطلقة غير خاضعة لنظام يأتي من فوق أو من أعلى! وان لم يثبت الإنسان وجوده بهكذا اختيار وبهكذا حرية غير مقيدة فان الإنسان لا يكون بالحقيقة.

لقد ذكرنا مسبقا بأننا لا نعادى الحرية، أي الحرية حسب معناها الحقيقي. ولكننا لا نستطيع أن نقبل الحرية المتحررة من كل ناموس وشريعة. نحن لا نستطيع أن نقبل الحرية التي تقول : لا لله تعالى والتي تسخر به وتعامله كصنم! نحن لا نستطيع أن نقبل هكذا حرية لأنها ليست بحرية، انها عبودية غاشمة طلت نفسها باسم الحرية، انها صنمية وان كانت لم تبن بعد معابد و لم تقم أصناما مادية.

كيف يقبل الناس في هذه الأيام، تعاليم ومبادىء الصنمية المؤلهة للحرية المطلقة؟ إنسان اليوم هو إنسان قلق ومضطرب وهو لا يعلم كيف يسيطر على حياته المهددة من قبل العدم والفناء واللا معنى. وإذ يرى في الأسواق الفكرية العالمية إذ يلاحظ فلسفة جدية تعمل جهدها لتفسير معنى الوجود وتقول بأنها مع الإنسان ومن أجله وله وضد سائر القوى التي تعسف بحياته، نرى إنسان القرن العشرين يقبل بدون فحص أو تمحيص مبادىء الوجودية الإلحادية وينظر اليها كلمحرر والمنقذ والفادى. لكن دواء هذه الفلسفة هو غير شاف وتحليلها للوضع الإنساني أو للواقع الإنساني هو تحليل غير سليم.

من ينكر أهمية الحرية؟ الحرية مهمة ومهمة جدا وكم استشهد من أجلها الناس! ولكن الحرية لا يمكن أن توجد في الفراغ. وليست الحرية عبارة عن مفهوم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يعيش به الإنسان في عالم بدون الله. الحرية الحقيقية هي الحرية التي تعترف بالمسؤولية والمسؤولية توجد حيثما يعترف الإنسان بوجود شريعة فوق بشرية. الحرية ليست بإباحية ونهاية هذه الموت بينما نهاية الحرية هي الحياة.

أهذه حرية أن كنت تقود سيارة على طريق جبلي فصممت فجأة أن تحيد عن الطريق وان تنطلق بسرعة نحو الوادى؟ أهذه هي الحرية التي لا تعترف بأية مسؤولية؟ هل هناك حرية حقيقية أن أنكرنا الله ووحيه ووصاياه وشرائعه ورسله وأنبيائه؟

واندفاع الناس في هذه الأيام نحو الصنميات المتعددة لدليل قوى على وجود ميل هائل نحو الشر وللابتعاد عن الله وعن طرقه المستقيمة. والناس منذ فجر التاريخ كانوا يقعون في خطية عبادة الأوثان وليست هذه الخطية الا عبادة احد أبعاد أو مظاهر الخليقة اهمال الخالق تعالى اسمه. وهكذا أن أخذ أحدهم الحرية وجردها عن المسؤولية وعن الاطار الإلهي المنبثق عن الشريعة الإلهية ووضعها ضمن اطار الحادى وأطلق عليها صفة المطلق فإنه يكون بذلك قد جاء بصنم جديد يعبده هو وسائر الذين يسيرون في ركابه.

ولكن الله – تعالى اسمه – لا يود منا نحن مخلوقاته العاقلة أن نسقط في خطية عبادة الأصنام مهما كانت هذه ومهما تعددت في أشكالها والوانها. نهاية كل صنمية هي الموت أن كانت من الصنميات القديمة أو الحديثة. ولقد أرسل الله منقذا حقيقيا ومحررا جبارا ألا وهو السيد المسيح. فقد جاء المسيح إلى دنيانا هذه ومات عنا على الصليب وقام منتصرا في اليوم الثالث.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أتريد أن تتقوى حياتك الروحية والنفسية والعقلية وأن تكتسب مناعة ضد الصنميات المعاصرة؟ آمن بالمسيح المخلص وعش معه في حياة ملؤها الرجاء والإيمان والمحبة. ثم إذهب إلى معترك الحياة المليئة بالآلام والعذابات واشهد عما قام به الله في حياتك وكيف أنقذك من وهدة الصنمية المعاصرة.

رسالة النبي هوشع

قال السيد المسيح للمجرب الشيطان " لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإنسان بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ " وهذا يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا فقط على الصعيد المادى بل انه بحاجة إلى إيمان وعقيدة أو معتقد لكي يستطيع العيش كإنسان. وهنا نجد أنفسنا أمام هذا الموضوع : أن كان الإنسان لا يستطيع أن يحيا فقط على الصعيد المادى فأية كلمة عليه أن يؤمن بها ويحيا بمقتضى تعاليمها؟ كلمة الله أو كلمة البشر؟

وهذا الموضوع لا يبقى موضوعا نظريا لأننا نعلم علم اليقين أن الله تعالى اسمه قد تكلم مع بني البشر منذ القديم وانه أرسل الأنبياء لتبليغ الإنسان فحوى الرسالة السماوية التي اؤتمن عليها الأنبياء. لقد تكلم الله بواسطة النبياء وقد حفظت لنا رسالات الأنبياء في كتاب الله ولذلك لا يجوز لنا أن نتساءل : كيف نعرف كلمة الله أو ما هي الارادة الإلهية. تكلم الله بالأنبياء وحفظ كلامه في كتب الأنبياء. وهكذا فان كلمات المسيح بأن الإنسان لا يحيا فقط بالخبز بل بكل كلمة تخرج من فم الله انما تعني انه من واجبنا أن نصغي إلى تعاليم الأنبياء فيما إذا أردنا أن نعرف المشيئة الإلهية لحياتنا اليوم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذ كنا في المدة الأخيرة قد تأملنا مليا في كتب الحكمة التي نجدها في الكتاب المقدس وإذ بنينا بحوثنا على سفر أمثال سليمان وسفر الجامعة فاننا سوف نبدأ الآن بالتأمل في رسالات الأنبياء الذين يدعون بالأنبياء الصغار لا لأنهم كانوا أقل أهمية من الأنبياء المدعوين بالكبار بل لأن كتبهم كانت اصغر من كتب الأنبياء الكبار. ونبدأ بالقول بأن النبي هو المتكلم باسم الله الحقيقي بخصوص أيامه وكذلك بخصوص أيام المستقبل. النبي هو الذي يعرف الشعب بمشيئة الله وارادته ولكن أفق رسالته ليست محدودة بأيامه فقط بل انها تتعلق بالمستقبل حتى بأيام الأبدية. ومع أن لكل نبي رسالته الخاصة الا أن هذه الرسالة النبوية تبحث دوما في حاجة الإنسان الماسة للعيش حسب الارادة الإلهية وفي ضرورة الابتعاد عن الوثنية والصنمية بشتى أشكالها ومظاهرها.

وهذه هي اسماء الأنبياء الصغار الأثني عشر كما ترد في الكتاب المقدس وفي القسم المدعوبالعهد القديم :

هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي. وقد عاش هؤلاء الأنبياء في أرض فلسطين وتنبأوا من القرن الثامن حتى القرن الرابع قبل الميلاد.

ومن الجدير بالذكر أن حالة البلاد كانت سيئة من الناحية الروحية والأخلاقية والسياسية والدولية في تلك الأيام. فبعد وفاة سليمان الحكيم حدث أن انقسمت المملكة إلى قسمين : القسم الجنوبي بقي فيه أسرة سليمان أي أن ملوك القسم الجنوبي كانوا من نسل الحكيم ودعيت مملكتهم بمملكة يهوذا وكانت القدس عاصمة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذه المملكة الجنوبية. أما المملكة الشمالية فإنها كانت تعرف باسم مملكة اسرائيل وحكمها ملوك من أسر مختلفة وكانت تتنافس في كثير من الأحيان مع المملكة الجنوبية.

والأنبياء الذين دعاهم الله لتأدية رسائلهم في فلسطين انما تنبأوا في كل من مملكتي يهوذا واسرائيل وان كانوا من الناحية الرسمية غير معترفين بالمملكة الشمالية لأنها كانت قد ابتعدت منذ نشأتها عن العبادة الحقيقية لله وأخذت تمنع الناس عن الذهاب إلى القدس في أيام الأعياد والمناسبات الخاصة.

عالج الأنبياء مواضيع أيامهم حسب الدعوة الإلهية التي استلموها من الله وهكذا فان مناداتهم بكلمة الله والكلمات التي دونت فيما بعد وحفظت لنا في الكتاب المقدس، أن تلك كانت ولا تزال قسما هاما من الوحي الإلهي. ومع أن رسالة الأنبياء كانت لشعب معين وفي وقت معين من التاريخ البشرى وفي بقعة جغرافية صغيرة الا أن المبادىء الروحية والأخلاقية المنبثقة من رسالتهم هي هي لا تتغير ولذلك فاننا نرجوبأن ندرس بعض النقاط من تعاليم الأنبياء الأثني عشر. وإذ نقوم بذلك فاننا لا نضع نصب أعيننا مجرد زيادة معلوماتنا الدينية / التاريخية بخصوص ما جرى في وسط العالم منذ نحو ألفين وخمسمائة سنة! نحن نتأمل في كتب الأنبياء لكي نسمع كلمة الله ولكي نحيا بواسطتها، لأننا كبشر وكما قال المسيح، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله. هذه أيام كثرت فيها وتكاثرت كلمات الإنسان ونحن بحاجة ماسة إلى سماع لا كلمات مصدرها العقل البشرى المحدود بل الله خالق السموات والأرض وسيد العالمين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذ نشرع اليوم بدراسة رسالة أول نبي من قائمة الأنبياء الصغار الأثني عشر أي إذ نبدأ بالتأمل في تعاليم هوشع النبي نقول انه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وفي المملكة الشمالية التي كانت تعرف آنئذ باسم مملكة اسرائيل. ومعنى اسمه الذي هو عبري : الله مخلصنا وهو يشبه من هذه الناحية اسم يشوع وهو القائد الذي عينه موسى النبي قبيل وفاته والذي جاء ببني اسرائيل إلى أرض كنعان.

وسنركز أفكارنا على ثلاثة مواضيع ونحن نتأمل في سفر هوشع النبي :

١. ان للرب محاكمة مع سكان الأرض : كان هوشع ينادى في القسم الشمالي من بلاد فلسطين ويقول " اسمعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ : «إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الأرض لأنه لاَ أَمَانَةَ وَلاَ إِحْسَانَ وَلاَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الأرض " وبعبارة أخرى كان يقول لمعاصريه : الله غير راض عنكم. انكم لا تسرون الله فهو تعالى يريد أن يأتي بكم إلى المحاكمة! ولكن هل يجوز لنا نحن سكان القرن العشرين أن نقول : كلمات هوشع النبي كانت موجهة فقط لسكان القسم الشمالي من بلاد فلسطين ومنذ ما يقارب ثلاثة آلاف سنة؟ أم هل نسمع شخصيا كلمات النبي فنقول : انها تنطبق علينا أيضاً في هذه الأيام؟ " لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الأرض " الأرض بأسرها نعم المسكونة كلها عليها الآن أن تظهر أمام الرب للمحاكمة! "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن على أي أساس تستدعى المسكونة أو الأرض لكي تظهر أمام الله للمحاكمة؟ أهناك ذنب معين ومعروف؟ لنصغي إلى كلمات هوشع التي قيلت أولاً بخصوص معاصريه من مملكة اسرائيل الشمالية " لأَنَّهُ لاَ أَمَانَةَ وَلاَ إِحْسَانَ وَلاَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ " يا لها من تهمة خطيرة لا أمانة ولا احسان ولا معرفة الله! ولكن هل يمكننا أن نقبل هكذا كلمات أم هل كان النبي مندفعا فتكلم أكثر مما طلب منه الله؟ حاشا، لم يتكلم النبي الا بما طلب منه الله و لم يكن وصفه لسكان الأرض الا وصفا واقعيا. لندعه يسرد لنا لائحة الخطايا التي كانت ترتكب نظرا لانعدام الأمانة والاحسان ومعرفة الله. قال النبي : لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق، يعتنفون ودماء تلحق دماء!، هناك أسباب قوية لاجراء محاكمة مع سكان الأرض لأن انعدام الفضائل انما اعطى مجالا لظهور الخطايا الشنيعة التي أتى النبي على ذكرها. نعم أن للرب محاكمة مع سكان الأرض، مع سكان الأرض في أيامنا هذه أيضاً لأن ما تكلم عنه هوشع النبي لا يزال يجرى إلى أيامنا هذه : لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق.. أن للرب محاكمة مع سكان أرض القرن العشرين!

ولكن كيف يمكن للبشر وخاصة للذين كانوا قد استلموا الوحي الإلهي منذ أيام موسى النبي، كيف يمكن لهؤلاء ولأولئك بأن يصلوا إلى هذه الحالة المحزنة؟ هل تستطيع أن تعطينا يا نبي الله هوشع، هل بمقدورك أن تعطينا تفسيرا منطقيا لهذه الحالة المحزنة التي كانت سائدة في أيامك والتي لا تزال تعكر صفوالحياة البشرية حتى يومنا هذا؟ وجواب النبي هو (وهنا علينا أن نذكر أن الله هو المتكلم بواسطة فم النبي). "

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٦قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ. لأَنَّكَ أَنْتَ رَفَضْتَ الْمَعْرِفَةَ أَرْفُضُكَ أَنَا حَتَّى لاَ تَكْهَنَ لِي. وَلأَنَّكَ نَسِيتَ شَرِيعَةَ إِلَهِكَ أَنْسَى أَنَا أيضاً بَنِيكَ "

يا لها من كلمات صريحة للغاية، كلمات الله هذه! لقد هلك الشعب من عدم المعرفة. ما معنى هذه الكلمات؟ كان الناس في أيام النبي هوشع قد وقعوا فريسة للعبادة الوثنية التي كانت سائدة في سائر البلاد المحيطة بفلسطين. وجرى سقوطهم أولاً لأنهم أخذوا يعبدون الله متكلين على تماثيل حسية لله فاستعملوا العجل وهم يعبدون الله. ولكن الله كان قد علمهم بكل صراحة في الوصايا العشر وقال لهم بواسطة موسى النبي " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي! لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً.. لا تسجد لهن وتعبدهن. " الله العليم بكل شيء وخاصة بقلب الإنسان الخاطيء والمظلم منع شعبه في أيام النظام القديم من اللجوء إلى عبادته على طريقة عابدي الأصنام. فالانزلاق في خطية الوثنية يبدأ بالتساهل هنا وهناك ويتم بصورة تدريجية : أولاً العبادة على طريقة عابدي الأوثان ثم الحياة على طريقة عابدي الأوثان.. نعم كان الناس يهلكون روحيا من عدم المعرفة. ويجدر بنا أن نذكر أن الأصنام لا تزال في دنيانا هذه وان كانت في كثير من الأحيان غير منظورة. فعلينا إذن أن نذكر أن معرفة الله معرفة حقيقية هي تلك المعرفة التي لا تكتفي بالوقوف النظري على محتويات الوحي الإلهي بل انها تتعدى ذلك فتصبح محبة شديدة لله تلك المحبة التي تكتفي بما أمر به الله وتمتنع عما نهي عنه الله. وكما أن خطية الزنى هي خطية كبيرة ومدمرة للإنسان في حياته الأخلاقية هكذا أيضاً الوقوع في خطية عبادة الأصنام : يعد الله عبادة الأصنام زنا روحيا!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣. لم يكتف النبي هوشع بالكلام عن خطايا بني جنسه بل ذكر لدى نهاية سفره موضوع الشفاء من الخطية وكما ذكرنا سابقا أن اسمه يعني : الله مخلصنا. قال هوشع في الفصل الرابع عشر من نبوته " ١ ارْجِعْ يا إِسْرَائِيلُ إلى الرَّبِّ إِلَهِكَ لأَنَّكَ قَدْ تَعَثَّرْتَ بِإِثْمِكَ. ٢ خُذُوا مَعَكُمْ كَلاَماً وَارْجِعُوا إلى الرَّبِّ. قُولُوا لَهُ : «ارْفَعْ كُلَّ إِثْمٍ وَاقْبَلْ حَسَناً فَنُقَدِّمَ عُجُولَ شِفَاهِنَا "

ان الله لا يزال يكلمنا اليوم بواسطة كلمات الأنبياء يطلب منا نحن أيضاً أن نعود إليه. العودة إلى الله، هذا هو الدواء الذي يقدمه لنا الله ويطلب منا أن نستعمله لنشفى نحن أيضاً من آثامنا وأخطائنا.

ولكنك قد تقول لي أيها القارئ العزيز : أنا لا أجد في قوة روحية كافية ومعنوية للرجوع إلى سبيل الله وللسير على طرقه المستقيمة ولإبعاد صنمية القرن العشرين عن أفكارى وآرائي! حسن اعترافك هذا، ليس هناك من إنسان يقدر بأن يرجع من تلقاء نفسه إلى الله. هل تعلمت هذه النقطة الواحدة من عظتنا؟ ما هو اسم النبي : هوشع أي الله هو المخلص. وبعد نحو ٨٠٠ سنة من أيام النبي هوشع وبعد أن حدثت أمور محزنة للغاية في البلاد المقدسة جاء كلمة الله إلى عالمنا وأعطي اسم يسوع أي الله هو مخلصنا. لقد جاء السيد المسيح المخلص لحل مشكلة الخطية فتعذب عنا ومات عوضا عنا لكي نستطيع أن نرجع إلى الله. آمن بالمسيح يسوع أي بالمخلص؟ وأصغ معي إلى هذه الكلمات العذبة عن التائبين إلى الله والتي نستقيها من نهاية سفر نبوة هوشع " «أَنَا أَشْفِي ارْتِدَادَهُمْ. أُحِبُّهُمْ فَضْلاً لأَنَّ غَضَبِي قَدِ ارْتَدَّ عَنْهُ. ٥ أَكُونُ لإِسْرَائِيلَ كَالنَّدَى. يُزْهِرُ كَالسَّوْسَنِ وَيَضْرِبُ أُصُولَهُ كَلُبْنَانَ. ٦ تَمْتَدُّ خَرَاعِيبُهُ

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وَيَكُونُ بَهَاؤُهُ كَالزَّيْتُونَةِ وَلَهُ رَائِحَةٌ كَلُبْنَانَ. ٧يَعُودُ السَّاكِنُونَ فِي ظِلِّهِ يُحْيُونَ حِنْطَةً وَيُزْهِرُونَ كَجَفْنَةٍ. يَكُونُ ذِكْرُهُمْ كَخَمْرِ لُبْنَانَ. ٨يَقُولُ أَفْرَايِمُ : مَا لِي أيضاً وَلِلأَصْنَامِ؟ أَنَا قَدْ أَجَبْتُ فَأُلاَحِظُهُ. أَنَا كَسَرْوَةٍ خَضْرَاءَ. مِنْ قِبَلِي يُوجَدُ ثَمَرُكِ». ٩مَنْ هو حَكِيمٌ حَتَّى يَفْهَمَ هَذِهِ الأمور وَفَهِيمٌ حَتَّى يَعْرِفَهَا؟ فَإِنَّ طُرُقَ الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ وَالأَبْرَارَ يَسْلُكُونَ فِيهَا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَعْثُرُونَ فِيهَا " آمين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخدمة العربية للكرازة باللإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخـــرى. وتقـــوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الـــشمالية وبلـــدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتـــب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.